

# دراسة في النشأته

تأليف

الدكتور طه ندا

مدرس اللغات الشرقية بجامعة الاسكندرية

الناشر : دار الطالب بالاسكندرية

زغلول حماده : ت ٧١١٥٦

الشارع المصيرية للطباعة

١٠ ميدان محمد علي ت : ٢٤٧٧٠ اسكندرية

2462  
.834

2462.834

Nada

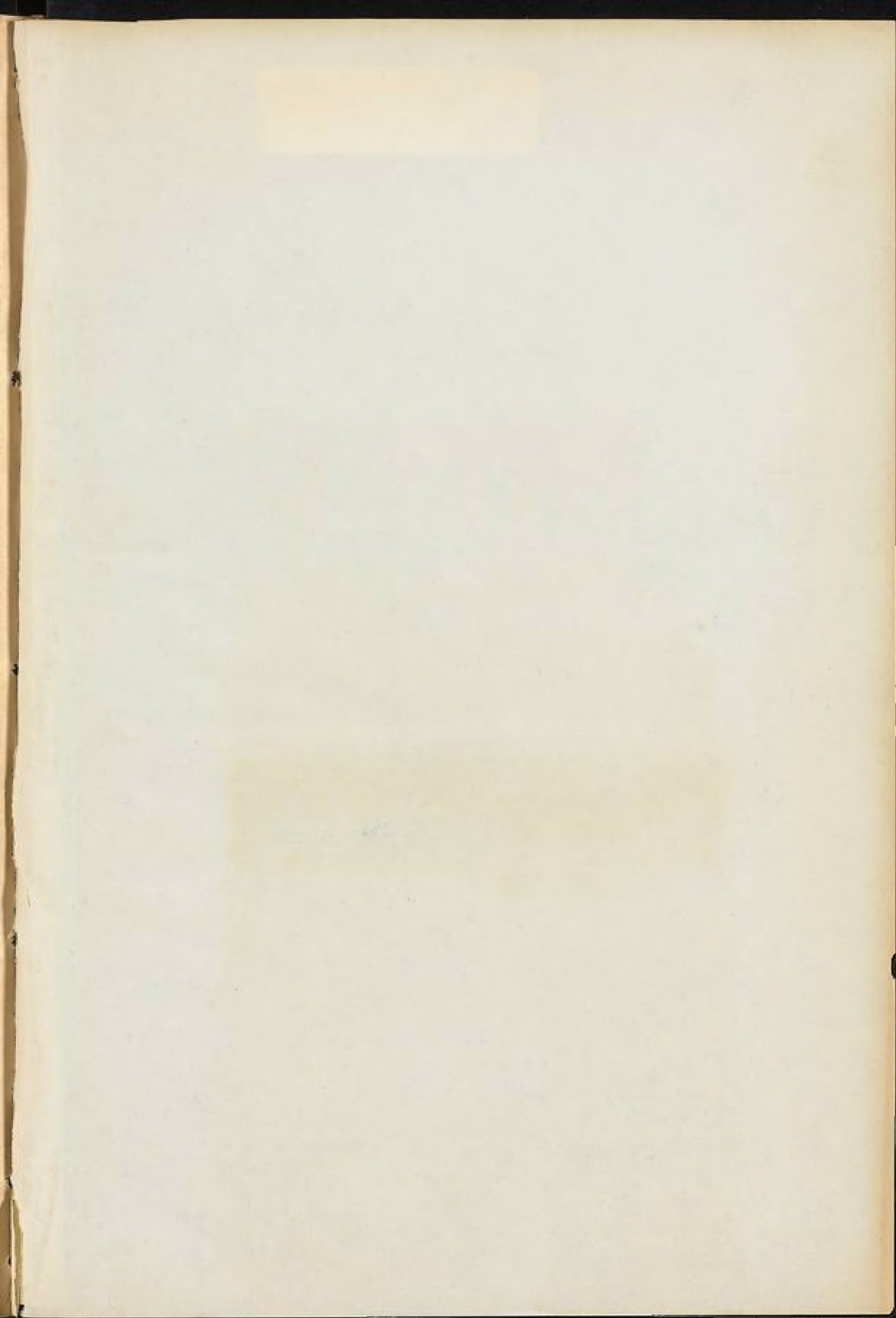
Dirasat fil-Shahnamah

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE
001-2-1	MAY 5-77		
<del>SEP 11-77</del>			
MAY 11	JUN 8 '77		

Princeton University Library



32101 076501855



Nadīa, Jāhā

# دراسة في الشاهنامة

Dirāsāt fi'l-Shāhnāmāh

تأليف

الدكتور طه ندا

مدرس اللغات الشرقية بجامعة الاسكندرية

الناشر: دار الطالب بالاسكندرية

زغلول حماده . ت ٧١١٥٦

البيروت المصيرية للطباعة

١٠ ميدان محمد علي ت: ٢٤٧٧٠ اسكندرية





## بسم الله الرحمن الرحيم

على الرغم من المسكاة الرفيعة التي تتمتع بها الشاهنامة في الدراسات العالمية ، وعلى الرغم مما ظفرت به في الغرب من دراسات وأبحاث لم أجد في العربية من يعنى بها وبشاعرها العناية الكافية التي تليق بمثل هذا العمل الأدبي الخالد . وكانت نقطة البداية في أبحاث الشاهنامة ، باللغة العربية ، ما كتبه أستاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام في سنة ١٩٣٢ وجعله مدخلا لترجمة البنداري التي نشرها . وكان خليقا بهذا المدخل أن يغري بمادته المركزة وعرضه الممتع كثيرا من الباحثين لمتابعة البحث في هذا الموضوع . ولكن يظهر أن قلة ما بأيدينا في مصر من مصادر البحث وضآلة ما في مكتبتنا العلمية العامة من المصادر الأصلية حول همة الناس عن هذا الموضوع . ولئن صرف هذا عن البحث المستوفي والدرس المستقصى فإنه لن يصرف عن المحاولة . وحسبنا أن يكون في أيدينا نص الشاهنامة نستخرج منه ما يسمح به الجهد ويهدى إليه الفهم .

وإذا كانت الشاهنامة هي المصدر الأساسي في كل دراسات تتعلق بها وتدور حولها فليس هناك ما يمنع من الاستعانة بغيرها من المصادر إذا كانت تجلو غامضا في المصدر الأساسي أو تفصل موجزا أو تجعل الصور والأجواء أوضح وأظهر . ولهذا استفدنا من المؤلفات العربية والأجنبية التي عالجت موضوعات تشير إليها الشاهنامة في سياق حوادثها أو كانت تخدمنا في دراسة الشاهنامة نفسها .

وننبه هنا إلى أن الموضوعات التي درسناها في هذا الكتاب كانت بما

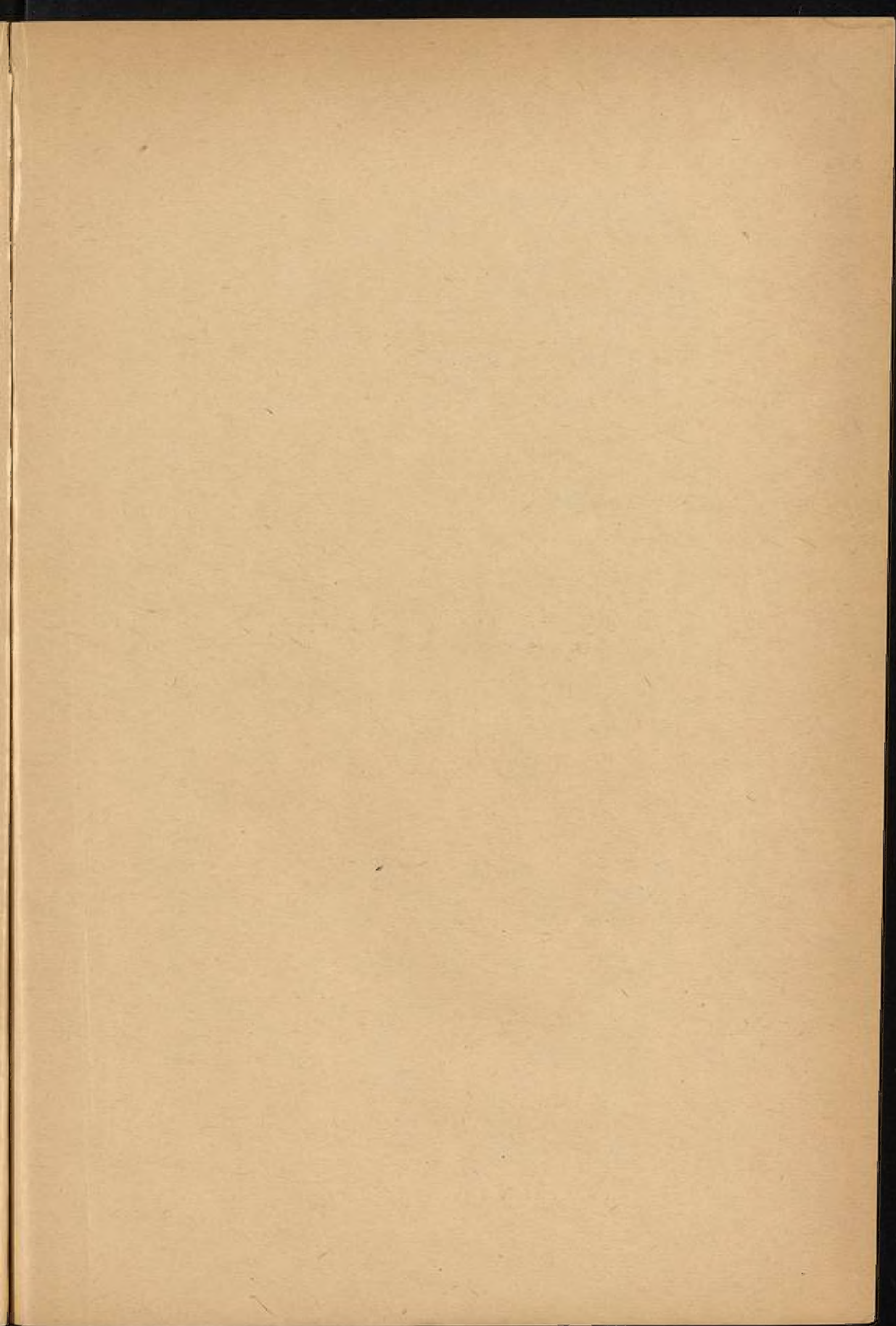
تعرضت لها الشاهنامه أو أشارت إليها إشارة عابرة في ثنايا الحوادث لأننا  
التزمنا أن تكون الدراسات في الشاهنامه ومقيدة بها . وليس هناك ما يدعو  
للخوض في موضوعات لا نواة لها في الشاهنامه . وكان القصد من هذا كله أن  
تكون هذه الموضوعات تصويرا لحياة الايرانيين القدماء كما تصورهما الشاهنامه  
وإذا كنا قد أصبنا شيئا من التوفيق فيما تناولناه من موضوعات هذا  
الكتاب بقسميه فمن الله وهو ولي التوفيق . وإذا كنا قد جانبنا الصواب فحسبنا  
أنها محاولة كادحة ورجاؤنا أن يهدي الله من بعدنا إلى أفضل مما هدينا إليه .

الابراهيمية

في ١٤ / ١٢ / ٥٤

طه ندرا

# دراسات تاريخية



## ١ — الفردوسي

يحيط الغموض بحياة الفردوسي وتاريخه من كل جانب مع ما للشاعر من مكانة عظيمة في تاريخ الفرس الأدبي . فاسم الشاعر غير معروف على وجه التحقيق ، وتاريخ مولده ووفاته محل اختلاف كبير بين الباحثين ، ونشأته الأولى وحياته الخاصة مما يخفى علينا إلى حد كبير ، وحالته الاجتماعية تضاربت فيها الأقوال ، واتصاله ببلاط السلطان محمود الغزنوي لما إذا كان وعلى أي نحو تم أمر تختلف فيه الروايات . وعلى هذه الوتيرة من الغموض والإبهام تسير حياة الشاعر العظيم في كل ناحية من نواحيها . ومن هذا الغموض ، والتضارب في الروايات يتبين للقارئ مدى ما يلاقيه المتعرض لمثل هذا البحث من المشقة والعناء . ولا مفر لنا من أن نواجه هذه المشاكل الجمة مشكلة مشكلة .

### اسم الشاعر وكنيته :

من المصادر ما يسميه « حسينا » . ومنها ما يسميه « أحمد » ومنها ما يسميه « منصور » . وكما اختلفوا في اسمه اختلفوا في اسم أبيه أيضا . فهو مرة « أسحق بن شرف شاه » ومرة أخرى « علي » ، وثالثة « أحمد بن فرخ » . ولو كان الشاعر قد ذكر في الشاهنامه اسمه أو اسم أبيه لما نشأ كل هذا الخلاف . أما كنية الشاعر ، أبو القاسم ، فتفق عليها بين الجميع .

### تخلصه :

ولم يختلفوا في تخلص الشاعر وهو « الفردوسي » ، وإنما اختلفوا في سبب هذه التسمية . فقال بعضهم إنه سمي كذلك لأن أباه كان بستانيا في بستان يملكه سوري بن المغيرة يعرف بالفردوس . ومنهم من يرى أن السبب في هذه

التسمية بستان - فردوس - كان يملكه الشاعر نفسه خارج مدينته طوس .  
وهناك من يذكر أن السلطان محمود الغزنوي لما دخل عليه الشاعر وأنشده شعره  
طرب له وقال « الله درك قد صيرت مجلسنا مشرقا كالفردوس » . والراجح  
عندنا أن الشاعر كان معروفا بهذا التخلص قبل قدومه على السلطان كما أن في  
الروايات التي تتحدث عن اتصال الشاعر بالسلطان ، وتضاربها في موقف  
السلطان من الشاعر وكيف استقبله في بلاطه ما يضعف الرأي الأخير في  
سبب التسمية .

### منى وأبى ولد الشاعر :

أما متى بدأت قصة حياة الشاعر فهذا أمر مشكل . وما دامت بداية القصة  
غامضة فنحن مضطرون أن نبدأ من نهايتها . والشاعر يشير إلى عمره حينما  
فرغ من الشاهنامه فيقول ما معناه <sup>(١)</sup> « الآن وقد قارب العمر الثمانين عصفت  
الرياح بآمالي دفعة واحدة » . والمعروف أن الشاعر أتم قصته حوالي سنة  
٤٠٠ هـ . وعلى هذا يكون مولده قد حدث حوالي سنة ٢٢٠ هـ / ٩٣٢ م . وقد  
أقر نولدكه هذا التاريخ إذ رأى أن ولادة الشاعر لا تبعد عن سنة ٢٢٠ هـ <sup>(٢)</sup>  
ومن بيت آخر للشاعر <sup>(٣)</sup> يفهم أنه كان قد بلغ الحادية والسبعين حين أتم  
ملحمته إذ يذكر في هذا البيت ما مفاده أن السن حين بلغت الحادية والسبعين  
كان الشعر قد ذاع في الكون . وإذا كان المعروف أنه قد أتم كتابه الشاهنامه  
في سنة ٤٠٠ هـ وكانت سنة إذ ذاك إحدى ومبعين سنة فن السهل أن نحدد  
تاريخ مولده على هذا التقدير في سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م .

(١) شاهنامه : ص ٣٠١٧ ج ١٠ ط بروخيم تهران

(٢) الخاسة الايرانية : الترجمة الانجليزية بقلم Bogdanov ص ٣٩

(٣) شاهنامه : ص ٣٠١٧ ج ١٠ ط بروخيم تهران

وفى ترجمة الفتح بن علي البنداري ما يفيد أن الشاعر قد انتهى من نظم كتابه في سنة ٢٨٤ هـ بعد أن بلغ من العمر خمسا وستين سنة<sup>(١)</sup>. وعلى هذا الاعتبار يكون الشاعر قد ولد في سنة ٢١٩ هـ.

ومما يكتن أمر الاختلاف في تحديد سنة ولادته فيما لا شك فيه أن هذه السنة أصبحت بعد ما قدمناه محصورة في فترة قصيرة بين سنوات ٢١٩ و ٢٢٩ هـ.

وكانت ولادة الفردوسي في قرية باژ من ناحية طبران وهي قرية كبيرة تضم ألف رجل. وكانت ناحية طبران حسب قول ياقوت قسما من مدينة طوس التي كانت في ذلك الزمان تنقسم قسمين<sup>(٢)</sup>.

#### مآله الاجتماعية :

ليس فيما لدينا من المعلومات ما يعين على تكوين فكرة صحيحة واضحة عن نشأة الفردوسي الأولى. وكل ما لدينا عن حالته الاجتماعية شذرات وردت في بعض المؤلفات مثل « چهار مقاله » وإشارات جاءت في قصته والشاهداه.

فالعروضي، صاحب چهار مقاله، يذكر أن الأستاذ أبا القاسم الفردوسي كان من دهاقين طوس. وكانت له في تلك القرية شوكة ومكانة، وأنه كان في غير حاجة إلى الناس بما تدره عليه ضياعه من الدخل<sup>(٣)</sup>. ولكن العروضي - رغم ما لكتابته من الأهمية في الحديث عن الفردوسي - يشككنا في صحة هذه القضية حين يذكر بعد ذلك مباشرة : « ولم يكن له - أي للشاعر - سوى

(١) الترجمة العربية للفتح البنداري نشر عزام ج ٢ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦

(٢) معجم البلدان : مادة طوس ج ٣ ص ٥٦٠ ط لينزج

(٣) چهار مقاله : ص ٤ ط خاور تهران . المقالة الثانية الحكاية التاسعة

ابنة واحدة ، وكان يشتغل بنظم الشاهنامه وكل أمله أن يجهز ابنته بما يناله من الصلة على ذلك الكتاب . ولقد اشتغل خمسا وعشرين سنة إلى أن أتم ذلك الكتاب .<sup>(١)</sup> فإذا كان الشاعر ينفق من عمره خمسا وعشرين سنة حتى يتم كتابا يرجو أن يستعين بمكافأته على تجهيز ابنته فكيف يكون غنا ذا شوكة في بلدته ؟ وكيف يكون ذا ضياع يستغنى بدخلها عما يصله به الناس ؟

وإذا تجاوزنا عن مقدار ثراء الشاعر الذي يشير إليه العروضي ، وجدنا أن عبارته تفيد أنه كان ممن يهتمون بالزراعة ، وليس هناك شك في هذا . والعروضي نفسه يذكر في موضع آخر أن الفردوسي كان يقدر حيي قتيبه الذي كان عامل طوس حق قدره لأنه أعفاه من الخراج<sup>(٢)</sup> . وبذكر في موضع آخر من نفس الحكاية أن الفردوسي قد دفن في حديقة كان يملكها وأن قبره لا يزال هناك<sup>(٣)</sup> . وقد مر بنا فيما قبل أن الفردوسي سمي بهذا الاسم نسبة إلى هذه الحديقة التي كان يملكها .

وهذا كله واضح في أن دخل الشاعر كان يأتيه في ذلك الوقت من الزراعة . أما مدى ما كان عليه من ثراء فهذا مالا تحققة نصوص العروضي .

والظاهر أن ضياع الشاعر التي يشير إليها العروضي لم تكن أكثر من هذه الحديقة التي ذكرها العروضي في نصوصه ، وذكرها غيره من المؤلفين في كتاباتهم عن الشاعر . وليس فيما لدينا من المصادر ذكر لأرض أخرى أو ضياع كان يملكها الفردوسي . ويبدو لنا أن هذه الحديقة لم تكن تدر على الشاعر دخلا كبيرا حتى اضطر أن ينفق من عمره خمسا وعشرين سنة في عناء متصل لكي يتم الشاهنامه وينال ما أمل فيه من صلة يجهز بها ابنته . وليس

---

(١) چهارمقاله : ص ٤٠

(٢) نفس المصدر : ص ٤١

(٣) نفس المصدر : ص ٤٣

يجيد أيضا أن يكون عامل طوس قد أعفاه من الخراج لضآلة ما يجنيه الشاعر من إيراد هذه الحقيقة .

وفي الشاهنامه مواضع كثيرة يتحدث فيها الشاعر عن فقره ، وضيق المجال أمامه في الحياة حين شرع في نظم الشاهنامه دون أن يكون لديه ما يعينه على اتمام هذا العمل فيقول : « إن ماله لم يكن وافيا للقيام بنفقات هذا العمل ، وليس هناك من يشتري منه هذا العناء ، وأن الدنيا قد امتلأت بالحروب فلا مجال فيها لخير وقد ضاق العالم أمام الساعين » . (١)

وفي موضع آخر يذكر أن الله قد بعث إليه من شجعه على العمل ، وهما له أسباب التفرغ للنظم ، وأمه بما يحتاجه من المال فعاش في ظل رعايته ناضرا كالنفاحة ، وارتفع إلى السماء . وكان راعيه هذا هو أبا منصور بن محمد الذي يقول الشاعر عنه إنه أبدى استعداداه لمعاونته حتى تنطلق روحه إلى النظم ووعدته أن يبذل له ما يستطيع دون أن يتحدث إلى أحد بحاجته فكان الشاعر عنده كالنفاحة الناضرة (٢) .

وفي مواضع أخرى من الشاهنامه يشير الشاعر إلى ما تقدم من عمره ، وما عاناه من الفقر طيلة اشتغاله بنظم قصته فيقول : « وهكذا قضيت خمسا وستين في حياة من الفقر والعناء » . (٣)

ويصرح الشاعر بأنه نظم هذا الكتاب ليستعين في أيام شيخوخته بما يناله من وراء نظمه من عظمة ومال وجاه ، (٤) وأنه وصل هذا الكتاب باسم محمود ليعينه

(١) شاهنامه : ص ٩ ج ١ ط بروخيم تهران

(٢) شاهنامه : ص ١٠ ج ١

(٣) شاهنامه : ص ١٢٧٤ ج ٥

(٤) شاهنامه : ص ١٢٧٣ ج ٥

على مواجهة الحياة في هذه السن المتقدمة وليأخذ بيده (١)

ومن مثل هذه النصوص والإشارات يتبين أن الشاعر كان متواضع الحال أو متوسطه على أحسن الفروض ولكنه لم يكن ثريا . فإذا قيل كيف يتفق لشاعر - هذه حاله - أن يرفض هبة السلطان فما بعد مهيا يكن قدرها قلنا إن هذه الهبة جاءت أولا مخفية لآمال الشاعر خيبة عظيمة ، وجاءته ثانيا متأخرة بعد أن كانت السن قد علت ، والآمال قد خمدت في صدره ، ونهاية العمر قد اقتربت . وسواء أكان قد وزع الجائزة بين الحامى والفقاعى كما جاء فى الروايات ؛ أو ردها إلى السلطان ردا غنيقا لا ينتظره سلطان من شاعر كما جاء فى رواية أخرى فالواضح أن تصرف الشاعر كان تصرف رجل عزيز النفس أبى ، يحتفظ بكرامته ويقدر فنه حق قدره . وإذا كان الشاعر لم يورث ابنه مالا وثورا فقد أورثها هذه العزة والإباء حتى إنها رفضت - بعد أن مات أبوها - أن تقبل هدايا السلطان .

#### رحلة الشاعر إلى غزنین :

لماذا رحل الشاعر من طوس إلى غزنین؟ يذكر دولتشاه أن عامل طوس كان قد ظلمه وجار عليه فسعى إلى غزنه (غزنین) لشكايته (٢) . ويذهب هذا المذهب أيضا وقاضى شوشترى الذى يذكر أن الشاعر اغترب عن أهله ووطنه فى طوس لظلم حاكمها وعدوانه (٣) . ويروى صاحب تاريخ كزنده أن الشاعر هرب من طوس إلى غزنین (٤) وهذه الروايات كلها مستبعدة عندنا لأنها مناقضة

- |                          |                            |
|--------------------------|----------------------------|
| (١) شاهنامه : ص ١٢٧٤ ج ٥ | (٢) تذكرة الشعراء : ص ٢٧   |
| ط لاهور تصحيح محمد اقبال | (٣) مجالس المؤمنين : ص ٤٩٧ |
| ط براون ١٩١٠             | (٤) تاريخ كزنده : ص ٨٢٢    |

لرواية العروضي عن عامل طوس الذي كان صاحب فضل على الشاعر ، وكان قد أعفاه من الخراج كما سبق يسانه ، فقد ر له الشاعر هذا الصنيع .<sup>(١)</sup> هذا إلى أن رواية العروضي أوثق ، وقيمة كتابه من الناحية العلمية أعظم .

إذا ، ماذا كان السبب ؟ قلنا فيما سبق إن الشاعر كان متواضع الحال ، ولم يكن لديه من الوسائل ما يعينه على الشروع في عمله الفني العظيم حتى أخذ بيده أبو منصور محمد ، ومد عليه جناحه ، وقدم له من المعونة ما يمكنه أن يبدأ العمل . ولكن هذا الرجل النبيل لم يدم للشاعر طويلا فتوفي بعد أن كان الفردوسي قد قطع في نظم ملحمة شوطا . وهنا واجه الشاعر المشكلة التي كان قد واجهها من قبل . من له عينه ويأخذ بناصره حتى يفرغ من منظومته ؟ وهنا أيضا تذكر الشاعر ما كان أبو منصور محمد قد نصحه به قبل وفاته من ضرورة اهداء الكتاب إلى الملوك بعد اتمامه . ولم يكن أمام الشاعر من الملوك في ذلك الوقت من هو خير من السلطان محمود في حل إليه ، واتصل به . ولاداعي لأن تطيل الكلام في هذه النقطة أو نورد الأدلة على صحة هذا الرأي الذي ذهبنا إليه لأن موضعه في البحث سيأتى فيما بعد عند الكلام على الشاهنامه وتأليفها . ومن هذا نرى أن الشاعر لم ير حل من طوس لظلم لحقه من حاكمها ولا رغبة في شكايته .

### كيف اتصل الشاعر بالسلطان :

هناك روايات مختلفة فيما يتعلق بهذا الموضوع . فنولت شاه مثلا يذكر أن الفردوسي حين بلغ « غزنين » صادف في طريقه مجلسا ضم مشاهير شعراء ذلك العهد وهم عنصرى ، عسجدى ، وفرخى . فلما رأوه مقبلا عليهم أرادوا أن

يصرفوه عنهم ، وافهموه أن هذا المجلس خاص بالشعراء ، فلما أخبرهم بمشاركته في فن الشعر أرادوا اختباره فنظم كل واحد منهم مصراعاً على قافية صعبة وطلبوا إليه أن يأتي بالمصراع الرابع . فقال عنصرى :-

لا يبلغ القمر في ضيائه مبلغ عارضك <sup>(١)</sup>

فرد عسجدى :

ليس الورد في البستان مثل وجنتك <sup>(٢)</sup>

وواصل فرخى :-

سهم أهدابك تحترق الدروع <sup>(٣)</sup>

فأكمل الفردوسى المصراع الرابع :-

مثل سنان گيو في حرب پشن <sup>(٤)</sup>

فأعجبهم قوله ، وفطنوا إلى ما فيه من الإشارة إلى قصص الفرس القديمة . وأراد العنصرى أن يستوثق من علمه وقدرته فامتحنه في بعض الآيات والأشعار المشككة فوجده قادراً ثم يتابع دولتشاه روايته فيذكر أن السلطان محمود كان في ذلك الوقت قد طلب أن ينظموا له تاريخ ملوك العجم ، ولم يجدوا من يصلح للقيام بهذا العمل حتى اهتدى العنصرى إلى الفردوسى ، وعرض أمره في الحال على السلطان الذي استدعى الشاعر ، وراقه ما ارتجله في مدحه حين مثل أمامه :

حينما يغسل الرضيع شفته من لبن الأم

فأول ما ينطق به في المهد اسم محمود <sup>(٥)</sup>

(١) چون عارض تو ماه نباشد روشن

(٢) مانند رخت گل نبود در گلشن

(٣) مرگانت گذر همی کند از جوشن

(٤) مانند سنان گيو در جنگ پشن

(٥) چو کودک لب از شیر مادر بشت

بگهواره محمود گوید نخست

فكلفه أن ينظم الشاهنامه .<sup>(١)</sup>

ويتفق شوشتری مع دولتشاه في محل هذه القصة وإن كان هناك خلاف بينها في بعض التفاصيل . فشوشتری يذكر أن السلطان كان قد عهد إلى العنصرى في نظم تاريخ ملوك العجم . وكان هذا أمراً مشكلاً بالنسبة إليه ، فلما وقع على الفردوسى وعلم أنه كفء للاضطلاع بهذا العمل ارتاح لذلك وابلغ أمره إلى السلطان الذى كلفه القيام بهذه المهمة .<sup>(٢)</sup>

ويذكر حمد الله المستوفى نفس هذه القصة<sup>(٣)</sup> . ولا يقدم لنا العروضى شيئاً من التفاصيل في هذا الصدد ولكنه يكتب بأن يحدثنا أن الشاعر حمل قصته معه ، وتوجه إلى حضرة السلطان في غزني وقدمها إلى الرئيس الكبير أحمد بن الحسين<sup>(٤)</sup> الذى قبلها وعرضها على السلطان<sup>(٥)</sup> .

وبغير أن ندخل في تفاصيل - لم يأت دورها بعد - ينبغي ألا نلتفت إلى الروايات السابقة باستثناء رواية العروضى . فليس من السهل على نفس كبار شعراء هذا العهد أمثال عنصرى وفرخى وعسجدى أن يعترفوا للفردوسى بالفضل ، وأن يقدموه على أنفسهم في مثل هذه البساطة والبس . وليس مما يقبله العقل أن يقرأ القارىء أن السلطان كان قد عهد إلى عنصرى - وهو كبير شعراء عصره - أن ينظم الشاهنامه فمعجز عن ذلك وارتاح إلى ما رآه من قدرة الفردوسى - ولكن المعقول أن الشاعر بعد أن فقد راعيه أبا منصور محمد ، اتجأ إلى السلطان في غزني بما كان قد نظم من ملحمة من تلقاء نفسه أو لدعوة وصلته من السلطان الذى لا يستبعد أن يكون قد بلغه خبر الشروع في نظم

(١) تذكرة الشعراء ص ٢٧

(٢) مجالس المؤمنين ص ٤٩٨

(٣) تاريخ كزنده ص ٨٢٢

(٤) هو أبو القاسم أحمد بن الحسن اليمندى وزير السلطان

(٥) چهار مقاله ص ٤١

هذه الأفاضل فرأى أن يدعو إلى بلاطه ناظمها كما كان يفعل في دعوة غيره من يبلغه أمرهم من أهل العلم والأدب .

وهناك في بلاط السلطان اتصل الفردوسى ببعض أهل الفضل والأدب كالسيامى الأديب الوزير الميمندى - وفق ما يقول العروضى - أو بالفضل ابن أحمد الأسفرائينى كما يقول غيره .

وأغلب الظن بعد ذلك أن الشاعر لقي من السلطان - أول الأمر - بعض التشجيع والاكترام ، ثم تغيرت الحال فيما بعد على نحو ما نذكره .

#### موقف السلطان من الشاعر :

قلنا إن الشاعر لقي من السلطان فى أول الأمر التشجيع والرعاية . وفى بعض المصادر أن السلطان قد أفرد له جناحا فى قصره زينه بالأسلحة وصور الأبطال حتى يعيش الشاعر فى جو القصة ، ورتب له معاشا ليتفرغ للنظم . ثم تغير موقف السلطان من الشاعر بعد ذلك فإذا كان السبب ؟ يرى دولتشاه أن الفردوسى فى اتصاله ببلاط السلطان لم يكن يبالي بخلامه "إياز" . وكان «إياز» هذا غلاما تركيا من أقرب خواص السلطان وأحبهم إلى قلبه . (١) فعاداه إياز ودس له عند السلطان وأتهمه بأنه رافضى وحذره منه ومن خطر الرافضية بما حول عاطفة السلطان عن الشاعر (٢) . ولكن مصدرا آخر يرى إياز من هذا الاتهام . وهذا صاحب مجالس المؤمنين يذكر أن الشاعر حين هرب من غزنين خائفا من بطش الساطان لم يستطع أحد من عارفى فضله أن يعينه بما يلزمه فى سفرته ولكن «إياز» - وكان صاحب فضل ومروءة - أدرك

---

(١) يروى العروضى عن إياز أنه كان ينظر الوجه ، غض العارض ، متناسبا

الأعضاء ، متنسق الحركات . . . الخ

(٢) تذكرة الشعراء . ص ٢٨

الشاعر بعد أن خرج من غزنين وقدم له ما استطاع من المعونة سرا دون أن يطلع أحدا على ذلك<sup>(١)</sup>.

وفي چهار مقاله أن الوزير الميمندى كان له في البلاط أعداء كثيرون فلما رأوا عناية الوزير بالشاعر دسوا لهذا الأخير عند السلطان واتهموه بالرفض والتشيع . وأقاموا ، بعض أشعاره الدليل على ذلك<sup>(٢)</sup> . وكان السلطان محمود متعصبا فأثر فيه دسهم . ويبدو أن مسألة التشيع هذه لم تكن في الأغلب سببا جوهريا بدليل أن أبا ريحان البيرونى كان يعلن التشيع ومع ذلك دعاه محمود إلى بلاطه وأكرمه . وكان بلاط محمود يضم العلماء والفضلاء من كل مذهب كالهندى والمسيحى ، واليهودى . ومع ذلك لم تكن مذاهبهم مانعة من إكرامهم .

والميمندى هو أبو القاسم أحمد بن الحسن الميمندى ؛ وكان رجلا عريق الأصل ، كريم المحدث ، فصيحا ، على الهمة ، معروفًا بالمقدرة والكفاءة . وقد اتجهت نية السلطان من أول الامر إلى إسناد الوزارة إليه لولا أن أوغر الوشاة قلب السلطان وصرفوه عن تعيينه . وأسندت الوزارة إلى أبي العباس الفضل ابن أحمد الذى استغل مركزه فى تحقيق المنافع الشخصية ، وابتزاز الاحوال ، وظلم الناس حتى تدهورت الاحوال فى خراسان ، وحل بأهلها البؤس والفقر ، وعمت منه الشكوى فرأى السلطان أن يتدارك الامر بإسناده إلى الكفء القادر أحمد بن الحسن الميمندى . وكان الميمندى فى أول الامر يلى ديوان الرسائل للسلطان أيام كان السلطان صاحب الجيوش بخراسان من قبل أبيه . ثم وسع السلطان دائرة اختصاصه ونفوذه وولاه أمر عساكره ، وأضاف إليه أعمال بست والرخج وكثيرا ما عهد السلطان إليه إنجاز المهام الخطيرة

(١) مجالس المؤمنين : ص ٥٠٤ .

(٢) چهار مقاله : ص ٤١ .

فأتجنها على خير وجه ولذا أنس فيه السلطان القدرة والكفاية وهم أن يسند الوزارة إليه من مبدأ الامر لولا أن سبقه إليها الوزير أبو العباس الفضل بن أحمد . ثم عاد فأسندها إليه بعد أن فشل أبو العباس . وبلغ من ثقة السلطان في الميمندى أنه كان إذا خرج للغزو وكل إليه تصريف الامور في غيابه .

ومن مآثر الميمندى على العربية أنه لما ولى الوزارة أمر بالامتناع عن استخدام الفارسية إلا عن ضرورة كجهل من يكتب إليه وعجزه عن فهم العربية . والميمندى هذا هو الذى توسط عند السلطان محمود ليعطى سراج البيرونى ، فلما أطلقه أخذ يفهمه ما ينبغي على من يخاطب السلطان من الاستحسان لرأيه ، والتأمين على قوله حتى يأمن - جانبه ويتقى غضبه (١) .

واللهرة الثانية لم يسلم الميمندى من وشاية الواشين فإنه لما ارتفع أمره ، واستقل بضبط أمور الملك ، سعى جماعة من كبار الامراء فى الإيقاع بينه وبين السلطان ، ونجحوا فى حمل السلطان على عزله ، وحبسه فى قلعة من قلاع بلاد الهند . وظل الميمندى محبوساً هناك حتى توفى السلطان محمود ، وتولى بعده السلطان مسعود فأخرجه من تلك القلعة وأعادته ثانية إلى منصب الوزارة . وظل يشغل هذا المنصب إلى أن توفى فى سنة ٤٢٤ هـ (٢) .

هذا هو الميمندى الذى يقول العروضى إنه مهد السبيل فى البلاط للفردوسى ولكن هناك فريقاً من الباحثين يخالفون العروضى فى رأيه ويرون أن الوزير الذى رحب بالفردوسى فى بلاط السلطان محمود كان أبا العباس فضل بن أحمد الاسفراينى . وحجتهم فى هذا أن الاسفراينى كان متعصباً للفارسية حتى أمر بنقل الدواوين من العربية إلى الفارسية . ومن المعقول أن يلجأ الفردوسى

الحكاية الثالثة من المقالة الثالثة .

ص ٦٢

(١) جبار مقالة :

ط طهران نشر نفيسى .

(٢) دستور الوزراء ، مؤندمير . ص ٤٠ .

إلى مثل هذا الرجل . كما أن الفردوسي نفسه قد أثنى عليه في شاهنامه<sup>(١)</sup> بينما لم يرد في الشاهنامه ذكر عن الميمندي . ويقال إن مصدر ما لقيه الفردوسي من الحرمان انقطاع صلته بأبي العباس الأسفرائيني عند ما عزل هذا الأخير وضو درت أمواله .

ويرجع البعض سبب ما لقيه الفردوسي من الحرمان والإعراض إلى الفردوسي نفسه الذي اعتبر الاتراك في منظومته أعداء إيران ونسى أن محمودا تركي وأنه من سلالة هؤلاء الاتراك ، وكان من السهل أن يؤثر الوشاة على السلطان ما دام الشاعر ينظر في منظومته إلى أجداد محمود هذه النظرة ، وليس بغريب أن يضيق صدر السلطان بعصية الشاعر لقومه الإيرانيين الذين جمع فيهم الفضائل وجرّد أعداءهم الاتراك عنها .

ويروي صاحب تاريخ سيستان أن الشاعر بعد أن فرغ من نظم الشاهنامه قدمها إلى السلطان محمود الذي قال بعد أن قرأها في بصعة أيام إن هذه الشاهنامه ليست شيئا سوى الحديث عن رستم وبين رجال جينشي ألف رجل يشبهون رستم . ولكن الفردوسي تعصبا منه لم يشأ أن يعترف بوجود من يشبه رستم بين جند السلطان وأصر في حضرة السلطان على أنه لم يخلق لرستم نظير حتى الآن ثم انصرف . فقال محمود لوزيره هذا الرجل الحقير يعرض بي ، فأشار عليه الوزير أن يقتله فطلبوه ولكنهم لم يجدوه<sup>(٢)</sup> .

### فرار الفردوسي :

استطاع الوشاة أن ينالوا من الشاعر عند السلطان ، وساعدهم الشاعر على

(١) الشاهنامه : ص ١٢٧٣ ج ٥ .

(٢) تاريخ سيستان : ص ٧ تصحيح بهار .

النيل منه بهذه العصبية الممقوتة ، فانصرف السلطان عنه ولم يكافئه بما كان قد وعده به عند اتمام الشاهنامه . ويقال إن السلطان قد اتجهت رغبته أول الامر إلى مكافأته بستين ألف دينار ذهباً لكنها نقصت بفعل الوشاة وتأثيرهم إلى ستين ألف درهم فضة . و يروى أن الشاعر حين خرج من الحمام ولقى رسول السلطان وعلم منه أن الجائزة دراهم فضية وليست دنائير ذهبية ألقى أكياس المال على الأرض وطلب من الرسول أن يبلغ السلطان أنه لم يكن ليعانق ما عاناه في سبيل إتمام الكتاب من أجل مبلغ كهذا . وفي رواية أخرى أن الجائزة جاءت مخيبة لآمال الشاعر فوزعها بين الحامى وفقاعى كان قد شرب منه فقاعا . احتقارا لقدرة الجائزة .

وكان طبعياً أن يغضب السلطان من فعلة الشاعر وأن يرسل في طلبه . ولكن الشاعر لم يكن ليفعلها وينتظر في المدينة حتى تأتية رسل السلطان وتحمله اليه حيث يلقي جزاءه على هذه الالهة التي وجهها إلى السلطان فقر من غزوة ليلا إلى هراة واختمى في دار اسماعيل الوراق - والد الأزرقي الشاعر - ستة أشهر حتى كف عن طلبه رسل السلطان ، ثم انتقل بعد ذلك إلى طوس وحمل الشاهنامه وسار إلى ملك طبرستان في ذلك الوقت الاصبهيد شهريار (١) . وأراد أن يقدم اليه الشاهنامه ويجعلها باسمه بعد أن يمحو اسم محمود منها . وكان اصبهيد شهريار خاضعا لنفوذ محمود فلم ير من الحكمة أن يقبل هذا العرض ، وأخذ يسترضى الشاعر ، ويطيب خاطره . حتى ينسى ما لقيه من اهمال السلطان ويمحو ما كان قد أثبتته في الشاهنامه من هجائه . وقد طالب الشاعر نفسه ، ورضى أن يمحو ذلك الهجاء . وكان مائة بيت - فاندرس ولم يبق منه كما بقول العروضى

---

(١) شهريار بن شروين حكم مدة طويلة وكان معاصرا لركن الدولة البويهى ، وشمس المعالى قابوس بن وشمكير .

سوی هذه الآيات الستة (۱) :-

لقد طعنوا علی وقالوا - إن ذلك الثرثار  
قد شاب علی حب النبی وعلی (۲)  
ولئن تحدثت عن حبی لهم  
لمیت مائة من أشغال محمود (۳)  
إن ابن الأمة لا یحسن أمرا  
ولو كان أبوه مملوكا (۴)  
ما أكثر ما أتحدث به فی هذا الموضوع  
الذی هو كالبحر لا أعرف له نهایه (۵)  
لم یكن للملك مجال فی فعل الخیر  
وللا لرفعنی فوق العرش (۶)

(۱) چهارمقاله ص ۴۲ .

- (۲) مراغمز کردند کان پرسخن .
- (۳) بمهر یی وعلی شد کهن .
- (۴) اگر مهرشان من حکایت کنم .
- (۵) چو محمود را صد حمایت، کنم .
- (۶) پرستار زاده نیاید بکار .
- (۷) وگر چند باشد پدر شهریار .
- (۸) ارین در سخن چند رانم همی .
- (۹) چو دریا کرانه ندانم همی .
- (۱۰) به نیکی نباشد شاه را دستگاه .
- (۱۱) وگرنه مرا بر نشاندی بگناه .

ولما لم يكن أصله عظيماً

فإنه لم يحسن الإصغاء إلى العظماء (١)

ويقضى الشاعر بقية حياته في طوس ، ويشغل محمود بفتوحه في الهند إلى أن جاء يوم كان السلطان عائداً فيه إلى غزنين من إحدى غزواته فاعترضه في الطريق أحد الشوار وقد تحصن في قلعة حصينة ، فتوقف محمود لمنازلته . ورأى قبل الشروع في القتال أن يرسل إليه رسولا يدعو إلى طاعة السلطان والمثول بين يديه . وكان السلطان فيما يظهر قلقاً من أمر هذا الثائر حتى أنه سأل وزيره الميمندي ماذا يكون موقفنا لو رفض هذا الثائر ما دعونا إليه . فتمثل الوزير ببنت الفردوسي الذي يقول فيه :-

إذا جاء الجواب مخالفاً لرغبتي

فأنا والدبوس والميدان وأفرا سياب (٢)

وسمع السلطان البيت ، فأعجبه ما يسمع فيه من القوة والحزم وسأل عن قائله فعرف أنه الفردوسي الذي قضى السنين الطوال ينظم الشاهنامه حتى أتمها دون أن يرى ثمرة لعمله . فأسف السلطان على ما كان من إهماله الشاعر ، وأراد أن يعرضه عما فاتته ، فأرسل إليه بعد عودته إلى غزنين الهدايا العظيمة محملة على الإبل ، ولكن هذه الهدايا وصلت متأخرة إذ يسما كانت الإبل تدخل المدينة من بوابة « رودبار » كانت جنازة الفردوسي تخرج من المدينة من بوابة « رزان » .

(١) چواندیر تبارش بزرگسی بنود .

ندانست نام بزرگان شنود .

(٢) اگر جز بکام من آید جواب .

من و گرز و میدان و افرا سیاب .

### وفاة الفردوسى :

وفى أواخر عمر الفردوسى استولى عليه الضعف الشديد إذ كان عمره فوق الثمانين ، وخابت آماله فى الحياة والناس ، وأثر فيه جرحه على ابنه الذى مات قبله فى سن السابعة والثلاثين . وكانت نهاية الشاعر فى سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م . وترك من بعده ابنة شديدة الكبرياء رفضت هدية السلطان مع شدة حاجتها اليها فرأى المسكفون بالأمر أن يخلدوا بهذه الأموال ذكر الفردوسى فبنوا لها رباطا باسمه . وفى بعض المصادر أن اسم هذا الرباط « چاهه » .<sup>(١)</sup>

ودفن الشاعر فى الحديقة التى كان يملكها . وقد زار قبره النظامى العروضى فى سنة ٥١٠ هـ<sup>(٢)</sup> . ويذكر قاضى شوشترى<sup>(٣)</sup> أنه زار قبر الفردوسى فى خرائب طوس . وقد أمر بعمارة عبيد الله خان اوزبك ، ويزوره الناس وخصوصا جمهور الشيعة<sup>(٤)</sup> .

(١) نهار مقاله : ص ٤٣

(٢) نهار مقاله : ص ٤٣

(٣) القاضى الشوشترى هو سيد نور الله بن شريف المرعشى الشوشترى المعروف بقاضى شوشترى . قتل فى سنة ١٠١٩ هـ . وكتابه « مجالس المؤمنين » من مؤلفات القرن الحادى عشر الهجرى .

(٤) مجالس المؤمنين : ص ٥٠٦ .

## ٢ — انتشار الثقافة البهلوية في العهد الاسلامي

يرجع الفضل في تأليف شاهنامه الفردوسى أو غيرها من الشاهنامات التى تقدمتها إلى ما كان منشورا في ذلك الوقت من الثقافة البهلوية التى وصلت إلى المسلمين مترجمة في أغلب الأحوال على يد فريق من المترجمين المسلمين وكانت هذه المؤلفات البهلوية القديمة معروفة لدى المؤرخين الإسلاميين . فالمسعودى مثلا يتحدثنا عن كتاب للفرس يقال له « كهناماه » فيه مراتب مملكة فارس ، وينذكر عن هذا الكتاب أنه من جملة « آئين نامه » أى كتاب الرسوم ، وكان كتابا عظيما يقع في آلاف الأوراق ، ولا يكاد يوجد كاملا إلا عند الموابدة وغيرهم من ذوى الرياسات<sup>(١)</sup> . وبلغ من انتشار المؤلفات البهلوية على عهد المسعودى أنه رأى بنفسه بمدينة اصطخر من أرض فارس في سنة ٣٠٣ هـ عند بعض أهل البيوتات من الفرس كتابا عظيما يحوى كثيرا من علوم الفرس وأخبارهم وأبنتهم وسياساتهم وغير ذلك من المواد التى لم يجد المسعودى لها نظيرا في كتب الفرس الأخرى « كخداى ناماه » . « وآئين نامه » . « وكهناماه » ويظهر أن هذا الكتاب كان ذا قيمة كبيرة من الناحية الفنية إلى جانب أهميته التاريخية . ويتحدث عنه المسعودى فيقول : « قد صور ( أى الكتاب ) كل واحد منهم ( أى من ملوكهم ) يوم مات شيخا كان أو شابا وحليته وتاجه ومخطط لحيته وصورة وجهه ، وأنهم ملكوا الأرض أربعائة سنة ( يعنى ملوك فارس من آل سامان ) وثلاثا وثلاثين سنة وشهرا وسبعة أيام ، وأنهم كانوا إذا مات ملك من ملوكهم صوروه على هيئته ورفعوه إلى الخزانة كي لا يخفى

(١) التنبيه والإشراف : ص ٩١ ط الصاوى ١٩٣٨ .

على الحى منهم صفة الميت وصورة كل ملك كان في حرب قائما وكل من كان في أمر جالسا وسيرة كل واحد في خواصه وعوامه وما حدث في ملكه من السكوائن العظيمة والأحداث الجليلة وكان تاريخ هذا الكتاب أنه كتب بما وجد في خزائن ملوك فارس للنصف من جمادى الآخرة سنة ١١٢ ونقل لهشام بن عبد الملك بن مروان من الفارسية إلى العربية<sup>(١)</sup> .

وبلغ من شيوع كتب الفرس أن حمزة الأصفهاني ( المتوفى في منتصف القرن الرابع تقريبا ) لى يكتب ما كتب عن ملوك الفرس اضطر إلى أن يجمع النسخ المختلفة النقل فاتفق له منها ثمانى نسخ وهى كتاب سير ملوك الفرس من نقل ابن المقفع وكتاب سير ملوك الفرس من نقل محمد بن الجهم البرمكى وكتاب تاريخ ملوك الفرس المستخرج من خزائن المأمون وكتاب سير ملوك الفرس من نقل زادويه بن شاهويه الاصفهاني وكتاب سير ملوك الفرس من نقل أو جمع محمد بن بهرام بن مطيار الاصفهاني وكتاب تاريخ ملوك بنى ساسان من نقل أو جمع هشام بن قاسم الاصفهاني وكتاب تاريخ ملوك بنى ساسان من اصلاح بهرام ابن مردانشاه موبد كورة شاپور من بلاد فارس<sup>(٢)</sup> . وهكذا ترى أن حمزة استطاع أن يحصل على كل هذه النسخ في الموضوع الواحد<sup>(٣)</sup> .

ويروى حمزة عن بهرام موبد كورة شاپور من بلاد فارس أنه جمع نيفا وعشرين نسخة من كتاب « خدای نامه » حتى يصلح منها تواريخ ملوك الفرس من لدن كيومرث والد البشر إلى آخر أيامهم بانتقال الملك عنهم إلى العرب<sup>(٤)</sup> . وفي عهد بنى العباس اشتغل الموايد الايرانيون في فارس وبغداد بالأموار

(١) التفتيه والاشراف : ص ٩٢، ٩٣ .

(٢) تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩ ط برلين .

(٣) عدد النسخ سبع لا ثمان كما ذكر حمزة

(٤) نفس المصدر : ص ١٩

العلمية والأدبية . ونرى في عصر المأمون « آثور فرن بنغ فرخ زاتان » الموبد  
يؤلف كتابا في بضع مجلدات يحوى على أهم الآداب الدينية الزرد شتبه وهو  
كتاب « دين كرت » (١) . وفي سبك شناسى بيان طويل بأسماء ما ترجم من  
الكتب الفارسية إلى العربية في شتى أنواع المعارف (٢) .

ومن أشهر المترجمين فى هذا الميدان عبد الله بن المقفع الذى ترجم فى  
حدود سنة ٤٣ هـ كتاب « خدای نامه » فى تاريخ ملوك ايران . واسوء الحظ  
فقدت الترجمة العربية لابن المقفع . وكان هذا الكتاب معروفا لدى المؤلفين  
فى العهد الاسلامى .

وهناك غير ابن المقفع نقر اشتغلوا بسير ملوك ايران فترجموا عن الپهلوية  
مباشرة أو قاموا بهذيب واصلاح ترجمة ابن المقفع وغيرها من الترجمات أمثال  
محمد بن الجهم البرمكى ، محمد بن بهرام بن مطيار الأصفهاني ، وهشام بن قاسم  
الأصفهاني ، وموسى بن عيسى الكسروى ، وزادويه بن شاهويه الأصفهاني  
وغيرهم من ذكر اسماءهم حمزة الأصفهاني فى تاريخه ، وابن النديم فى فهرسته ،  
وأبو ريحان البيروني فى الآثار الباقية ... الخ

وإذا كان معظم هذه المؤلفات أو المترجمات التى تحصل بسير ملوك الفرس  
لم تصلنا نحن المتأخرين إلا أن المتقدمين قد استفادوا منها واقتبسوا عنها كثيرا  
من الاقتباسات نجدها فى كتبهم أمثال الطبرى ، والمقدسى ، وابن قتيبة الدينورى ،  
المسعودى ، حمزة الأصفهاني ، البيروني ، والثعالبي وغيرهم .

ولكن ما هى أهم هذه المؤلفات أو المترجمات التى كانت منتشرة فى ذلك  
الوقت ، وعرفها المؤلفون فى العهد الاسلامى ، وكانت مصدرهم فيما ألفوه  
من الشاهنامات .

(١) سبك شناسى . محمد بهار . ص ١٤٥ ج ١

(٢) نفس المصدر والجزء ص ١٥٥

### ٣- مصادر الشاهنامات المختلفة

#### خواتم نامہ :

هذا الكتاب من أهم ما اعتمد عليه مؤلفو الشاهنامات المختلفة . واصل اسمه في الإهلاوية «خوتای نامک» وخوتای بمعن شاه . فاسم الكتاب على هذا «شاه نامہ» . وخوتای نامک الإهلوی کتاب فی تاریخ و سیر ملوک ایران من عهد گیومرت حتى آخر الملوك الساسانيين . ويسميه المؤلفون العرب «سير الملوك» وقد كتب في زمن يزدجرد الثالث<sup>(١)</sup> وبأمره على يددهقان عالم اسمه دانشور . وكانت مادة هذا الكتاب في حقيقة الأمر معدة من قبل يزدجرد إذ كان انوشروان<sup>(٢)</sup> قد أمر بجمع الأخبار المختلفة ووقائع الملوك وتسجيلها في دفاتر رسمية . وكانت هذه النواريس قد حفظت في خزائنه إلى أن جاء يزدجرد فأمر الدهقان دانشور ، وكان من أكابر المدائين وحكائها ، بجمعها وأن يضع لها «فهرست» من بداية دولة گیومرت حتى انتهاء دولة خسرو پرويز ، وكلفه أن يسأل الموابذة والعلماء عن كل مالم يكن مذکوراً في ذلك التاريخ وأن يلحقه به حتى يصير تاماً كاملاً . ولكن إذا كانت مادة الكتاب تنتهي بانتهاء دولة خسرو پرويز فمن أين جاءت هذه الزيادات التي تمت بمادته إلى آخر الملوك الساسانيين . يرجح كريستنسن أنه بعد موت يزدجرد الثالث ألحق العلماء الزردشت بهذا الكتاب ملحقات تتعلق بوقائع العهد الساساني الأخير وزادوها على أصل «خوتای نامک» . وعلى أي حال فإن «خوتای نامک» الأصلي

(١) ملك من حوالي سنة ٦٣٢ إلى سنة ٦٥٢ م

(٢) ملك من سنة ٥٣١ إلى سنة ٥٧٨ م

وقف في حوادثه وأخباره عند نهاية عهد خسرو پرويز<sup>(١)</sup> . وقد ضاع المتن الهلوي لخداينامه في أوائل العهد الإسلامي ولكن بقيت منه أجزاء متفرقة في كتب التاريخ المختلفة . وقد ترجم في النصف الأول من القرن الثاني الهجري على يد عبد الله بن المقفع إلى العربية وسماه « سير ملوك الفرس » والمعتقد أن ابن المقفع ترجمه عن الأصل الهلوي رأسا .

ويظهر أن المؤلفين الفرس أنفسهم قد زادوا على النص الأصلي زيادات مختلفة كما يذكر كرستنس فيما سبق ، وأن أيدي النساخ قد عبثت بالكتاب إلى حد دعا حمزة الأصفهاني إلى أن يذكر نقلا عن موسى بن عيسى الكسروي أنه نظر في نسخ الكتاب المسمى « خدای نامه » والذي سمي كتاب تاريخ ملوك الفرس بعد نقله إلى العربية وبخبرها بحث استقصاء فوجدها مختلفة حتى إنه لم يظفر منها بنسختين متفقتين<sup>(٢)</sup> . وعلى كل حال فإن هذا الكتاب بعد أن ترجمه عبد الله بن المقفع قلت أهمية منه الأصلي وضعف رواج هذا المتن إلى أن اختفى نهائيا ثم اختفت من بعده الترجمة العربية .

ويرى ذبيح الله صفا أن ما كتب عن أساطير إيران من بدء عهد كيومرث حتى عهد يزديجرد بن شهریار في الكتب المعتمدة أمثال عيون الأخبار ، والأخبار الطوال للدينوري ، وتاريخ الباعصی ، ومروج الذهب ، والتلييه والاشراف ، وسنن ملوك الأرض ، وغرر أخبار ملوك الفرس ، والآثار الباقية ، والشاهنامه للفردوسي ، ويحمل التواريخ والقصص ، وكامل التواريخ لابن الأثير إنما هو مأخوذ عن متن خدای نامه أو من سير الملوك لابن المقفع

(١) كريستنس : تاريخ إيران في عهد الساسانيين الترجمة الفارسية لرشيد ياسمي

(٢) تاريخ سنن ملوك الأرض : ج ١ ص ١٥ طيرلین .

أو مقتبس من الترجمات الأخرى (١).

### بانتظار زريبراه :

متن هذا الكتاب الهلوى باق حتى اليوم ، وقد طبع الأصل في بمباى فى ١٦ صفحة . ويشمل ما يقرب من ٣١٦ سطرا . ويقال له أيضا شاهنامه گشتاسب . والألف والنون فى زريبراه علامة النسبة . ومن هذا يتبين أن وقائع الكتاب منسوبة إلى زريبراه أخى گشتاسب . وقد رأى المستشرق الفرنسى المعروف Beneveniste أن الكتاب بصورته الحالية منظوم فى العهد الاشكانى وقد أدخلت عليه تغييرات فى العهد الساسانى حتى انتهى أمره إلى ما صار عليه . واستطاع هذا العالم بعد بحث وتحقيق أن يحدد الكتاب من الزيادات والاضافات التى لحقت فى العهد الساسانى (٢).

وهذا الكتاب منظوم . وموضوع هذه المنظومة مذهبي يصور النزاع الذى قام بين الايرانيين والثورانيين حول المذهب الزردشتى ، فقد اعتنق الملك گشتاسب هذا الدين وتبعه شعبه . وكان ملك الثوران والصين فى ذلك الوقت أرجاسپ يأخذ الأتاوة من الايرانيين ، فأشار زردشت على گشتاسب أن يكف عن دفع هذه الأتاوة ، فأجابه إلى مشورته . فلما بلغ ذلك أرجاسپ كتب إلى گشتاسب كتابا طويلا عنفه فيه على دخوله فى هذا الدين الجديد وأمره بتركه وعدم الاستماع إلى مشورة ذلك لرجل . أى زردشت . وأن يرجع إلى سيرته الأولى فى دفع الأتاوة وأخذ يهدده إن لم يسمع ويطيع بالحرب والويل والدمار والقتل . ولما وصل إلى گشتاسب كتاب أرجاسپ عرضه على

(١) خمسه سرائى ذرايراث : ص ٦٨

(٢) نفس المصدر : ص ١١٦

رجال دولته. فأبوا أن يقبلوا التهديد ، وتقدم زريز أخو گشتاسپ وولده اسفنديار إلى الملك مستأذنين في الرد على هذه الرسالة ، فأذن لهما گشتاسپ ؛ وردا على ملك التوران ردا قاسيا ملاء بالتهديد والوعيد . وكان من جراء هذا أن نشبت الحرب بين الفريقين وجمع ملك الترك جيوشه ، وأقبل مندفعاً إلى أرض الايرانيين . وهناك تلاقى الجيوش ودامت الحرب بينهم أسبوعين انتهت بانهمزام أرجاسپ وعودته خائباً إلى بلاده ، لكن انتصار الايرانيين لم يكن هيناً سهلاً إذ فقدوا في هذه الحرب ثلاثين ألفاً من القتلى كان من بينهم زريز أخو گشتاسپ ، وهكذا راح زريز ضحية الدفاع عن الدين والذود عن حياضه مما جعل له مكانة خاصة في القصص الايراني ، وهذا الكتاب نقله الدقيقي في الجزء الذي نظمته من الشاهنامه عن گشتاسپ وقدره ألف بيت (١) .

### طرافمه اردشير بابطاه :

هو كتيب بالهلوية في مثل حجم الكتيب السابق . وهو من القصص الحماسية المشهورة . وقد ألف هذا الكتيب في أواخر العهد الساساني حوالي سنة ٦٠٠ م . ويتحدث هذا الكتيب عن أعمال الملك أردشير وأحياناً يتعرض لأعمال ابنه وحفيده . وكان هذا الكتاب من بين ما وصلنا من آثار العهد الساساني . وقد طبع في بمبائ بالهند .

ومن أسباب أهمية كارتامه أردشير أنه مصدر لفصل كبير من شاهنامه المنصوري التي هي بدورها مصدر مهم لشاهنامه الفردوسي المنظومة ، وذلك فيما يتعلق بالفصل الخاص بأردشير من بداية أمره حتى ولادة هرمز بن شاپور . وما يؤيد استفادة الشاهنامه من هذا الكتاب التقارب الكامل والارتباط المستقيم

(١) الشاهنامه : ص ١٥٠٠ ج ٦ طبروخم . تهران

بين الشاهنامه والنسخة الموجودة من كارنامه أردشير بابكان فيما يتصل بحياة أردشير<sup>(١)</sup>. ويرى فولدكه أن الفردوسي قد استفاد من هذه القصة التي امتزج فيها التاريخ بالأسطورة إلا أنه قد رفع منها أجزاء تتحدث عن الديانة الفارسية القديمة لعدم ملاءمتها للسليين كما اختصر في بعض الحوادث وأضاف إليها بعض الإضافات<sup>(٢)</sup>. ويظهر من نص أورده صاحب مجمل التواريخ أن هذا الكتاب كان مشهوراً في زمن المؤلف<sup>(٣)</sup> وكان معروفاً باسم عهد أردشير<sup>(٤)</sup>. وقد ترجم هذا الكتاب إلى الألمانية بواسطة فولدكه في ١٨٧٨ م.

### قصة رسم وسفر يار :

يورد ابن النديم هذا الكتاب من بين الكتب المؤلفة في السير والاسفار الصحيحة التي للمؤلفين<sup>(٥)</sup> وقد ترجمه جيله بن سالم<sup>(٦)</sup> وكانت هذه القصة من القصص الذائعة وقتذاك . وهذه القصة مثل عدد غيرها من القصص كقصة أردشير بابكان ، بهرام چوبين ، رسم وسهراب ، ويژن ومينوة من القصص التي نقلت عن مصادرها المستقلة وضمت إلى الشاهنامه . ويرى ابن هشام في السيرة أن هذه القصة كانت معروفة تروى في بداية عهد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام .

(١) حماسه سرائی در ایران : ص ١٢٨

(٢) الحاشية الايرانية لنولدكه : ص ١١ ترجمة Bogdanov

(٣) ألف كتاب مجمل التواريخ والقصص سنة ٥٢٠ هـ في عهد السلطان سنجر ومؤلفه مجهول . ويتحدث هذا الكتاب عن تاريخ العالم من مبدأ الخلق حتى سنة تأليفه ويفصل الكلام فيما يتصل بتاريخ ايران .

(٤) مجمل التواريخ : ص ٦١

(٥) الفهرست : ص ٣٠٥ خط ليرنج

(٦) هو جيله بن سالم بن عبد العزيز كاتب هشام بن عبد الملك المتوفى سنة ١٢٥ هـ

ويذكره أن النضر بن الحارث كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك القرس وأحاديث رستم واسبنديار ، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الامم من نعمة الله خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال : أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثا منه فهلهم إلى فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار . . الخ<sup>(١)</sup> .

### قصة بهرام جويين :

وقد ذكرها كذلك ابن التميمي وترجمها جبلة بن سالم<sup>(٢)</sup> . وقد ضاعت هذه القصة وترجمتها . وبقي منها بعض الآثار في المصادر المختلفة كالشاهنامه للفردوسي ، وحديثها طويل عن قصة بهرام جويين ، وكتب التاريخ المختلفة كالأخبار الطوال<sup>(٣)</sup> والطبري وابن الأثير وغيرها . وكانت ترجمة هذه القصة سيلا إلى ذيوع شهرتها في العهد الإسلامي .

### قصة ريس ورامين :

وترجع هذه القصة إلى عهد شهابور بن أردشير بابكان . وقد ظل المثنى الهلوي لهذه القصة مروفا حتى عهد طغرل السلجوقي يعني النصف الأول من القرن الخامس الهجري . وفي عصر هذا الملك ترجمها نظما بالشعر الفارسي فخر الدين أسعد گرگاني .

(١) سيرة ابن هشام : ض ٣٢١ ج ١ ط الحلبي ١٩٣٦

(٢) الفهرست : ص ٣٠٥ ط ليرج

(٣) الأخبار الطوال : ص ٧٩ وما بعدها ط السعادة ١٣٣٠ هـ

### كتاب أخبار الإسكندر :

وهو مأخوذ من الأساطير اليونانية التي رواها جنود الإسكندر الذين انتشروا في البلاد الفارسية بعد الغزو الاسكندري . ومن مجموع قصص هذا الكتاب يبدو أنه كتب باليونانية في حدود القرن الثالث الميلادي في مصر ونسب إلى واحد من المؤرخين المعاصرين للإسكندر وهو « كاليستس » . وقد ترجم هذا الكتاب فيما يظهر إلى العربية . وقصص الإسكندر المعروفة في اللغة الفارسية باسم « سكندر نامه » كانت مشهورة . وقد استفاد مؤلفوها من هذا الكتاب كالفردوسي والنظامي . وهذا الكتاب استمد مادته من أخبار الإسكندر واختلطت فيه الموضوعات ببعض الحقائق التاريخية وبعض الروايات السريانية والأقاصيص الإيرانية (١) .

### كتاب السكيكين :

هكذا يذكر المسعودي اسم الكتاب في حديثه عن مقتل أفراسياب ويقول : « والفرس كلام طويل في قتل أفراسياب وكيفية قتله وحروبه وما كان بين الفرس وترك من الحروب والغارات وما كان من قتل سياوخش وخبر رستم بن دستان هذا كله مشروح في الكتاب المترجم بكتاب السكيكين ترجمه ابن المقفع من الفارسية الأولى إلى العربية » . (٢) ويقول بعد قليل إن هذا الكتاب تعظمه الفرس لما قد تضمن من خبر أسلافهم وسير ملوكهم (٣) . وفي

(١) حماسه سرائي در ايران : ص ٨٦

(٢) مروج الذهب : ص ١٤ ج ١ ط البنية المصرية ١٣٤٦

(٣) نفس المصدر والجزء : ص ١٤١

اسم هذا الكتاب تحريف . وقد ورد اسمه بصور مختلفة في المصادر المختلفة  
فباريه دى مينار Barbier de Meynard ناشر مروج الذهب طبعة باريس  
يصححه « سكيران » <sup>(١)</sup> . ويرى كريستنسن Christensen أن هذا التصحيح  
لا يبعد عن الحقيقة لأن سكيران في اللغة الهلوية « سكيران » يعنى  
« سران سلك » ، « سران سگستان » ( سيستان ) . ويعتقد صاحب حماسه  
سرائى أن أصل الكلمة سكسين ، سگزيين ( سگزيان ) . ومن عنوان الكتاب  
يرجح أن يكون موضوع حديثه عن أهل سيستان وأخبار رستم <sup>(٢)</sup> . ومن  
هنا تأتى أهمية المادة الواردة في هذا الكتاب لصلتها برستم وأبطال سيستان  
وغير ذلك من الحوادث والوقائع التى جرت في عهد الكيانيين .

### كتاب التاج : ( تاج نامك )

وهو من الكتب التى ذكرها ابن النديم ويسميه كتاب التاج وما تألفت به  
ملوكهم <sup>(٣)</sup> . وقد استفاد منه ابن قتيبة صاحب عيون الأخبار .

### نامه تفسر :

وكان تفسر أحد أمراء ملوك الطوائف وقد ورث عن أبيه الملك ولكنه  
تخلى عنه واختار العزلة ، فلما ظهر أردشير وتغلب على أردوان واستقل بالملك  
دخل فى خدمته ، وكان له ناصحا ومشيرا . وكان تفسر زاهدا ورعا فكلفه  
أردشير أن يجمع المتسون المقدسة الزرادشتية وأن يعيد كتابة الأستا ولقبه

- 
- |                   |                   |
|-------------------|-------------------|
| (١) مروج الذهب :  | ص ١١٨ ج ٢ ط باريس |
| (٢) حماسه سرائى : | ص ٤٣              |
| (٣) الفهرست :     | ص ٣٠٥             |

«پور یو تکیش» أى «دارای کیش پیشینیان»<sup>(١)</sup> . بمعنى راعى دين الاسلاف .  
ويذكر المسعودى أن أردشير بن بابك اتصل فى بدء ملكه بزاهد من  
زهادهم وابناء ملوكهم يقال له تنسر وكان افلاطونى المذهب على رأى سقراط  
وأفلاطون<sup>(٢)</sup> .

ومن المؤلفات التى تحدثت عن تنسر هذا غير المروج والتنبيه للمسعودى ،  
تجارب الأمم لأبى على مسكويه<sup>(٣)</sup> ، وتحقيق ما للهند من مقوله لأبى ریحان  
البيرونى<sup>(٤)</sup> ، فارسنامه فى حديثه عن أردشير بابكان ضمن ملوك الساسانيين<sup>(٥)</sup> ،  
وتاريخ طبرستان لابن اسفنديار<sup>(٦)</sup> .

(١) نامه تنسر ص و دیباجه مجتبى مینوی طهران

(٢) مروج الذهب ص ١٥٤ ج ١

(٣) هو أبو على الخازن احمد بن محمد يعقوب الملقب بمسكويه . أسلم بعد أن كان  
مجوسيا كان ذا علم بكثير من فروع المعرفة والدراسة كالفلسفة والكيمياء والأدب  
والفقه والتاريخ . اتصل بالبويعيين وعظم شأنه عندهم . كان مؤلفا وشاعرا ونائرا .  
ومن مؤلفاته كتاب تجارب الأمم ويعرض فيه تاريخ الأمم من بدء الخليقة إلى عام  
٣٦٩ هـ . وتوفى أبو على سنة ٤٢١ هـ .

(٤) البيرونى من أشهر علماء المسلمين فى الفلك والرياضيات وينسب إلى بيرون من  
بلاد الهند ، أقام فى بلاد الهند مدة طويلة ألم فيها بكثير من علوم الهند . وله مؤلفات  
فى الفلك والرياضيات والتاريخ . ومن أشهر مؤلفاته : الآثار الباقية عن القرون  
الخالفة ، التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ... الخ

(٥) فارسنامه : لابن البلخى ألفه فى بداية القرن السادس الهجرى ويتناول الحديث  
عن ملوك الفرس وأنسابهم وتوارثهم من أقدم العهود حتى نهاية الدولة الساسانية ، وعن  
فتح المسلمين لبلاد الفرس ، وجغرافية بلاد فارس ... الخ . نشره ليسترانج ونيكلسون  
سنة ١٩٢١ م .

(٦) تاريخ طبرستان : تأليف بهاء الدين محمد بن حسن بن اسفنديار من طبرستان .  
ويتحدث فيه المؤلف عن تاريخ هذه البلاد حتى سنة ٦١٣ هـ .

وقد ترجم ابن المقفع رسالة « نامه تفسر » من الپهلوية إلى العربية وضاع الأصل الپهلوی ثم ضاعت بعد ذلك الترجمة العربية بعد أن ترجمها إلى الفارسية محمد بن حسن بن اسفندیار صاحب تاریخ طبرستان في أوائل القرن السابع الهجري . وقد بقيت هذه الترجمة الفارسية التي ترجمت بدورها عن الترجمة العربية .

وموضوع هذا الكتاب رسالة تفسر هر بزان ه بذ اردشير بابكان إلى «چسنسف» ملك طبرستان . وقد ترجم هذا الكتاب ونشره مع تعليقات قيمة المرحوم جيمس دار مستر سنة ١٨٩٤ بالمجلة الآسيوية Journal Asiatique .

### مترتك نامه :

أو كتاب الشطرنج . وهو كما يبدو من اسمه رسالة وضعت عن اختراع الشطرنج الذي قدمه ملك الهند هدية إلى افو شروان وكيف اخترع بزرجمهر الحكيم المعروف في عهد افو شروان النرد ليقدم هدية إلى ملك الهند إزاء هديته وقد استفادت الشاهنامه من هذه الرسالة في الأجزاء المتعلقة بهذا الموضوع .

### كتاب الكريمانج (٥)

وقد تحدث عنه المسعودي فذكر أنه كتاب عن اردشير بن بابك وحزبه وسيره (١) .

### آئين نامك :

أو كتاب الآين بمعنى الرسوم . وهو كتاب ضخيم سبق أن أشرنا إليه . وقد نقله ابن المقفع الى اللغة العربية . وهو كتاب في الرسوم والآداب المتصلة بالبلاط والأسمار والأخبار وترتيب رجال الدولة على عهد الساسانيين .

### كاهنامك :

وهذا الكتاب في الواقع حسب نص المسعودي <sup>(١)</sup> جزء من آئين نامك السابق . وفيه ذكر مراتب رجال الدولة والبلاط في العهد الساساني . وقد استفاد من آئين نامك ( بما يتضمنه من كاهنامه ) عدد كبير من الكتاب والمؤرخين الاسلاميين الذين كتبوا في موضوعات النظم والادارة والآداب المتصلة ببلاط ملوك الفرس . ومن أخص هؤلاء ابن قتيبة الدينوري الذي يقتبس عن الآين في كثير من أبواب كتابه ، ويشير إلى ذلك صراحة فيقول مثلا في مواضع كثيرة من كتابه : « وقرأت في الآين ... » <sup>(٢)</sup> ، ومنهم الثعالبي الذي يقتبس منه وينص على ذلك فيقول « وفي كتاب الآين ... » <sup>(٣)</sup> ، والمسعودي في مروج الذهب ، واليعقوبي ، والجاحظ ، وغيرهم .

وهناك إلى جانب كل هذه الكتب مجموعة أخرى من الكتب الديلية والمذهبية وقد حفظت هذه الكتب كثيرا من الروايات الوطنية الايرانية . ومن بين هذه الكتب :-

- |                    |                                    |
|--------------------|------------------------------------|
| (١) التنبيه :      | ص ٩١                               |
| (٢) عيون الأخبار : | ص ١١٢ ج ١ ط دار الكتب المصرية ١٩٢٥ |
| (٣) الفرس :        | ص ١٤ ط باريس                       |

ديكرد :

وهو من أهم الكتب التي ألقت بالهلوية . وكان هذا الكتاب أصلا في تسع مجلدات وقد كتبه «آتور فرنغ فرخ زاتان» . وكان يعيش في القرن الثاني والثالث الهجري ويرجع تاريخ كتابه إلى هذا العهد . وهو عبارة عن مجموعة كبيرة من التوجيهات الدينية تتضمن كثيرا من العادات والعقائد والروايات . وهو يتحدث إلى جانب هذا عن أحوال كثير من ملوك الفرس القدماء أمثال كيومرث ، هوشنك ، جمشيد ، وفريدون ، ومنوچهر . الخ حديثا تسوده الناحية الدينية . ولدينا من هذا الكتاب الجزء الخامس وقد نشره في بمباي « بشوتن دستور بهراجي سنجانا » سنة ١٨٨٨ م . وفي هذا الجزء يتحدث عن موضوعات مختلفة تعلوها المسيحة الدينية . ففي حديثه عن الملك زو يصفه بأنه حارب الشر حتى اختفت الشياطين من مملكته في عهده . وقد نفي هذا الملك المفسدين من ايران وأجبرهم على الاختفاء<sup>(١)</sup> . وفي حديثه عن أفضل الملوك يتخذ من جمشيد وكشتاسب مثلين لما ينبغي أن يكون عليه الملوك من العظمة والإخلاص للدين والغيرة عليه .<sup>(٢)</sup> ويوجه رجال الدين إلى اتخاذ الملابس البيضاء فإنها أنسب لهم<sup>(٣)</sup> . وفي فصل آخر يتحدث عن الخير والشر ويذكر أن الناس يكونون أخيارا أو أشرارا وفق ما فطروا عليه من خصال حميدة أو من ذواهل الشر . والخصال الحميدة في الناس ترجع إلى اتصالهم بالمجد الإلهي بينما ترجع صفات الشر إلى انضوائهم تحت ظل الشيطان (اهرين) . وإذا كان الانسان على صلة

ص ٢٧٣ ج ٥ ط بمباي ١٨٨٨ م .

ص ٢٧٩ ، ٢٨٠

ص ٢٩٧

(١) دينكرد :

(٢) نفس المصدر :

(٣) نفس المصدر :

وثيقة بالإله تجمعت في طبيعته أحسن الصفات وأصبح مخلوقا ذا طبيعة خيرة وإذا وقع تحت ظل الشيطان أصبح ذا طبيعة شريرة<sup>(١)</sup>. ومن أهم مجلدات هذا الكتاب المجلد الثامن الذي يشمل خلاصة ما جاء في الواحد والعشرين نسكا من الأستا التي جمعت في عهد الساسانيين<sup>(٢)</sup>.

### بند هشت:

ومعنى بندهشن أصل الخليفة. وهذا الكتاب پہلوی يحتوي على كثير من القصص والروايات التاريخية والدينية الزردشتية. ومن عنوانه يفهم أنه يتحدث عن أصل الخليفة وغير ذلك من المسائل الدينية وما يصاحبها من روايات تاريخية أو قومية. وأهم ما فيه من الفصول الفصل الثالث والثلاثون ففيه طرف من تاريخ القصص الإيراني حتى نهاية العهد الساساني وفي الفصل الخامس والثلاثين حديث عن أصل السكيانيين ونسبهم. وفي الفصل الحادي والثلاثين حديث عن الأماكن المهمة من إيران التي اتخذها السكيانيون مقرا لهم<sup>(٣)</sup>. ومؤلف تاريخ سيستان يذكر هذا الكتاب ولكنه يورد اسمه خطأ على هذا النحو «ابن دهشتي». وفي ثانيا حديثه عن أبي المؤيد البلخي يذكر أن أبا المؤيد استفاد من هذا الكتاب في تكوين معلوماته فكانت بذلك مصدرا من مصادره<sup>(٤)</sup>.

### دانشنامه دینیک :

وهو واحد من هذه الكتب الدينية پہلویة. وقد ألفه في القرن التاسع

- 
- |                          |   |                      |
|--------------------------|---|----------------------|
| (١) دینکرد               | : | ص ٣٣٩ - ٣٤٠          |
| (٢) حماسه سرائی          | : | ص ٥٠                 |
| (٣) نفس المصدر والصفحة : |   |                      |
| (٤) تاريخ سيستان         | : | ص ١٦، ١٧ تصحيح بهار. |

الميلادى موبد اسمه «يوزدان سيم».

مبنى خرد :

وهو كتاب دينى يتصل موضوعه بالأخلاق والأساطير والعلم بالأمور الدينية. وأهم فصول هذا الكتاب الفصل السابع والعشرون الذى يشمل أعمال ملوك ايران حتى عهد گشتاسب<sup>(١)</sup>.

مزدك نامه :

ويتعلق هذا الكتاب كما هو واضح من اسمه بقصة مزدك ، وقد ترجمها ابن المقفع ونظمها اللاحقى<sup>(٢)</sup>.



وقد انتشرت هذه المؤلفات، والثقافة الوطنية الفارسية القديمة . وكان كثير من الايرانيين وخاصة الدهاقين والموابدة وأهل البيوتات يحفظون سلسلة أنسابهم والروايات والأحاديث التى ترجع إلى اجدادهم ، ويتناقلونها جيلا بعد جيل . وما من شك فى أنهم بطبيعة الحال كانوا يزيّدون فيما يروون ، ولكنهم على أى حال قدموا مادة خصبة عن اسلافهم. ونشطت حركة الترجمة التى اشترك فيها العرب والفرس حتى تجمع للمسلمين محصول وافر فيما يتعلق بأخبار الفرس وقصصهم وسيرهم . ونتج عن هذا نهضة عظيمة لغت أنظار كثيرين من الأدباء. وتزايد الشعور القومى عند الفرس فأخذوا فى جمع هذه المادة الخصبة التى

---

(١) جمليه سرانى : ص ٥٢

(٢) الفهرست : ص ١١٨

أُتيحت لهم ، وتنسيقها والتأليف بينها وصوغها من جديد في قالب شعري أو  
ثري . ومن هنا نشأت الشاهنامات التي ألفت ومن بينها شاهنامة الفردوسي .  
وقد ساعد على ظهور هذه الشاهنامات ، إلى جانب العوامل السابقة كلها ، ظهور  
الدول الفارسية الإسلامية ، واستقلال الفرس استقلالاً عملياً عن الدولة  
العربية . وازداد الميل إلى كتابة الشاهنامات في أواخر القرن الثالث وفي الرابع .  
ولما كان هناك شاهنامات سبقت شاهنامة الفردوسي وجب أن نتحدث عنها  
حديثاً سريعاً قبل أن نتحدث عن شاهنامته .

## ٤ — شاهنامه أبي المؤيد البلخي

هي شاهنامه نثرية كتبها في حدود سنة ٣٥٢ هـ أبو المؤيد البلخي من شعراء النصف الأول من القرن الرابع وكتابه وقد وردت اشارات عن هذه الشاهنامه في مصادر مختلفة . ففي ديباجة قابوسنامه يتحدث كيكائوس بن اسكندر بن قابوس بن وشمكير بن زيار إلى ولده گيلا نشاه عن عراقة أصله ويذكر له أن جده هو شمس المعالي قابوس بن وشمكير وأن أهله هم ملوك گيلان من أبناء كيخسرو . ويستشهد في ذلك بما أورده أبو المؤيد البلخي والافردوسي في الشاهنامه <sup>(١)</sup> . ويشير صاحب تاريخ سيستان إلى أبي المؤيد وينقل عن كتاب له اسمه گر شاسپ <sup>(٢)</sup> . ويغلب على الظن أن يكون كتاب گر شاسپ هذا بعض شاهنامه أبي المؤيد . وهناك إشارة ثالثة في مجمل التواريخ عما كتبه نثرا أبو المؤيد من أخبار زريمان وسام وكيقباد وافراسياب وأخبار لهراسف <sup>(٣)</sup> .

## ٥ — شاهنامه أبي علي البلخي

وثانية الشاهنامات المنشورة شاهنامه أبي علي محمد بن أحمد البلخي الشاعر . وقد تحدث عنها أبو ريحان البيروني <sup>(٤)</sup> . ويستفاد من كلام أبي ريحان أن شاهنامه هذا الشاعر كانت من المصادر المهمة .

(١) منتخب قابوسنامه : الديباجة ص ٣ باهتمام تقيسي

(٢) تاريخ سيستان : ص ٣٥

(٣) مجمل التواريخ : ص ٢

(٤) الآثار الباقية : ص ٩٩

## ٦ — شاهنامه مسعودی المروزی

والمسعودی هذا أول من نظموا بالفارسية في هذا الموضوع . وقد أشار إلى هذه المنظومة الشعالي في كتابه الغرر في أكثر من موضع . ففي حديثه عن طهمورث يقول : « وزعم المسعودی فی مزدوجته بالفارسية أن طهمورث بنی قهندز مروء <sup>(١)</sup> . » وفي حديثه عن بهمن بن اسفندیار وقبایده الجيش إلى سیستان الحرب زال يقول : « فعفا عنه — أي عفا بهمن عن زال — وأمر برده إلى منزله والإفراج له عن مسكه من ماله . وذكر المسعودی المروزی فی مزدوجته الفارسية أنه قتله ولم يبق على أحد من ذویه <sup>(٢)</sup> . »

ويتحدث عن هذه المنظومة المسعودية المقدسی في كتابه البدء والتاريخ في موضعين أولهما في الحديث عن سلطنة گیومرث حيث يقول : « زعمت الأعاجم فی كتبها والله أعلم بحقها وباطلها أن أول من ملك من بنی آدم اسمه گیومرث ، وأنه كان عريان في الأرض وكان ملكه ثلاثين سنة . وقد قال المسعودی فی قصيدته المحبرة بالفارسية :

نخستین گیومرث آمد بشاهی

گرفتشی بگیتی درون پیش گاهی

چو سی سال بگیتی پادشا بود

کی فرمائش بهر جائی روا بود

ولما ذكرت هذه الآيات لاني رأيت الفرس يعظمون هذه الآيات

والقصيدة ويصورونها ويرونها كتاريخ لهم . وثاني الموضعين اللذين أشير  
فيهما إلى منظومة المسعودي المرزى يأتي في آخر فصل تاريخ إيران حيث  
يقول : « وانقضى أمر ملوك الفرس وأظهر الله دينه وأنجز وعده وفيه يقول  
ابن الجهم :

والفرس والروم لها أيام

يمنع من تفخيخها الإسلام

ويقول المسعودي في آخر قصيدته بالفارسية :

سپری شد زمان خسروانا

چو کام خویش راندند در جهانا<sup>(١)</sup>

ومن الآيات التي اقتطفها المقدسي من هذه الشاهنامه يتضح أن منظومة  
المسعودي كانت مشوية في بحر المزج المسدس .

وتحديد تاريخ دقيق لتأليف هذه الشاهنامه غير مستطاع . والمرجح أنها  
ألفت قبل سنة ٣٥٥ هـ وهي سنة تأليف البدء والتاريخ . ومادام هذا المصدر  
يتحدث عنها وجب اذن أن تكون قد ألفت قبل ذلك . ويرى صاحب حماسه  
سراي أنها ألفت حوالي سنة ٣٠٠ هـ . لأنها كانت معروفة ومشهورة في الوقت  
الذي ألفت فيه كتاب البدء والتاريخ . ومثل هذه الشهرة والذيع حاجة إلى  
ما يقرب من أربعين أو خمسين عاما ، كما أن خشونة بعض ألفاظها وعدم  
انسجامها يدل على أن المنظومة قد ألفت في وقت متقدم إلى حد ما .<sup>(٢)</sup>

من ٨٠٧ ج ٢

ص ١٥٣

(١) ليست مقالة قزويني :

(٢) حماسه سراي :

وفي الوقت الذي كان فيه الفردوسي مشغولا بنظم الشاهنامه كانت شاهنامه  
المسعودي المروزي معروفة ذاتعة .

## ٧ - شاهنامه ابى منصور محمد بن عبد الرزاق

كان أبو منصور محمد بن عبد الرزاق أحد رجال القرن الرابع الهجرى .  
وكان من أعيان طوس ورؤسائها . ولما أساء أبو الحسن محمد بن ابراهيم السيرة  
وبلغ الحضرة ذلك عزل في جمادى الآخرة سنة ٣٤٩ هـ وعين مكانه فى قيادة  
الجيش بخراسان أبو منصور محمد بن عبد الرزاق ، فأحسن السيرة وضبط  
الأمر واستن السنن الحميدة وجلس للظالم وأنصف الرعية<sup>(١)</sup> . ولكنه لم يلبث  
طويلا فى هذا المنصب إذ عزل وولى مكانه الشكين فأنصرف أبو منصور إلى  
بلدته طوس ، ثم استدعى مرة أخرى بعد عزل الشكين وعادت إليه قيادة  
الجيش بخراسان<sup>(٢)</sup> . وقد خطر له بعد ذلك أن ينضم إلى حسن بن بويه  
فكتب إليه ودعاه إلى جرجان . فلما بلغ ذلك وشمكير أغرى يوحنا الطيب  
بألف دينار ليدس له السم فى طعامه . وبذلك انتهت حياة أبى منصور . ورجعت  
بعد مقتله قيادة الجيش بخراسان مرة أخرى إلى أبى الحسن محمد بن ابراهيم<sup>(٣)</sup> .  
وكان أبو منصور كغيره من علية القوم فى ذلك الزمان يحب أن ينتهى  
نسبه إلى الملوك الأقدمين . وتنسبه مقدمة شاهنامه اليهم . فهو محمد بن عبد  
الرزاق بن عبد الله بن فرخ بن ماسا بن مازيار بن كشمهان بن كنارنك بن خسرو

- |                    |      |               |
|--------------------|------|---------------|
| (١) تاريخ گرديزى : | ص ٣١ | بمقدمة قزوینی |
| (٢) نفس المصدر :   | ص ٣٣ |               |
| (٣) نفس المصدر :   | ص ٣٤ |               |

بن بهرام بن آذر گشسپ بن گوذرز بن دار آفرید بن فرخ زاد بن بهرام... الخ. (١)

وما دام نسب أبي منصور ينتهي أو هو يجب أن ينتهي ، لآتنا نشك في صحة هذه الأنساب ، إلى ملوك الفرس الأقدمين فهو إذن من المنتصبين لإحياء مجد الفرس القديم . وخير ما يحجي به مجدهم وما أثرهم أن يأمر بتأليف كتاب يتحدث عن أجدادهم وسيرهم فيرضى بذلك نزغته المتعصبة . ومن هنا نشأت عنده الفكرة في تأليف هذه الشاهنامه . واتخذ أبو منصور الخطوات العملية لتحقيق هذه الفكرة فكلف وزيره أبا منصور المعمرى أن يتولى هذه المهمة . وكان أبو منصور المعمرى هذا إيراني الأصل فهو أبو منصور بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن فرخ زاد... الخ. (٢) ولا شك أنه لأصله الإيراني قد تقبل هذه المهمة التي عهدت إليه قبولا حسنا . فاستقدم العلماء من كل مكان أمثال شاج ابن خراساني (ماخ بير خراساني) من هراة ، يزدان داد بن شاپور من سجستان ، وما هوى خورشيد بن بهرام من شابور ، شاذان بن برزین من طوس فوضعوا له هذه الشاهنامه في سنة ٣٤٦ هـ . وقد جاءنا الخبر عن هذه الشاهنامه من ثلاثة مصادر :

١ - الآثار الباقية

٢ - المقدمة القديمة لهذه الشاهنامه

٣ - المقدمة الجديدة المعروفة بمقدمة باينسقر

(١) ينسب مقالته قزويني : من ٥٣ ، ٥٢ ج ٢

(٢) نفس المصدر : من ٥٧

قالبيروني يتحدث عن هذه الشاهنامه في غير موضع فيقول : « ولكن  
الأعادي أبدا مولعون بالظعن في الأنساب والطلب في الأعراض والوقعة  
في الأفاعيل والآثار كما أن الأولياء والمقشعين مولعون بتحسين القبيح وسد  
الخلل وإظهار الجليل والنسبة إلى المحاسن كما وعصفهم من قال :

وعين الرضا عن كل عيب كيلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

فربما يحملهم التوغل في هذا من فعلهم على تخرص الأحاديث التناسبية  
للحمد وتمويه النسبة إلى الأصول الشريفة كما فعل لابن عبد الرزاق الطائسي  
من افتعال نسب له في الشاهنامه ينتمى إلى منو شهر وكما فعل لآل بويه .. » (١)  
ولاشك أن مقصوده بالشاهنامه التي افتعل فيها هذا النسب هي الشاهنامه  
المنصورية . ويقول في موضع آخر : « ووجدنا توارخ هذا القسم الثاني  
- أي الملوك الأشكانية - في كتاب شاهنامه المصنوع لآبي منصور بن عبد  
الرزاق على ما أودعناه في هذا الجدول » . (٢)

أما عن مقدمات الشاهنامه فيلاحظ القرويني أن هناك نسخا من الشاهنامه  
ليست لها مقدمات وتبدأ الشاهنامه مباشرة من شاهنامه الفردوسي المنظومة .  
وهناك بعض النسخ الأخرى على العكس من هذه تحتوي على مقدمة منقولة  
مختصرة في حوالى سبع أو ثمانى صفحات . وتبدأ هذه المقدمة بهذه العبارة  
« سپاس وآفرين خدای را که این جهان و آن جهان آفرید . » وهذه النسخ  
من الشاهنامه نادرة في زماننا وأخذة في التناقص لقلة عددها . والنسخ التي لها

(١) الآثار الباقية : ص ٣٨

(٢) نفس المصدر : ص ١١٦

مثل هذه المقدمة نسخ قديمة استنسخت غالباً قبل القرن الثامن الهجري . وهذه المقدمة هي المعروفة بالمقدمة القديمة للشاهنامة .<sup>(١)</sup>  
وهناك بعض النسخ ذات المقدمة الثرية ولكن مقدمتها فيها تفصيل وتقع في حوالى ١٥ أو ١٦ صفحة . وتبدأ هذه المقدمة على العموم في النسخ الخطية بهذا البيت .

افتتاح سخن آن به كه كند أهل كمال

بشأنى ملك العرش خدای متعال

وهذه المقدمة في أغلب النسخ الخطية للشاهنامة التي كتبت ابتداء من القرن التاسع والعاشر . وهذه المقدمة هي المعروفة بالمقدمة الجديدة للشاهنامة أو مقدمة بايسنقر . وقد كتبت هذه المقدمة على المشهور في سنة ٨٢٩ بأمر بايسنقر بن شاهرخ بن أمير تيمور گورگان المتوفى في سنة ٨٣٧ . وهذه المقدمة الجديدة لا توجد في نسخ الشاهنامة فيما قبل القرن التاسع .<sup>(٢)</sup> وقد أورد الدكتور عزام خلاصة لمقدمة بايسنقر وفيها إشارة إلى هذه الشاهنامة المنصورية وكيف ألفت وأسماء الأربعة الذين ألفوها .<sup>(٣)</sup> وقد وردت أسمائهم من قبل .

ولما كانت شاهنامة أبي منصور هذه ثرية وكانت النفوس بطبعها أرغب في الشعر تقدم الشاعر الفردوسي لنظم هذه الشاهنامة . وحين أتم نظمها طغى شاهنامته المنظومة على هذه الشاهنامة وعلى غيرها من الشاهنامات المنشورة حتى

---

(١) ليست مقالة : ص ١ ج ٢

(٢) ليست مقالة قزوینی : ص ٢٠١ ج ٢

(٣) مدخل عزام للترجمة العربية : ص ٢٨ ج ١

قضت عليها ، ومهد ذبوع شاهنامه الفردوسى المنظومة لضياح تلك الشاهنامات  
شينا فشينا .

### ٨ - شاهنامه الدقيقى « كشتاسب نامه »

هو أبو منصور محمد بن أحمد الدقيقى من شعراء العهد السامانى المشهورين  
وينسبه كثير من المؤرخين إلى طوس بلدة الفردوسى إلا أن نولدكه يستبعد  
هذا لأنه لو كان مواطناً للفردوسى لذكر الفردوسى هذا <sup>(١)</sup> . ولأن هذا ليس  
دليلاً قوياً يعتد به .

كان الدقيقى فى أول أمره متصلاً بالأمير أبى المظفر الصغانى من أمراء آل  
محتاج <sup>(٢)</sup> . وكان أبو المظفر هذا يكرم الشعراء ويغدى عليهم الجوائز حتى إن  
الفرخى الشاعر لما سمع بكرمه واحسانه إلى الشعراء نظم قصيدة فى مدحه  
وقصده <sup>(٣)</sup> .

ثم اتصل الدقيقى بأمراء السامانيين ومدحهم وقدم إلى نوح بن منصور  
الجزء الذى نظمته من الشاهنامه .

وإذا كان المؤرخون قد اختلفوا فى اسم الدقيقى ، وآريخ مولده ، ومكان

---

(١) الحماسة الأيرانية لنولدكه . : ص ٣٣ ترجمة Bogdanov .

(٢) أمراء آل محتاج فى صفهان تحدث عنهم القزوينى فى تعليقاته على جهاز مقالته  
الملحمة بالترجمة العربية لعزام والحشاش فقال انهم من أسرى ماوراء النهر الكبيرة وكان  
مقر حكمهم ولاية جغانيان (صغانين) فيما وراء النهر . وقد توارثوا حكم هذه

الولاية . . . . . : ص ١٣٢ ، ١٣٣

(٣) جهاز مقالته . : ص ٣٣ الحكاية الرابعة من المقالة الثانية

مولده<sup>(١)</sup> فإنهم لم يختلفوا في لقبه « الدقيقى » إذ سلم به الجميع . ولا يبعد أن تكون هذه الكلمة منسوبة إلى الدقيق . ويحتمل أن يكون في أول أمره أو أن يكون أبوه أو جده ممن اشتغلوا ببيع الدقيق . ويكون لقبه هذا أشبه باللقاب الثعالبى والفراء وغيرهما . أما ما يدعيه عوفى في لباب الالباب من أنه الدقيقى بسبب دقة معانيه فهو من صناعة عوفى اللفظية .

ويذكر براون أنه بالرغم من اسم الدقيقى الاسلامى إلا أن كثيرا من أمثال إته هاندر ، تولدك ، هورن قد مالوا إلى اعتباره زردشتيا وقد بنوا رأيهم هذا على بيتين قالهما الدقيقى هما :-

دقيقى چار خصلت برگزیده است

بگیتی از همه خونی و زشتی

لب یاقوت رنگ و ناله چشک

می خون رنگ و دین زرد هشتی

ومعناها أن الدقيقى قد اختار من كل ما فى الدنيا من حسن وقبيح أربعة أشياء : الشفه الياقوتية ، أذن العود ، والخر الحراء كالدلم ، ودین زرد هشت<sup>(٢)</sup> . ويخالف براون هؤلاء فى رأيهم فىرى أن هذين البيتين ليسا دليلا على زردشتية الشاعر وإذا كان قد صرح باختيار دين زردشت فما ذلك إلا اعجابا منه بهذا الدين فى نقطة واحدة هى إجازته شرب الخمر<sup>(٣)</sup> فهو إذن معجب بهذا الدين

(١) اختلفوا فى نسبته إلى بلد من البلاد الآتية : بلخ - طوس - سمرقند - بخارى .

(٢) Browne: Lit. His. of Persia, p. 459 vol. I Cambridge 1951

(٣) المصدر السابق : ص ٤٦٠

لأنه يسمح شرب الخمر التي لا يستغنى عنها الشاعر ، ولا يتعمد الأمر حد الاعجاب إلى الاعناق .

ولكن نولدكه يرى أن الدقيقى يبدو في بعض أشعاره زردشتيا متحمسا ، ويتضح تحمسه للزردشتية في جزء الشاهنامه الذى نظمه (١) . ومن أدلة نولدكه على زردشتية الدقيقى أنه بدأ عمله في نظم الشاهنامه بالجزء الخاص بگشتاسپ وشریعة زردشت (٢) .

ويحسن بنا ، وقد عرضنا بعض وجهات النظر ، أن نرجع إلى بعض نصوص الشاعر نفسه فتراه مثلاً يقول في الفصل الخاص باعتزال لهراسپ وذهابه إلى بلخ وأعلام گشتاسپ العرش إن لهراسپ بعد أن سلم گشتاسپ العرش اختار بلخ ليتعبد في معبدها المعروف «نوبهار بلخ» . ويشبه الدقيقى مكانة نوبهار بلخ عند الزردشتيين بمكانة مكة عند العرب في ذلك الزمان ، أى زمان الدقيقى (٣) .

ويقول الدقيقى عن ظهور زردشت : إنه جاء إلى حضرة الملك گشتاسپ وقال له إن رسول الله اليك (٤) . وقد طلب اليك خالق الكون أن تقبل هذا الدين ، وأن تتفكر في خلق السموات والأرض وأن تنظر من يستطيع أن يخلق ما خلق فليس غيره خالقا للكون وكفى فتعلم دينه . وسر في طريقه ،

- 
- |                         |            |
|-------------------------|------------|
| (١) الحماسة الايرانية : | ص ٣٢       |
| (٢) نفس المصدر :        | ص ٣٣       |
| (٣) الشاهنامه :         | ص ١٤٩٦ ج ٦ |
| (٤) الشاهنامه :         | ص ١٤٩٧ ج ٦ |

وليس يحتمل الملك بغير الدين . . . الخ (١).

ونلاحظ في هذه النصوص أن الشاعر يشبه نوبهار بلخ عند الزردشتيين بمكة عند المسلمين . وهذا ، وإن كان من قبيل التسوية بينهما ، إلا أنه لا يحمل معنى الخروج على الإسلام . كما نلاحظ أن حديث الشاعر عن الدين الجديد جاء كما هو واضح في القصيدة ، على لسان زردشت وزردشت هو نبي هذا الدين ومن مهمته أن يفري الناس بقبوله . فإذا جاء في النصوص بعض المحاسن أو المزايا لهذا الدين فإنه في الغالب من دعاوى زردشت ليستميل بها قلب گشتاسب وغيره من الناس . ومن الطبيعي أن يكون الشاعر لسان صدق معبرا عن حال زردشت خير تعبير . فالتحمس للدين الزردشتي الذي ينسبه نولده كما إلى الشاعر هو في الحقيقة تحمس زردشت كما عبر عنه الشاعر . ومن بعض نصوص نولده نفسه تبين أن حكمة على الشاعر كان مبالغا فيه . فهو يذكر أن الدقيق لا يبدو فيما كتبه على إحاطة بالأدب الفارسي القديم حتى يمكن أن يقال إنه أحاط بتلك الدقيقة ، إلا أنه كان من مؤيديها . وقد تجنب على أي حال أن يصدم شعور القراء المسلمين ومجددين مزدیسنا كما فعل خلفه العظيم (٢) . فإذا كان الشاعر كما يقول نولده لا يحيط بالأدب الفارسي القديم ولا يمكن أن يقال إنه أحاط بالعقيدة الزردشتية ، وإذا كان الشاعر قد تجنب أن يصدم شعور القراء المسلمين فن المبالغة والمغالاة إذن أن يقول نولده إنه كان زردشتيا متحمسا لأن تحمسه للزردشتية يتنافى مع جملة بها وحرصه على شعور

(١) الشاهنام . ص ١٤٩٨ ج ٦

(٢) الخماسة الإيرانية : ص ٢٢

القراء المسلمين . ثم أليس فيما ذكرناه من انتشار المصادر اليهودية ما يدل على أن الدقيقى كان ناظرا وصائغا للمادة التى وجدها فى أحد هذه المصادر . فإذا كانت هناك حماسة للدين الزردشتى فلا شك أنها قد سرت من الأصل الذى ينظم عنه الدقيقى . وحسبنا على هذا أن نذكر كلام الفردوسى الذى يقول فيه عن الدقيقى « إنه لما عرفت هذه القصص - قصص الأقدمين - تهافت الناس عليها فتقدم فى طلق اللسان . فصيح الكلام ، واشتغل بنظم تلك الإقاصيص . وكان سوء خلقه قرين شبابه فأمرع إليه الموت فجأة . . . » (١) وهذا قاطع فى أن الدقيقى إنما كان ينظم مادة معروفة ولم يكن يؤلف . ولكن أى مصدر هذا الذى كان الدقيقى ينظم مادته ؟ حين نراجع مادة گشتاسپنامه دقيقى نراها شديدة الشبه فى مجملها بمادة ياتكار زيرران . وقد سبق أن ذكرنا موضوع ياتكار زيرران والصراع بين الايرانيين والتورانيين حول دين زردشت وكيف لقي زير حنفيه وهو يدافع عن الدين . وهذا الشبه فى الموضوع بين الكتابين سهل على الباحث ادراك حقيقة هامة هى أن الدقيقى كان ينظم ذلك الكتاب أو ترجمته على الأصح . وهكذا نكشف أمامنا تولد هذه الحماسة للدين الزردشتى التى يصف بها الدقيقى فى منظومته . فهذه الحماسة ليست سوى حماسة ياتكار زيرران الذى هو كتاب يدور موضوعه حول الجهاد الدينى .

أما بيتا الشعر السابقان فلا يعتد بهما كثيرا . وليس معناهما أن الشاعر اعتنق فعلا الدين الزردشتى . وكل ما فى الأمر أن الدقيقى كما نعلم من تاريخ

---

(١) الشاهنامه : ص ٩٤٨ ج ١

حياته كان عريدا فاسقا لا غنى له عن شرب الخمر مما جعله يختار هذا الدين فيما ذهب اليه من إباحة الخمر . ومن تاريخ حياته أيضا نستطيع أن نقرر أن الدقيقى كان مسلما ، ولكنه مسلم ضعيف الاسلام ، انغمس في اللهو والشراب وارتكاب الآثام . ولم يكن يعنيه شيء من أمر دينه ولذلك تعلق ، ظرفا منه ومجونا ، بالدين الزردشتى لانه يذبح له الخمر .

### صلة الرقيقى بالشاهنامه :

بدأ الدقيقى نظم الشاهنامه . واشتغل أولا فى نظم الجزء الخاص بگشتاسپ ولكن الأجل لم يممه حتى يكمل العمل ، فتركه بعد أن نظم منه ألف بيت على أرجح الأقوال .

وجاء الفردوسى بعده فبدأ العمل من أوله إلى نهايته ، وضم إليه ما كان سلفه الدقيقى قد نظممه . وفى هذا يذكر الفردوسى أن الدقيقى قد جاءه فى الرؤيا وطلب اليه أن يسرع فى نظم الكتاب وألا يبخل عليه بأبواب ما كان قد نظممه عن گشتاسپ وأرجاسپ وقدره ألف بيت <sup>(١)</sup> . ويواصل الدقيقى حديثه إلى الفردوسى فى الرؤيا فيقول . « وإذا بلغ الملك - أى محمودا - ما نظمته ارتفعت روحى من تحت الثرى إلى الثرى » <sup>(٢)</sup> . ولم يستطع الفردوسى أن يهمل هذه الوصية .

وإذا كان الفردوسى قد أحسن إلى سلفه الدقيقى ، فأثبت له أبيات الألف

---

(١) الشاهنامه : من ١٤٩٥ ج ٦

(٢) نفس المصدر والجزء : من ١٤٩٦ ج ٦

كما هي، ولم يضع بذلك جهده، إلا أنه قد أفسد هذا الاحسان حين وصف نظم صاحبه بالضعف والعجز. وكأن الغيرة لحقته من منانة صاحبه الراحل - الدقيقى - حين قال : « اذا بلغ الملك نظمى ارتفعت روحى إلى الثريا » فأراد الفردوسى أن يقلل أمام السلطان محمود من شأن هذا النظم فوصفه بالضعف والسخف وذكر أنه ما أثبتته إلا ليرى السلطان كيف نظم ردىء الكلام . ويصف نظمه ونظم الدقيقى بأنها جوهران يستطيع الملك أن يميز بينهما بعد أن يصفى اليهما . ثم يوجه الكلام إلى سلفه فى حجة أبعد ما تكون عن الخلق السليم والمنطق العف فىقول : اذا كان كلامك من هذا النوع فلا ينبغي أن تقوله ولا تذكره طبعك عليه ، ولا تنعب الروح والجسد فى حفر منتج لا تجد فيه جوهرًا . وإذا لم يكن لك طبع يسيل كالماء فلا تمد يدك نحو كتاب الملوك . ولخير لك أن تبقى جائعا من أن تعد مائدة لاتليق <sup>(١)</sup> . فترى الفردوسى قد أساء بهذا الأسلوب الذميم إلى فن سلفه كما أساء فيما قبل إلى سيرته الشخصية <sup>(٢)</sup> .

ويلاحظ نولدكه أن الجزء الذى نظمه الدقيقى قد ساد الاضطراب فى كثير من المواضع مما يحمل على الظن أن هذا الجزء لم يصل كاملا كما وضعه المؤلف أو أن أحدا من الشعراء قد تدخل فيه بشعره الخاص فأفسد وحدة العمل الأصيل واتساقه ، ويشبه أسلوب الدقيقى فى النظم أسلوب الفردوسى إلى حد كبير ولكن عند النظرة الفاحصة تبدو بينهما بعض الفروق . فالدقيقى على العموم أقل براعة ومهارة من خلفه الفردوسى وهو كثير التكرار فى طريقة العرض

(١) الشاهنامة : ص ١٥٥٤ ج ٦

(٢) الشاهنامة : ص ٩ ج ١

فحين يظهر بطل جديد أو يخفى هذا البطل تراء يعرض لنا نفس المنظر بنفس الطريقة وفي نفس العبارات والألفاظ في كثير من الأحيان بينما يحسن الفردوسي المغيرة في مثل هذه المواقف. ومناظر الحروب عند الدقيقي مناظر عامة ليس فيها وصف تفصيلي . وأكثر ما يكون نجاح الدقيقي في الخطب الطويلة والرسائل بينما تظهر المحاورات والخطب القصار جهود المؤلف (١) .

ولعل السبب فيما يعيبه تولدكه على الدقيقي من الاختصار، وإيجاز الوصف في المواقف المختلفة وخاصة الحروب أنه كان يتقيد بالأصل الذي ينظمه تقيدا كبيرا . وقد رجحنا فيما سبق أن يكون هذا الأصل هو « باتسكار زيرران » ، ولذلك لم ينطلق الشاعر على سجيته ، ولم يضيف إلى المادة الأصلية شيئا كبيرا من خيالاته وإحساساته وآرائه . وهذا السبب الذي قد مناه يصلح في نفس الوقت تعايلا لما لاحظته تولدكه من نجاح الشاعر في الخطب الطويلة والرسائل إذ يستطيع هنا أن يجد المجال فسيحا فينفخ في موضوعها من روحه بينما تقيدته الوقائع في ارتباطها والحوادث في تسلسلها فلا يجد أمامه ميدانا للانطلاق الحر .

والألف بيت التي للدقيقي في الشاهنامه تبدأ بقوله :-

چو گشت اسب را داد لهر اسپ تخت

فرو د آمد از تخت و بر بست رخت (٢)

وتنتهي بالبيت :-

(١) الحماسة الإيرانية : ج ٣٤

(٢) الشاهنامه : ص ١٤٩٦ ج ٦

بدو باز خواندند لشكرش را

گزيده سواران كشورش را<sup>(١)</sup>

ولا يعلم متى بدأ الدقيقى ينظم آياته الألف ولكن المرجح أنه شرع في نظمها في عهد نوح بن منصور الساماني الذي جلس على العرش سنة ٥٢٦٥ .

وقد سبق الدقيقى خلفه الفردوسى إلى الإقلال من استعمال الألفاظ العربية في شعره . وقد أحصى تولدكه عدد الألفاظ العربية في أبيات الدقيقى الألف فوجدناها ستاً وثلاثين كلمة<sup>(٢)</sup> .

---

(١) الشاهنامه : ص ١٥٥٣ ج ٦

(٢) الحماسة الايرانية : ص ٣٧ هامش

## ٩ - شاهنامه الفردوسی

### عرض عام :

الشاهنامه التي نظمها الفردوسی منظومة طويلة في حوالى ستين ألف بيت على المشهور . وهي مفخرة الآثار الأدبية عند الإيرانيين ، ويعتبرونها في الوقت الحاضر مصدراً رئيسياً لمعلوماتهم عن الفرس القدماء وتاريخهم وتقوم شهرة الفردوسی سواء في بلاده أو في العالم على هذه الشاهنامه .

وتتناول الشاهنامه تاريخ الإيرانيين منذ أقدم عصورهم إلى أن حطم العرب ملكهم . وهو تاريخ طويل يغلب عليه القصص والأساطير في العمود السجقة ثم يتخلص من هذه الأساطير شيئاً فشيئاً وإن كان لا يسلم منها تماماً .

### دول الشاهنامه :

وإذا نظرنا إلى تاريخ الشاهنامه من حيث تقسيماته السياسية وجدنا أنه ينقسم أربعة أقسام أو أربع دول : فالقسم الأول هو الخاص بالدولة البشنادية وكان ملوك هذه الدولة عشرة حكموا على النحو الآتي :-

- |            |                |
|------------|----------------|
| ١ - گیومرث | حكم ثلاثين سنة |
| ٢ - هوشنگ  | حكم أربعين سنة |
| ٣ - طهمورث | حكم ثلاثين سنة |

٤ - جمشيد	حكم سبعمائة سنة
٥ - الضحاک	» ألف سنة
٦ - فریدون	» خمسمائة سنة
٧ - منوچهر	حكم مائة وعشرين سنة
٨ - تودر	» سبع سنوات
٩ - زو	حكم خمس سنوات
١٠ - گرشاسپ	» تسع سنوات

ويتضح من هذا الجدول أن ملوك هذه الدولة حكموا مدة ألفين وأربعمائة واحد وأربعين سنة .

ولعل أهم ملوك هذه الدولة هو فریدون . ففي عهده نشأت الخلافات بين اولاده على الملك حتى اقتتلوا . وكان هذا الاقتتال الشرارة التي أشعلت نار الحروب الطويلة طيلة العهدين الپيشدادی والکیانی فی الشاهنامه ، كما كانت البذرة التي أنبتت شجرة الخلاف الطويل ، والكرامة الشديدة بين العنصرين الايراني والتوراني على نحو ما سيأتى فيما بعد .

ويأتى بعد الدولة الپيشدادية الدولة الكيانية وملوكها هم الكيانيون . وقد سموا بذلك لأن أسماءهم تبدأ بكلمة « كي » بمعنى ملك . وعدد ملوكهم تسعة . وفيما يلى بيان بأسمائهم ومدة حكم كل واحد منهم :-

١ - كيقباد	حكم مائة سنة
٢ - كيكائوس	حكم مائة وخمسين سنة
٣ - كيخسرو	حكم ستين سنة

- ٤ - لهراسپ      حكم مائة وعشرين سنة
- ٥ - گشتاسپ      مائة وعشرين سنة
- ٦ - بهمن اسفنديار      تسعا وتسعين سنة
- ٧ - همای      اثنتان وثلاثين سنة
- ٨ - داراب بن بهمن بن اسفنديار      اثنتي عشرة سنة
- ٩ - داراب بن داراب      اربع عشرة سنة

ويتبين من هذا الجدول مجموع سني حكمهم وهو سبعمائة وسبع سنوات . ومن أشهر ملوك هذه الدولة الملك كيكاوس الذي استطاع بمساعدة البطل رستم أن يقهر بلاد مازندران وهاماوران ( خمير ) ، كينخسرو الذي هزم أعداء التورانيين في أكثر من موقعة حتى استطاع في نهاية الأمر أن يقبض على بطلهم افراسياب ويقتله فيستريح بذلك الايرايون من شره إلى الأبد . ومن ملوكهم المشهورين أيضا گشتاسپ بن لهراسپ . وأهم الأحداث في عهده ظهور زردشت واعلانه الدعوة إلى الدين الجديد ودخول الملك وأعيان المملكة وسائر رجال الدين في هذا الدين الزردشتي . ولم يكتف گشتاسپ باعتناقه هذا الدين بل اتخذ سبيل القوة في نشره بين الناس .

والعهدان الپشدادى والكيانى هما عهدا الخرافات والأساطير وإن كان بينهما في هذا فارق . فالعهد الپشدادى عهد الخرافة الخالصة بينما تمتزج بعض الحقائق بالخرافات السائدة في العهد الكيانى ، وتزداد هذه الحقائق التاريخية في العصر الكيانى كلما اقتربنا من نهايته . وحوادث الشاهنامه متصلة الحلقات فيما يتصل بهذين العهدين فليس هناك معالم واضحة ليكمل منها .

وقا، ظهر في هذين العهدين أبطال كثيرون منهم رستم ، افراسياب ،  
اسفنديار .

### رستم :

أما رستم فهو بطل أبطال الشاهنامه غير منازع وهو ابن دستان بن سام  
ابن نريمان . وكان أبوه دستان يتولى حكم ممالك الهند والسند في غيبة جده  
سام بن نريمان . فخرج مرة للصيد قرب كابل فلقى مملوكا مهربا بالترحاب  
والتكريم . وكان مهربا هذا جميل الصورة ، حسن الهيئة ، عذب الحديث  
فأعجب به دستان ، وأبدى هذا الأعجاب لرفاقه الذين حدثوه عن جمال ابنته  
روذابه فغشقه دستان بعد ما سمع عن جمالها كما عشقته روذابه بنت مهربا  
بعدما سمعت من أبيها عن جماله وكاله . وأخذت الجوارى تتردد بين العاشقين  
حتى تهيأ لهما اللقاء وتعاهدا على الزواج .

ولكن قامت في وجه هذا الزواج عقبة ذلك أن مهربا كان من نسل  
الضحاك وأن مثل هذا الزواج لا يمكن أن يرضى عنه أبوه سام ولا الملك  
منوچهر فكتب دستان إلى أبيه سام يحدثه عن عشقه ويشرح له ما يعانيه من  
حرقة الوجد والهيام ويضرب إليه أن يوافق على هذا الزواج . فلما وصل كتابه  
إلى أبيه في مازندران علا وجهه الوجوم ، وانتابته الهموم لعله أن هذا مما  
يغضب الملك منوچهر وأسرع إلى منجميه وحكائه يستفتيهم في الأمر فقاموا  
إلى الزيجات والتقاويم ثم جاءوه مهللين وبشروه بمولود يأتيهما من هذا الزواج  
يملا الدنيا مجدا وفخرا . فلما سمع سام ما بشروه به رأى أن ينهض إلى حضرة  
الملك لاستئذانه في عقد هذا الزواج . ولكن الملك رفض الموافقة لعله أن

مهراب من نسل الضحاك، وأن الحكمة تقتضى الحذر من سليل الأعداء، وكلف  
سام أن ينهض لحربه، وأن يستخلص ملكه، وأن يضيفه إلى مافى يده من  
مالك الهند. ولم يجد سام بدا من الطاعة فتوجه إلى بلاد الهند يستعد للأمر.  
وبلغ الخبر أستماع زال (دستان) فأخبرته أن يكون السبب فيما سينتهى إليه أمر  
مهراب وعزم على حمايته ودفع الأذى عنه. فلما عاد أبوه إلى مستقر ملكه  
خلاه ابنه وحديثه عما يعاينيه من لواجب الحب وما يضطرم في قلبه من نيران  
الوجد، وما عزم عليه من الدفاع عن مهراب وحمايته من كل أذى يراد به.  
فرق قلب الأب ورأى أن يترث في حرب مهراب وأوفد ابنه إلى حضرة  
السلطان يستعطفه ويرجوه وكتب معه كتابا يؤكد فيه إخلاصه لذات السلطان  
ويبين فيه مآداه لدولته من خدمات، ويشرح ما يكابده ولده من لوعة الغرام.  
ولما وصل زال إلى الحضرة وقرأ الملك الكتاب تأثر لما جاء فيه ومال قلبه إلى  
زال فأمر بتحقيق رغبته. وبذلك تم زواج زال (دستان) من حبيبته روزابه  
بنت مهراب ملك كابل. وولد لهما من هذا الزواج رستم.

وكان رستم عند ولادته ضخم الجثة. وقد لقبت أمه في حملة وولادته مالم  
تلق امرأة بسبب كبر حجمه. ويقول الثعالبى عن رستم إنه لما حملته أمه أثقلت  
أثقالا لا عهد للنساء بمثله وبلغ الحمل منها مبلغا شق عليها وأثر في نحاسها وأحال  
باسمينا وردما وأقعدا عن الحركة حتى أشرفت على الهلكة. ولما كان وقت  
الولادة وضعت بعد جهد جهيد وطلق شديد مولودا كفلقة القمر وشبه  
الأسد... (١). ولما حانت ساعة ولادته لجثوا إلى الجراحة لاستخراج هذا

المولود فسقوا أمه خمرًا صافية مركزة حتى سكرت وغابت عن وعيها . وعند ذلك تقدم الموبذ وكان ممن يحدقون صناعة الطب فشق خاصرتها بجديدة كانت معه وأخرج الجنين من بطن أمه . وكان ساعة ولد كأنه ابن عشر سنين اكبر حجمه . ويقال إن أمه لما رأته وشعرت بالخلاص من هذا الحمل الثقيل تبسمت وقالت «برستم» أى خلصت . ولذا سموا الصبي «رستم» <sup>(١)</sup> . وكان رستم على جانب عظيم من القوة البدنية حتى إنه عندما خرج لحرب أهل مازندران قبض على يد أحد فرسانهم فعصرها في يده حتى ظمار قلبه خوفًا ، وأراد ملك مازندران أن يثبت قلوب اتباعه فدعا بجنى اسمه «كلاهورة» وكان أقوى من في المعسكر وأشدهم بأسًا ، شرس الطبع ، حاد الخلق لا يعيش إلا للحرب والقتال وأمره أن يخرج لاستقبال رستم فلما مديده ضغط عليها رستم ضغطة شديدة أسقطت أظفار هذا الجنى من أصابعه كما تسقط الريح أوراق الشجر <sup>(٢)</sup> .

وتذكر لنا الشاهنامة كثيرًا من مظاهر قوته الخارقة في حروبه مع أهالي مازندران الذين عرفوا بالقوة والسحر .

وكان الله قه منيع رستم قوه تزلزل الأرض إذا مشى وتشقق الحجارة ، ورأى رستم أن هذه القوة لا تمسكه من السير في الطريق كما يسير الناس فدعا الله أن ينقص من هذه القوة فكان لهما أراد ، ولكنه حين حارب سهراب ولقي من مظاهر شجاعته وقوته ما أعجزه عن التغلب عليه ضرع إلى الله أن يرد

---

(١) الشاهنامة : ص ٢٢٤ ج ١

(٢) الشاهنامة : ص ٣٦٣ ج ٢

عليه ما كان قد نقص من قوته فاستجاب له <sup>(١)</sup> وأستطاع رستم أن يقهر — ر  
سهراب على نحو ما ذكره فيما بعد . وكان لابد لهذه القوة البدنية الخارقة من  
من غذاء يناسبها فكان رستم إذا أكل أتى وحده على حمار وحش <sup>(٢)</sup> . وقد  
أربنى عمره على ثلاثمائة عام .

وكان رستم يضع هذه القوة البدنية الخارقة ، والشجاعة انبذارة في خدمة  
ملوكه . وما دخل حربا إلا انتصر فيها وما هاجم عدوا إلا قضى عليه .  
ولما تولى كيكائوس الملك بعد أبيه سولت له نفسه بعد ما رأى من امتلاء  
الخزائن وطاعة الجند ووفرة الخيرات ، وارتقاع قدره بين الملوك أن يغزو  
بلاد مازندران . وكانت بلادا حصينة وعرة . وكان الملوك من قبله يتهبون  
غزوها وقد حاول زال وأعيان مملكته أن يشوه عن هذا الغزو لكنه أصر .  
وأمر كيكائوس قواده بالسير إلى مازندران وشن الغارة على العدو في كل  
مكان . فبلغ الخبر ملك مازندران فأسرع إلى ملك الجن سيدديو ( العفريت  
الأيض ) يستنجد به فما إن حصل الليل حتى خرج العفريت بجنوده من كل  
مكان . ورمى كيكائوس وجنده بالحجارة والنصال حتى سد الأرض في وجههم  
وأطبق عليهم من كل جانب فأظلمت الدنيا في عين كيكائوس واضطرب أمر  
عسكره ووقعوا أسرى . ولم يعرف كيكائوس سبيلا للخلاص فأرسل إلى  
زال يخبره بما جرى له ويعتذر عن إهمال نصحه ، ويدعوه إليه عسى أن يكون  
الفرج على يديه . ولم يخب رجاء الملك فيا إذ كلف زال ابنه رستم أن ينهض

(١) الشاهنامة : ص ٥٠١ ج ٢

(٢) الشاهنامة : ص ١٦٥١ ج ٦

لنجدة الملك ، فقام سريعاً ، وركب فرسه الرخش يطوى به الأرض متمرضاً  
للمهالك والأخطار حتى بلغ ناحية كان ملكها يسمى اولاذ فقيده وأخذه اسيراً  
ووعده أن يطلق سراحه وأن يوليه على بلاد مازندران إذا دله على الموضع  
الذى حبس فيه كيكائوس . فتقدمه اولاذ دليلاً ، وصار لا يستريح نهراً ولا  
ليلاً حتى وصل إلى جبل أسفروز حيث حبس كيكائوس . وكان قواد ملك الجن  
مثل كولاذ ، وارزتك ، ويذ يتولون حراسة ذلك المكان . فهجم رستم على  
ارزتك ففصل رأسه ورمى به بين أصحابه فخافت الجن وتفرقت . وتقدم  
رستم من كيكائوس يبشره بالسلامة ويهنئه بالنجاة . فشكره الملك على ما قاساه  
من أجله ونصحه أن يفتنم الفرصة ويقضى على «سيدديو» قبل أن يبلغه الخبر  
ويستعد لمواجهة الخطر . وكان على رستم كي يصل إلى ملك الجن أن يعبر سبعة  
جبال ينتهي بعدها إلى مغارة مظلمة عميقة هي مقر ملك الجن . وكان يتولى  
حراسة هذه المغارة عدد كبير من الجن . وقد عرف رستم من عاداتهم أنهم  
يقيمون في وقت الظهيرة فلا يبقى قائماً على الحراسة إلا القليل فانتظر رستم  
حتى إذا اشتدت الحرارة وقالوا ركب فرسه الرخش واخرق نطاق الشياطين  
فبلغ باب المغارة واقتحمها بفرسه وكانت الظلمة شديدة لكنها لم تمنعه من  
النزول إلى قاع المغارة حيث كان الجنى الأكبر رابضاً أسود الوجه ، أحمر  
العينين ، أشعث الشعر ، كالح الآنياب . وحين هم الجنى بالوثوب عاجله رستم  
بضربة قاضية وخرج من المغارة متصراً وعاد إلى حضرة الملك كيكائوس يرف  
إليه البشرى ؛ وانتشر هو ورفاقه في مدينة مازندران يعملون القتل ؛ ويحرقون  
الديار ؛ وينهبون الأموال ، وينتقمون لأنفسهم أشد الانتقام .

وبعد أن فرغ الملك من أمر مازندران عاد إلى مقر ملكه في بلاد فارس

حيث استقبله الإيرانيون بالفرح . وجلس الملك على تخته ووزع الهبات ؛  
وفرق الأرزاق ؛ وأمر لرستم من الهدايا بكل غال وثمين وولاه على ممالك  
نيمروز .

وفي عهد الملك كيخسرو حارب الإيرانيون بقيادة طوس التورانيين  
بقيادة پيران . وبدأ أن النصر في جانب الإيرانيين أول الامر . ولكن الفوز  
كان أخيراً للتورانيين وقتل في هذه الحرب خلق كبير من الإيرانيين . ولم  
يبق لسكودرز - أحد أبطال الإيرانيين - من أبنائه وعددهم ثمانية وسبعون  
سوى ثمانية ؛ كما ضاع إهرام بن سكودرز سوط في المعركة فـرجع ليسترده  
فكان مصيره هو الآخر القتل . وعادت فلول الإيرانيين إلى كيخسرو تبحر  
وراءها أذيال الحية . لكن الإيرانيين لم يستول عليهم اليأس فعادوا من  
جديد إلى القتال ؛ وتولى طوس قيادتهم للمرة الثانية . لكنه لم يقو هذه المرة  
أيضاً على قتال التورانيين فأرسل يستنجد بالملك كيخسرو ويطلب إليه أن يشد  
أزره برستم . وهكذا لم يجد الملك بداً من الاستعانة برستم فدعاه إليه وكلفه  
أن يخف لنجدة زميله بعد أن أشرف على الهزيمة . وكان پيران قائد التورانيين  
قد تلقى في تلك الأثناء الأمداد العظيمة وجمع له أفراسياب كل من في مملكته  
من فرسان وشجعان منهم خاقان الصين وكاموس الكشاني أشجع فرسان ما  
وراء النهر فقويت بذلك روح پيران المعنوية وعزم على أن يتخلص من أعدائه  
في غده وأوصى أصحابه بمراقبة الإيرانيين حتى لا يفلتوا ليلاً من الحصار  
الذي ضربه حولهم في ذلك الجبل الذي اعتصموا به . ولما علم الإيرانيون  
بهذه الأمداد التي وصلت التورانيين وهن عزيمهم ، وعلموا أن أجلهم قد دنا ،  
وتفرقوا في الجبل جماعات ينتظرون الهلاك في كل لحظة . وبينما هم كذلك إذ

جاءهم الخبر بقرب وصول النجدة فانقلب حزنهم فرحاً ، وبأسهم أملاً ، ووهنهم  
قوة وعزماً . ووصلت اليهم ليلاً جيوش رستم فاستقبلوها فرحين مهللين .  
وقضى رستم الليل مع أصحابه كودرز ، گيو ، طوس وسائر الامراء والقواد  
يتشاورون في الامر . حتى اذا أصبح الصباح ، نشب القتال واستمر بينهم  
طيلة النهار . وفي اليوم التالي فقد التورانيون أحد أبطالهم - كاموس الكشاني -  
إذ اختطفه رستم بالوهق وجره اليه أسيراً وأباح دمه لأصحابه . فلما رأت  
التورانية ذلك مالت فترة الى الصلح ولكن الرغبة في القتال غلبتهم فعادوا الى  
حرب رستم الذي جندل أبطالهم واحداً بعد واحد وسحق عساكرهم سحقاً ؛  
وأوغل في صفوفهم يقتل ويأسر حتى وصل الى الفيل الأبيض الذي يركبه  
الخاقان فرمى بالوهق وطرح الخاقان عن ظهر فيله وجذبه اليه فأخذه اتباعه  
أسيراً . ولما رأى پيران ما أصاب الأبطال والشجعان ركن إلى الفرار وتبدد  
شمل من كانوا معه من التوران . وهكذا ترى أن هزيمة الإيرانيين قد تحولت  
فيما بعد الى نصر باهر بفضل رستم وشجاعته ، وان جيوش الإيرانيين لم تكن  
تستغنى عنه في واقعة من الوقائع ليحقق لها النصر على الاعداء .

ورستم هو الذي أنقذ بيژن بن گيو في قصة طسويلة ملخصها أن أهل  
أرمان ، وهي ناحية بين مملكة إيران وتوران ، وفدوا على كيخسرو ذات يوم  
يشكون إليه انتشار الحيوانات الضارية في ناحيتهم مما أفسد الزرع وأتلف  
الثمر ، فرق لحالهم قلب كيخسرو وندب بيژن بن گيو لتطهير تلك الناحية وتأمين  
أهلها . وأمر گرگين بن ميلاد أن يرافقه في سفرته ليدله على المسالك والطرق .  
وقد نجح بيژن في مهمته . وظهر تلك الناحية مما فيها من الحيوانات المؤذية  
فاغتاط گرگين لما أصابه بيژن من النجاح ، وانفراده به ، وامتلأ قلبه حقدا عليه

وسلك سبيل الحيلة ليتخلص منه فأخذه يثنى على بيژن ويمدح شجاعته ويتحدث عن بأسه وقوته ثقافا وخداعا . ثم شرع بعد ذلك يتحدث عن روضة غناء ، كثيرة العشب والماء ، طيبة الهواء ملتفة الأشجار ، منوعة الرياحين والأزهار على مسيرة يومين من مكانها . ثم تمادى في إغرائه فأخبره أن ابنة افراسياب منيرة تذهب إلى هناك في فصل الربيع من كل سنة تقضى فترة من الزمان مستمتعة بطيب ذلك المكان ، ومعها عدد كبير من الجوارى الحسنان من نساء التوران . فقال قلب بيژن إلى الذهاب ودفعه الشباب وحب النساء إلى الموافقة على ارتياد ذلك المكان . ولما وصلا جالس بيژن يستريح تحت شجرة قريبة من خيمة ابنة افراسياب - عدو الايرانيين اللدود - فرأته منيرة وراقها جماله ، وفتنها شبابه ، فأرسلت اليه جارية من جوارىها تدعوه إليها . وقضت مدة مقامها معه في تلك الغيضة حتى تمكن حبه من قلبها . فلما حان وقت الرحيل لم تطق أن تفارقه فسقته مخدرا أسلمه إلى النوم العميق وحمله معها إلى أن بلغت قصر أبيها افراسياب فأفردت له حجرة هناك وجعلت تتردد عليه وتقضى جل وقتها لديه ، حتى بلغ الأمر افراسياب فكلف كرسبوز أن يفتش القصر ويأتبه بكل غريب يحده فيه . وصدع كرسبوز بالأمر ، وأحاط القصر برجاله من جميع نواحيه ودخل هو حتى إذا قرب من الحجرة انتهى إلى سمعه صوتها وهما يلوان ويقصفان فخلع الباب ودخل فإذا به أمام بيژن بن گيو ، فحملة إلى حضرة افراسياب الذى أمر أن يصلبوه . لكن پيران حين علم بذلك نصحه أن يعدل عن صلبه حتى لا يضاعف عداوة الايرانيين له ، فاستصوب رأيه وأمر أن يقيد ويلقى في جب مظلم إلى أن يموت ، وأن تخرج ابنته من قصره ذليلة مكسورة فتلقى في الصحراء عند جب صاحبها . وكان في رأس الجب

فجوة صغيرة جعلت منيرة تلقى منها إلى يثون كل ما يتجمع لديها من كسر  
وفئات ليقنات بها صاحبها . وكانت هي تقضي طول يومها عند رأس الجب  
تبكي وتلتحب .

ولما اطمأن گرگين الحائن إلى وقوع صاحبه في السكين رجع يدي الأسف  
والحزن وأخبرهم بفقده . وكان عند الملك جام عجيب إذا نظر فيه رأى ما يجري  
في كل الأقاليم فجاء به ونظر فوجد يثون مقيدا في الجب في قلم كركساران  
ووجد منيرة قابعة عند رأس الجب تبكي وتلتحب ، ففطن إلى الأمر ، وكلف  
رستم أن يسرع إلى إنقاذ يثون . ورأى رستم أنه لا سبيل للخلاص يثون بالقتال  
وأن النجاح لا يتم إلا بالمكر والاحتياي . فارتدى هو وأصحابه ملابس التجار  
ودخلوا بلاد الثوران بدعوى البيع والشراء حتى اهتدوا إلى الجب الذي قيد  
فيه يثون فرفع رستم عنه غطاءه ودلى الوهق فأخرج يثون وحمله مع صاحبه  
منيرة وقفل راجعا . وبلغ افراسياب ما احتال به رستم وكيف أخرج من الجب  
صاحبه فتبعه في جنده حتى أدركه في بعض الطريق ولكن رستم ومن معه  
حملوا عليهم حملة قوية فولى افراسياب وجنده منهزمين . وعاد رستم إلى الملك  
يحمل معه يثون سالما .

وهكذا ترى أن رستم كان عماد هذا العهد الخرافي ، وبطله غير منازع .  
ولم تخل حياة هذا البطل الخيالي القومي من مأساتين دامتين : أولاها مأساته  
مع ابنة سهراب ، وثانيتهما مأساته مع أخيه شغاذ .

### مأساة رستم وسهراب :

أما مأساة رستم مع ابنة سهراب فهي أفجع ما في الشاهنامه من المآسي .

وموقف رستم من ابنه سهراب في هذه المأساة من المواقف المؤثرة العنيفة .  
 وخلاصة هذه المأساة أن رستم كان قد خرج ذات يوم للصيد وأوغل في السير  
 حتى وصل حدود توران . وكان صيده كثيرا فشوى منه وأكل ونام بعد ذلك  
 ليستربح . وترك فرسه الرخس يرعى إلا أن بعض المارة من التورانيين رأوا  
 الفرس وحيدا فأخذوه إلى بلدتهم سمنجان . ولما صحا رستم لم يجد فرسه فأخذ  
 يتتبع أثره حتى وصل إلى تلك المدينة . وشاع في المدينة خبر قدوم رستم فأسرع  
 إليه ملكها ورحب به ووعد بالبحث عن فرسه واستضافه تلك الليلة . وبينما  
 هو نائم إذ أحس بحركة في حجرته ورأى امرأة بارعة الجمال تقترب منه  
 فسألها عن أمرها فعرف أنها ابنة ملك سمنجان وقد سمعت بخلقه وشجاعته  
 فأجبت وعرضت نفسها عليه تريد أن يرزقها الله مولودا في مثل قوة رستم .  
 فبات معها تلك الليلة وأهداها خريزة كانت معه وأوصاها أن تشدها على عضد  
 المولود إن جاء ذكرا . ولما أصبح الصباح جاءه الملك بفرسه ففرح به وعاد  
 مسرورا إلى إيران . وبعد تسعة أشهر ولدت ابنة الملك مولودا ذكرا سمته  
 سهراب كان يشبه أباه في شجاعته وقوته . ولما كبر سأل أمه عن أبيه فأخبرته  
 الخبر . وعند ذلك صبح عزمه على خوض غمار الحروب اقتداء بأبيه وجده  
 وجمع عساكر عظيمة من الترك أراد بها أن يخلع أولا كيكائوس عن عرشه ثم  
 يعطى بعد ذلك على افراسياب فيخلو له بذلك ملك الإيرانيين والتورانيين .  
 ولما علم افراسياب بعزم سهراب على قتال كيكائوس سر لذلك وشجعه عليه  
 وأوفد معه بعض أعوانه وأوصاهم إذا التقى الجمعان أن يحولوا بين سهراب  
 وبين رستم حتى لا يعرف الابن أباه عند الملاقاة . وقد يسعد الحظ افراسياب  
 فيقتل أحدهما الآخر أو يقتلان معا . وقبل أن يرحل سهراب ودعته أمه

وربطت إلى عضده الخرزة وأوصته أن يسعى للقضاء أيه . ولما بلغ الأمر  
كينكاوس كتب إلى رستم يستدعيه ، وتجهزت الجيوش ، وحاول سهراب قبل  
القتال أن يهتدى إلى أيه رستم بين رجال الأعداء فلم يتحقق له ذلك . وبدأ  
سهراب القتال فوجه على سراق كينكاوس فقوضه وأزعج عسكره فأوفد الملك  
« طوس » إلى رستم يخبره بما فعله سهراب ، ويستحثه على لقائه . فخرج رستم  
لمبارزة سهراب وهو لا يعرف أنه ابنه . وكان سهراب قد رأى من قوة رستم  
ومتانة بنيانه وطول قامته وشدة أعضائه ما ذكره بحديث أمه عن أبيه ، فدنا  
من غريمه ، وسأله عن أصله وحقيقته فلم يفز منه بإجابة شافية . وعند ذاك  
يئس سهراب من لقاء أبيه وبدأ المبارزة ، وحمل على عدوه ، أو أبيه ، حملة  
شديدة . وما زالا يتبارزان حتى تكسرت سيوفهما ، وسال عرقهما ، واشتد  
تعبهما دون أن يعرف الأب ابنه ولا الابن أباه . ثم استراحا ساعة عادا بعدها  
إلى القتال وطال بينهما الأمر فأخرج سهراب جرز وأهوى به على اكتاف  
رستم فتألم رستم لشدة الضربة ، وضحك سهراب ضحك من يظن أنه ظافر بعدوه  
منتصر عليه . ولما أدركهما الليل توقف بينهما القتال . وفي الصباح تقابل الفارسان  
فأقبل سهراب على رستم يسأله عن حاله كأنه صديق حميم ، وأخذ يعرض عليه  
وقف القتال ، والجنوح إلى السلام لما يستشعره في قلبه من حب له وميل إليه .  
ولكن رستم الذي عرك الدهر ، وصرع الأبطال ، وهزم الملوك من الإنس  
والجان ظن ذلك حيلة وخديعة فرفض ما عرضه عليه سهراب ، ويعلم الله أنه  
فيما عرض كان مخلصا ملييا نداء القلب والدم ولكن هكذا شاء القدر ولا يملك  
الإنسان لنفسه النفع أو الضر . وترجل كل منهما عن فرسه ، وبدأت بينهما  
المبارزة ، وحيث المصارعة إلى أنلقى سهراب رستم على الأرض وجثم على

صدره وهم باحتزاز رأسه لكن رسم عمدا إلى الخيلة واستعمله إلى الجولة الثانية واستطاع في هذه الجولة الأخيرة أن يتغلب على سهراب فيلقيه أرضا ويستل خنجره ويشق به نحره . ولما رأى سهراب الموت ذكر أمه وما أوصته به من البحث عن أبيه رسم . فأن سمع رسم هذا الكلام حتى أظلمت الدنيا في عينيه ومادت الأرض تحت قدميه ثم إنه نظر فوجد في عضد سهراب تلك الخرزة ويتقن عند ذلك أنه قتل ولده بيده ، فأخذ يندبه ويشق عليه الصدر ، وينتف الشعر ، وعاد إلى عسكره على تلك الهيئة المذكورة ، أغبر الوجه ، أشعث الشعر ، سائل الدمع ، ممزق الثياب ، معفر الرأس بالتراب . فأقبلوا عليه يعزونه ويواسونه . ورجع بعد ذلك إلى زابلستان يحمل ولده وقيطه سهراب في تابوته حيث دفنه في موطنه . وهكذا قتل الأب الابن وقضى بذلك الأمر (١) .

هذه هي المأساة الأولى وفيها قتل رسم ابنه سهراب .

### مأساة رسم وشغاذ :

أما المأساة الثانية فقد لقي رسم حتفه فيها على يدي أخيه شغاذ . وخلاصة الخبر في هذه المأساة أن زال بن سام - أبا رسم - كانت له جارية حملت منه وولدت له ولداً سماه شغاذ . ولما كبر شغاذ تزوج ابنة ملك كابل وكان رسم قد فرض على ملك كابل خراجاً يؤديه إليه كل عام . وظن ملك كابل بعد أن زوج ابنته إلى شغاذ أن هذا يعفيه من أداء الخراج ، وحاول أن يسوف في الأداء لكن رسم اشتد عليه حتى أدى الخراج المعلوم فاغتاظ أخوه شغاذ

---

(١) الشاهنامه : من ٤٣٣ وما بعدها ج ٢

واعتبر هذا إهانة له ، واتفق مع صهره على اتباع الحيلة للخلاص من رستم فدعوا إلى كابل وحفروا في طريقه حفائر غرزت في قاعها النصال المحددة والحراب المشرعة وغطوا هذه الحفائر . ولما أقبل رستم بفرسه وقع في حفيرة منها فتمزق جسده وأصيب إصابات خطيرة قضت عليه . (١)

هذا بعض ما تحدثت به الشاهنامه عن رستم .

وأبطال الإيرانيين في الشاهنامه ، غير رستم ، كثيرون نشير من بينهم إلى اسفنديار بن گشتاسب .

اسفنديار :

كان اسفنديار ساعد أبيه الأيمن حتى دخل بينهما الوشاة ففسد قلب الأب على ابنه ، وقبده بالأغلال والسلاسل وسجنه في إحدى القلاع . ثم توجه أبوه بعد ذلك إلى زابلستان فأقام في ضيافة زال سلتين . ووصل إلى علم أرجاسپ التوراني أن گشتاسب بعيد عن مملكته ، وأن ابنه اسفنديار مقيد في إحدى القلاع ، وأنه ليس في مدينة بلخ غير لهراسپ الشيخ مع سبعمائة من عبدة النار فوجد الفرصة سانحة للتأمر من الإيرانيين . وكلف ابنه كهرم أن يسرع إليهم ، وصل كهرم إلى بلخ وقتل لهراسپ ودخل إلى بيوت النار والمعابد والقصور فهدمها وأحرق ما فيها من كتب الزند وأهلك من كان فيها من الموابذة وأطفأ النيران المشتعلة . وحين وصل الخبر إلى گشتاسب بما فعله أرجاسپ تقدم لقتاله ، ونشبت بينهما الحرب ، وانهزم الإيرانيون هزيمة

منسكرة ، وقتل أبناء گشتاسپ وعددهم ثمانية وثلاثون ، وتراجع گشتاسپ الى جبل عظيم يعصمه ، فجاء ارجاسپ وحصره فيه . ولما ضيق عليهم الحصار ، وقلت أرزاقهم ، وشحت أقوالهم ، وعلم گشتاسپ أنهم صائرون إلى الهلاك ذكر ابنه اسفنديار فأوفد إليه من يطلق سراجه ، ويعتذر إليه ؛ ويستنهض همته لنجدة أبيه في محنته . وركض اسفنديار للنجدة ناسياً ما أصابه على يد أبيه من شدة ، ووصل إلى الإيرانيين فضاعف وصوله حماسهم ، وقوى عزائمهم ، وباتوا طول ليلهم يستعدون . ولما طلع النهار حمل اسفنديار على عسكر الأعداء حملة شديدة ففر ارجاسپ وأعدائه وتركوا عساكرهم للسوت يحصدهم حتى امتلأت الارض بجثثهم . وسار اسفنديار من بلخ قاصدا توران يقتفى أثر ارجاسپ الذي اختفى في قلعة منيعة هي قلعة روين دژ . وقد سلك اسفنديار طريقاً مخفوفة بالمخاطر هي طريق هفتخوان حتى بلغها آخر الامر (١) ، فهاله ما رأى من حصاتها ومناعتها وعرف أنها لا تفتح بالقنال ولا سبيل إليها بغير المسكر والاحتياح فأمر بإحضار الرواحل وحملوها بصنوف البضائع وأحضر مائة وستين صندوقاً جعل في كل صندوق منها فارساً من فرسانه كامل العدة والسلاح وحمل هذه الصناديق على الرواحل ، ولبس الجميع ملابس التجار من الأتراك وجاءوا الى سور القلعة فسر أهلها بمقدمهم وأرادوا أن يعاينوا ما معهم من بضاعة وتجارة ولكنه رفض أن يعرض عليهم شيئاً قبل أن يعرضه على الملك فأخذوه إليه فحدهه عما معه من تجارة ونفائس

(١) راجع تفاصيل المخاطر التي تعرض لها اسفنديار في هذه الطريق وكيف تغلب

عليها في الشاهنامه .

وطرائف تركها في الصناديق عند باب القلعة فأمر الملك فرغوا تلك الصناديق إلى داخل القلعة . ووهبه الملك داراً يقيم بها ومتجراً يبيع فيه ويشترى . وبعد أيام أقام وليمة عظيمة دعا إليها الملك والأمراء والقواد وكبار القوم فقصوا الليل كله في القصف والمنادمة ثم انصرفوا وهم ثملون . وانهز اسفنديار هذه الفرصة وأشعل النار فوق سور المدينة . وكان هذا إشارة متفقاً عليها ، فأقبل بشوتن أخو اسفنديار بالجيش إلى القلعة . ولما علم أرجاسپ بمجيء الإيرانيين أخرج الجيش لمقاتلتهم فحلت بذلك القلعة وعند ذلك أخرج اسفنديار رجاله من الصناديق فهجموا على أرجاسپ ولم يكن قد أفاق بعد من سكره فقتلوه وألقوا برأسه بين جنوده وهم يقاتلون فسادهم الاضطراب وعمهم الذعر فولوا هاربين . وقتل في هذه المعركة كهرم واندريمان ابنا أرجاسپ وأسرت أختاه وبناته وزوجته . وعاد اسفنديار إلى أبيه ظافراً منصوراً .

وكان اسفنديار يطمع إذا انتصر في حربه على أرجاسپ أن يتنحى له أبوه عن التاج والعرش مكافأة له فلما لم يفعل ساء ذلك . والظاهر أن أباه أحس بما يحول في خاطره ولم يكن التنازل عن الملك سهلاً لديه فأراد أن يتخلص منه وأوفده لقتال رستم بن دستان مدعيًا أنه لم يسرع إلى خدمته كما كان يفعل مع الملوك السابقين وأنه اعتزل في زايل من عهد لهراسپ دون سبب وجيه متغافلاً عما يجب عليه نحو الملك . ووعده أن يلقي إليه مقاليد الأمور إذا جاءه برستم أسيراً . فخرج اسفنديار بجيشه لمقاتلة رستم الذي حاول أن يرده بالحسن عن سلوك طريق الشر ، وأخذ يعتذر إليه عما كان من تقصيره في خدمة گشتاسپ ، ووعده أن يسرع لأداء فروض الطاعة والولاء ، وأن يكون عند حسن ظن گشتاسپ كما كان عند من سبقوه من الملوك والأمراء . ولكن

هذا المقال الخلو لم يزد اسفنديار إلا تمسكا بالقتال فاتمى أمره إلى وبال وكان قتله هو العاقبة والمآل .

### افراسياب :

ومن أبطال الشاهنامه من غير الإيرانيين افراسياب التوراني . وهو افراسياب بن بشتك من ولد تور بن افريدون . ويقول الثعالبي عنه إنه كان بطالا مقاتلا وفاتكا بأسلا بل كان شيطان الإنس وسلطان السحرة وجمرة الترك <sup>(١)</sup> . ومع أن افراسياب بطل فذ من أبطال الشاهنامه بلا شك إلا أن الشاهنامه لا تمجد فيه روح البطولة ولا تسلم له بها في صراحة ، بل إنها تحاول أن تنتقص من هذه البطولة بما تصفه من الغدر والنكث بالعهود <sup>(٢)</sup> . وعلة هذا واضحة فأفراسياب توراني والتورانيون في الشاهنامه ألد أعداء الإيرانيين . ولا يستسيغ ناظم الشاهنامه في تعصبه لقومه أن يسلم بمجد أو بطولة لغير الإيرانيين . وستحدث فيما بعد عن موقف الشاهنامه من التورانيين وغيرهم من الأمم والشعوب الأخرى .

\* \* \*

هذا بعض ما ورد في الشاهنامه عن هذين العهدين ، عهد الدولة الشيدادية والدولة الكيانية ، وطرف من سيرة الأبطال الذين ذاع صيتهم . وقد أنكر كثير من المؤرخين ما في هذا القسم من الشاهنامه من الخرافات والأساطير .

(١) الفرزد : من ١٠٧

(٢) الشاهنامه : من ٥٥٦ ج ٣

يقول البيروني : ولهم في تواريخ القسم الأول ( أى الپيشداديين ) وأعمار الملوك وأفاعيلهم المشهورة ما يستفرد عن استماعه القلوب وتمجده الآذان ولا تقبله العقول .<sup>(١)</sup> أما ابن الأثير فيقول عند حديثه على الملك جمشيد : وهذا الفصل من حديث جم قد أتينا به تاما بعد أن كنا عازمين على تركه لما فيه من الأشياء التي تمجها الأسماع ، وتأبأها العقول والطباع إنما من خرافات الفرس مع أشياء أخرى قد تقدمت قبلها وإنما ذكرناها ليعلم جهل الفرس فإنهم كثير ما يشنعون على العرب بجهلهم .<sup>(٢)</sup> ويقول في موضع آخر عن قصة الضحك الخرافية : وهذا أيضا من أكاذيب الفرس الباردة ولهم فيه أكاذيب أعجب .<sup>(٣)</sup>

ويذكر الدكتور عزام في تعليقاته على الترجمة العربية أن قارىء الشاهنامه لا يشعر بالفصل بين العهدين الپيشدادى والکيانی فسياق القصة مستمر لا ينقطع ولا يتغير وأبطال العهد الپيشدادى هم أنفسهم أبطال العهد الکیانى<sup>(٤)</sup> . ويبدأ الخلاف بين العهدين أيام الملك هراسپ فتتغير بواعث الحرب وميادينها .<sup>(٥)</sup> ويذكر أن القارىء حين يبلغ عهد گشتاسپ يشعر أنه قد بدأ ينتقل من ظلمة الأساطير إلى ضوء التاريخ حيث يجد من الحوادث والأسماء ما يشبه ما عرف في تاريخ الاکمينين .<sup>(٦)</sup>

- |                                      |                         |
|--------------------------------------|-------------------------|
| (١) الآثار الباقية                   | : ص ١٠٠ ط سغاولينج ١٩٢٣ |
| (٢) ابن الأثير                       | : ص ٢٦ ج ١ ط مصر        |
| (٣) نفس المصدر والجزء                | : ص ٣٠                  |
| (٤) تعليقات عزام على الترجمة العربية | : ص ٩٩ ج ١              |
| (٥) نفس المصدر والجزء                | : ص ٣٠٨                 |
| (٦) نفس المصدر والجزء                | : ص ٣٢٥                 |

نكتفي الآن بهذا القدر من الحديث عن العهدين الأولين من الشاهنامه  
وهما العهد البيشدادى والسكيانى .

\* \* \*

يأتى بعد ذلك القسم الخاص بالاسكندر ومن خلفه من الملوك الأشكانيين .  
وهذا القسم فى الشاهنامه موجز ايجازا شديدا لا يتناسب مع الطول والامتداد  
الذين نجدهما فى القسمين السابقين من الشاهنامه . ولعل هذا راجع إلى أن  
الفرس لا يعتبرون عهد الاسكندر ومن جاء بعده من الأشكانيين من عهودهم  
الزاهرة . ويطلق على هذا العهد العهد الاسكندرى أو الأشكافى وهو من عهود  
الانحطاط فى تاريخهم القومى ، ذلك أن الإسكندر حين تغلب على البلاد محاربا  
كثيرا من النقوش والآثار الايرانية كما أحرق فى حالة سكره مدينة اصفخر  
وكانت عاصمة ملوك الدولة الهخامنشية وخرّبها وأحرق مكتباتها التى كانت تشمل  
آثاراً نفيسة فى شتى المعارف الإنسانية . فلما قضى الاسكندر لم يهتم خلفاؤه  
بالآداب والعلوم الايرانية وكان من نتيجة هذا أن انتشرت اللغة والثقافة  
اليونانية فى البلاد وضعفت العصبية القومية . ولما جاء الأشكانيون (البارث) كانوا  
بصفة عامه من أهل الحرب ولهذا لم يهتموا بأحياء التراث الايرانى والعمل على  
حمايته . وعلى العكس مما كان ينتظر منهم اتجهوا نحو الثقافة اليونانية كأسلافهم  
من خلفاء الاسكندر . وكان أغلب ملوكهم يجيد هذه اللغة وآدابها .

وعلى العموم لم يكن عهد الاسكندر وخلفائه ، وعهد ملوك الأشكانيين  
من العهود الزاهرة فى تاريخ الفرس .

وقد دام هذا العهد من فتح الاسكندر إلى انتصار اردشير بن بابك على

أردوان مائتين وستا وستين سنة .

ومع أن الاسكندر غزا الايرانيين وقهرهم وحطم ملك السكيانيين ، إلا أن الشاهنامه تصوره لنا في صورة جميلة . فإنه عند ما آل اليه الأمر أعفى الناس من الخراج خمس سنين ووعد بمساعدة الفقراء دون أن يكون في هذه المساعدة مساس بما في أيدي الأغنياء <sup>(١)</sup> . وأي خلق أجمل من هذا الخلق الذي تنسبه الشاهنامه للاسكندر حين حضرته الوفاة إذ كتب إلى أمه يوصيها ألا تمسك من الأموال التي جمعها أكثر مما تحتاج اليه في قوتها وأن تفرق الباقي على المحتاجين . <sup>(٢)</sup>

ولعل سبب هذه الصورة الجميلة التي صور بها الشاعر الاسكندر ما ادعاه من انتساب الاسكندر للايرانيين ولعل الشاعر أراد أيضاً بنسبة الإسكندر للايرانيين أن يحو عن هؤلاء عارهم بمتهم أمامه ، فأصبح الاسكندر بهذه النسبة منهم ولا يعيب الايرانيين انهزامهم أمامه . وما دام الاسكندر إيرانياً فمن الواجب أن يصوره الشاعر بهذه الصورة الجميلة .

ويرى الدكتور عزام أن الاشكانيين لتأثرهم بالحضارة اليونانية ولأن سلطانهم لم يكن شاملاً لبلاد الفرس كلها لم تعز بهم الأقاصيص الفارسية بل جارت على تاريخهم فسلبتهم بعض مفاخرهم وأبطالهم ووقائعهم ونسبتهم إلى الپيشداديين والسكيانيين ، فقارن وگودرز وگيوويژن أبطال العهد السكياني في الشاهنامه

---

(١) الشاهنامه : ص ١٨١٠ ج ٧

(٢) الشاهنامه : ص ١٩١٢ ج ٧

ليسوا إلا من أمراء الأشكانيين<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

يأتى بعد هذا العهد الأخير فى الشاهنامه وهو العهد الساسانى . وهذا بيان ملوك هذا العهد ومدة حكم كل منهم :

- ١ - اردشير بن بابك حكم أربعين سنة وشهرين
- ٢ - شابور بن اردشير د احدى وثلاثين سنة وشهر او يومين
- ٣ - هرمزد بن شابور حكم سنة واحدة وشهرين
- ٤ - بهرام بن هرمزد حكم ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثلاثة أيام
- ٥ - بهرام بن بهرام بن هرمزد حكم تسع عشرة سنة
- ٦ - بهرام بهراميان (بن بهرام بن بهرام) د أربعة أشهر
- ٧ - فرسى بن بهرام د تسع سنين
- ٨ - هرمز بن فرسى د تسع سنين
- ٩ - سابور بن هرمز بن فرسى وهو المعروف بسابور ذى الأكثاف د اثنتين وسبعين سنة
- ١٠ - اردشير الملقب بالمحسن (نيكوكار) د اثنتى عشرة سنة آخر سابور
- ١١ - سابور بن سابور ذى الأكثاف د خمس سنين وأربعة أشهر
- ١٢ - بهرام بن سابور بن سابور د أربع عشرة سنة
- ١٣ - يزدجرد بن سابور بن سابور ذى الأكثاف د احدى وعشرين سنة

(١) تعليقات عزام على الترجمة العربية ص ٣٦ ج ٢

١٤ - بهرام گور بن یزدجرد حکم ثلاثاً وستین سنة .

١٥ - یزدجرد بن بهرام گور ( جور ) ثمانی عشرة سنة .

١٦ - هرمزد بن یزدجرد سنة و شهرآ .

١٧ - فیروز بن یزدجرد بن بهرام جور « إحدى عشرة سنة وأربعة أشهر .

١٨ - بلاش بن فیروز « خمس سنوات و شهرآ وستة أيام .

١٩ - قباد بن فیروز « أربعین سنة .

٢٠ - کسری أنوشروان بن قباد بن فیروز « ثمانیاً وأربعین سنة .

٢١ - هرمزد بن کسری أنوشروان « أربع عشرة سنة .

٢٢ - کسری پرویز بن هرمز بن کسری « ثمانیاً وثلاثین سنة .

أنوشروان

٢٣ - قباد بن پرویز بن هرمز بن کسری « سبعة أشهر .

أنوشروان

٢٤ - اردشیر بن شپرویه بن پرویز « ستة أشهر .

٢٥ - فراتین جراز « خمسين يوماً .

٢٦ - پوران دخت بنت کسری پرویز حکمت ستة أشهر .

٢٧ - آذر م دخت بنت کسری پرویز « أربعة أشهر .

٢٨ - فرخزاد « شهرآ واحداً .

٢٩ - یزدجرد بن شهربار بن کسری پرویز « ست عشرة سنة (١)

• • •

ومن هذا يتبين أن عدد ملوکهم کان تسعة وعشرين ملکا حکمرا مدة

أربعائة وثلاث وتسعين سنة وعشرة أشهر ويوم واحد.

وعهد الدولة الساسانية من أزهى عهود التاريخ الفارسي . وحديث الشاهنامه عن هذه الدولة حديث تاريخي وإن لم يسلم من بعض القصص . ويبدو أن مجال الإنشاد في هذا القسم من الشاهنامه لم يكن مسيحيا أمام الشاعر كما كان في العهدين اليشداي والكياني لقلة المادة الأسطورية ولارتباط الشاعر بحوادث التاريخ التي ينظمها من المصادر التي لديه . وأشهر ملوك هذه الدولة أردشير الذي أسس الدولة بعد أن تغلب على اردوان ، وسابور ذو الاكتاف وله مع العرب حروب كثيرة هزمهم فيها وقتل منهم خلقا كثيرا وكان ينزع أكتاف الأسرى حتى سمى ذا الأكتاف . ويمتاز عهد قياد بالفتنة الدينية التي أثارها مزدك في عهده . وقد دخل قياد في دين مزدك وشاع هذا المذهب على عهده حتى ضج الموازنة وسعوا لدى قياد حتى انحرف عن هذا الدين الجديد وترك لابنه أمر التخلص من مزدك وأتباعه فقتله ونكل بهم وعاد الناس إلى دينهم الأول . وأما كسرى أنو شروان فعنه من العهود الزاهرة في هذه الدولة إذ ارتفع شأن البلاد في جميع النواحي السياسية والحربية والأدبية والإدارية . ويتجلى الترف الملكي بأجلى مظاهره في عهد كسروي پرويز . وبعد ذلك أخذت الدولة في الانحطاط والتدهور فكان يلي أمر البلاد ملوك ضعفاء لا يبق الواحد منهم في الحكم غير أشهر أو أيام . ولا غفء الملوك الا كفاه المتمتازين استطاع أن يرقى العرش بعض النسماء مما زاد البلاد ضعفا وأطمع فيها أعداءها وأعدها لتكون فريسة سهلة للغزاة العرب .

هذه هي تقسيمات الشاهنامه من حيث عهودها ودولها . ويمكن أن ننظر

إلى الشاهنامة نظرات أخرى فنقسمها على ضوء الاعتبار الموضوعية  
لا العهود والدول السياسية .

### نقسم آخر للشاهنامة :

هناك تقسيمات أخرى يمكن أن نقسم إليها الشاهنامة . أول هذه التقسيمات  
تقسيمها إلى ثلاثة أدوار متبايزة :

١ - الدور الأسطوري

٢ - دور البطولة

٣ - الدور التاريخي

١ - أما الدور الأسطوري فنعني به عهد كيومرث وهو شئك وطهمورث  
وجمشيد والضحاك حتى ظهور افريدون . وتمثل الأساطير في هذا العهد فيما  
تصوره الشاهنامة من تسخير الجن لخدمة الملوك كما كان الحال مع كيومرث  
وجمشيد ، وفيما ترويهِ لنا عن ابليس الذي تمثل للضحاك طباعا حاذقا وكيف  
كان السبب في ظهور الحيتين على كتفيه وما احتاج إليه الضحاك من قتل العباد  
لاطعام هاتين الحيتين إلى أن كثر منه القتل وعم الظلم فتار عليه غاوه .

هذا الدور الاسطوري لا نجد فيه بطولة ظاهرة ، ولا أبطالاً قوميين  
تعتمد بهم الشاهنامة ، ولا درافع قومية تدور من أجلها الحروب ، ولا مثلاً  
توجه المنازعات وجهة خاصة . ومن هنا جاء الفرق بينه وبين الدور الثاني  
دور البطولة .

٢ - دور البطولة : وهذا الدور مشترك مع الدور الأسطوري الذي قبله

في الأساطير ولكن الفرق بينهما الذي جعلنا نميزها عن بعضها ظهور المثل في حياة الناس ، الوعي القومي الذي يخلق أبطالاً قوميين تدور حروبهم حول الدفاع عن الوطن ، والتعصب للأهله ، والقضاء على أعدائه ، واعتناق دين خاص ، ومحاولة نشره بين الناس لإيمانا به . فتورة الشعب ضد الضحاك كانت ثورة واضحة المهدف . وكان هدفها القضاء على الظلم والاضطهاد ، واستطاع الشعب أن ينجح في تحقيق هدفه فعزل الضحاك وولى مكانه أفريدون الذي اشتهر بالعدل . وحروب رستم وأفراسياب الذي شغلت الجزء الأعظم من هذا الدور لم تكن حروبا طائشة لا هدف لها ولا مثل من ورأها فهي حروب قامت من أجل تسويد العنصر الإيراني وتحقيق السيادة له في الأرض على جميع العناصر والشعوب والقضاء على منافسيه في هذه السيادة وهم التورانيون . وحروب أسفنديار ضد التورانيين في سبيل الدفاع عن العقيدة ، ونشر راية الدين الجديد بقوة السلاح كانت حروبا يدفع إليها الإيمان والحماسة الدينية . فالفسكرة القومية هنا واضحة ، والمثل العليا ظاهرة . وهذا هو أهم ما يميز هذا العهد عن سابقه . ويبدأ هذا الدور منذ ظهر التأثير الشعبي كأوه وينتهي بقتل رستم . وهذا العهد أهم ما جاء في الشاهنامه من ناحية تمثيله للحماسة القومية الإيرانية .

٣- الدور التاريخي : وهو القسم الثالث من الشاهنامه . وفيه يختفي عنصر البطولة الفردية القائمة على الأمور الخارقة والأعمال المعجبية . ويحل محل هذا أشخاص عاديون ، وأعمال تاريخية . ولغلبة الناحية التاريخية في هذا العهد يلاحظ أن الأشعار من حيث مستواها الفني ليست في جمالها التي رأيناها عليه في العهود الأسطورية السابقة . وهذا طبيعي حيث يتقيد الشاعر بحوادث

تاريخية لا يسهل عليه أن يحدد عنها أو يضيف عليها كثيرا من الخيال . وفي بعض الأحيان تكون الشاهنامة في هذا القسم أشبه بكتاب التاريخ من حيث سردها للحقائق وحدها .

### تقسيم ثالث للشاهنامة :

وهذا تقسيم آخر للشاهنامة من حيث مادتها وما يتخلطها من حقائق أو أساطير . فهناك :-

- ١ - عهد اسطورى خالص وهو عهد الپنشداديين .
- ٢ - عهد اسطورى يمزج بشئ من التاريخ وهو عهد السكيانيين .
- ٣ - عهد تاريخى يمزج بشئ من الأساطير وهو العهد الساسانى .

### تقسيم رابع للشاهنامة :

وهذا تقسيم آخر يقوم على التطور الطبيعى للحياة الانسانية ويصور مراحل المجتمع الانسانى . فهناك :-

- ١ - العهد الطبيعى أو البدائى : وفيه خلق الانسان الاول « گيومرث » ، وفيه عاش الانسان عبثة بدائية أو طبيعية يحاول أن يستكشف البيئة الطبيعية التى حوله وبذلها لمصلحته . وفي هذا العهد توصل إلى النار كما فعل « هوشنگ » إذ رمى حية فى الجبل بحجر فأفلتت الحية واصطدم الحجر بالصخر فأخرج اصطدامها نارا . وكان هذا كشفا عظيما . وفيه شق مجارى المياه واهتدى إلى الزراعة . واتخذ من جلود الثعالب وأصواف الحيوان غطاء له وكساء . وعلم الجوارح لتكوين فى خدمته وأذل قوى الشر كالغفاريت ونحوها لتصفو له الحياة كما فعل طهمورث . واتخذ آلات الحرب المختلفة من دروع وسيوف

ورماح ، وتعلم الغزل والنسيج ، واستخرج المعادن وبني البيوت ، وعالج المرض بصنع الأدوية . وقد حدث كل هذا في عهد جمشيد .

فهذا العهد اذن يمثل النشأة الطبيعية أو البدائية التي مر بها الانسان والمجتمع الانساني .

٢ - عهد النزاع . وطبيعى بعد أن يسيطر الانسان على البيئة المحيطة به ويوفر لنفسه حاجاتها من غذاء وكساء ومسكن أن يسعى ليفرض سيطرته على من يحيط به من الناس ليهيئ لنفسه حياة أفضل . ومن ثم ينشأ النزاع بينه وبين غيره من أفراد المجتمع . ويستمر هذا النزاع قائماً إلى أن يستطيع فرد أن يتفوق على الباقين فيخضعهم لسلطانه ، ويصبح هو رأس هذا المجتمع ويدين له أفراداه بالطاعة والولاء . وفي مثل هذا الدور تظهر الغرائز الانسانية من حب للسيطرة ، والتملك ، والمقاتلة ونحو ذلك . وهذا الدور من أدوار المجتمع الانساني تصوره لنا الشاهنامة خير تمثيل . ويمكن أن نعتبر بدايته النزاع الذي قام بين الاخوة ايرج وسلم وتور ابنا افريدون ، هذا النزاع الذي أدى إلى إشعال نيران الحروب التي استغرقت هذا الدور كله حتى قتل رستم وانتهى العهد السكياني .

وكان افريدون قد قسم الملك بين أولاده الثلاثة وجعل لسلم وهو أكبر أبنائه أرض الروم وبلاد المغرب ، واعطى لتور بلاد الصين والترك ، ومنح ايرج وهو أصغر الأخوة العراق وبابل حتى الهند وجعله ولياً لعهده . ونظر الاخوة فوجدوا أن أباهم قد خص ايرج بأهم أجزاء المملكة فضلاً عن ولاية العهد مع أنه أصغرهم . وبدأت عوامل الغيرة والتنازع تظهر بينهم . ولما أحس ايرج ما يحول بخاطر أخويه - وكان عاقلاً حكيماً - عرض على أخويه أن

يتنازل لهما عن نصيبه الذى خصه به أبوهن اترفع من بين الاخوة أسباب الشجار وتسود بينهم المحبة والوثام . ولكن السلام لم يدم بين الاخوة طويلا ودفعت الغيرة العمياء والرغبة فى السيطرة والاستعلاء ه تور ، إلى قتل أخيه ايرج . وكان لإيرج جارية قد حملت منه وولدت له بنتا رباها جدها افريدون حتى إذا كبرت زوجها ابن أخيه بشج . وكان ثمرة هذا الزواج منوچهر الذى استطاع فيما بعد أن ينتقم لايرج وأن يقتل تور . وبعد قتل تور صار سلم وحيدا فى الميدان فلم يستطع أن يقاوم طويلا وانتهى أمره إلى القتل كذلك . ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد إذ انتقل النزاع بعد ذلك من دائرة الفردية إلى دائرة شعبية قومية بين الشعب الايرانى وبين الشعب التورانى الذى ينسب إلى تور . ولم ينته هذا النزاع القومى إلا بموت أبطاله افراسياب التورانى ورستم الايرانى . وموت هذين البطلين ينتهى هذا النزاع وينتهى فى نفس الوقت عهد النزاع .

٣ - عهد الاستقرار والحضارة : والحضارة بطبيعتها ثمرة من ثمار الاستقرار وهذا الاستقرار لا يتحقق إلا بانتهاء النزاع بين المتنازعين وخضوعها لسلطان قوى يقضى على عوامل الفوضى ويبدل جهده فى رفع مستوى الحياة الإنسانية . وهذا الدور من أدوار المجتمع الإنسانى تصوره لنا الشاهنامة فى العهد الساسانى فهو عهد استقرار إلى حد كبير . وفيه قام مجتمع منظم له أصوله وطبقاته . وعرف الناس معنى الدولة ، وظهرت الهيئة الحاكمة بتقاليدها ، ووضعت القواعد والقوانين لتنظيم المعاملات ، وأخذت الدولة بأسباب الحضارة فى كافة النواحي المختلفة .

هذا تعريف عام بالشاهنامه التي ألفها الفردوسي

### عصر الفردوسي والشاهنامه :

لم تكن إيران على عهد الفردوسي هي إيران الموحدة القديمة التي عرفناها في العهد الساساني إذ كانت تلك الرقعة الواسعة قد تقسمت أقساما سيطر على كل قسم منها دولة من الدول. وبذلك ضاعت الوحدة السياسية القديمة لإيران. ولم يعد ممكنا أن نطلق لفظ الدولة الإيرانية على أي واحدة من هذه الدول لأنها في الحقيقة لم تكن تسيطر إلا على جزء من إيران كما كان يشركها غيرها من الدول في السيطرة على أجزاء أخرى. ولهذا السبب كان يطلق على كل دولة من هذه الدول اسما محليا حسب الإقليم الذي تسيطر عليه؛ فسمى أمراء السامانيين أمراء خراسان، وأولاد بويه ملوك العراق والجلال، وخلفاء البتگين الذين استقروا في غزنة الغزنين.. وهكذا:

وفي القرن الرابع الهجري الذي ولد فيه الفردوسي وشرع ينظم شاهنامه كان قد ظهر في كل ركن من أركان الدولة الساسانية القديمة دولة جديدة، فكانت هناك دولة السامانيين في خراسان وما وراء النهر، والدولة الزيارية، والدولة البويهية، ودولة الغزنين. وهذه الدولة الأخيرة هي التي تهمننا بصفة خاصة.

### الدولة الغزنوية :

ولا بأس أن نطيل الكلام بعض الإطالة عن هذه الدولة وعن السلطان محمود أهم ملوكها إذ كان هذا الكلام مما يتصل أشد الاتصال بشاعرنا الفردوسي ومنظومته الشاهنامه.

مؤسس الأسرة الغزنوية الپتگین أحد عبيد الاتراك الذين كان لهم شأن  
يذكر في عهد الدولة السامانية . وقد خصه الأمير الساماني عبد الملك (٣٤٢هـ /  
٩٥٤ م) بعطف كبير إذ اتخذ له وولاه قيادة الجيوش في خراسان .  
وبعد أن توفي عبد الملك انتقل الپتگین ومن معه من الاتراك في سنة ٣٥١هـ /  
٩٦٢ م إلى مدينة غزنة التي كان يحكمها أبوه من قبل السامانيين وتولى هو من  
بعده حكمها . ولم يطل حكم الپتگین إذ مات بعد سنة دون أن يستطيع أداء  
عمل ذي شأن سوى أن يضع النواة الأولى للدولة الناشئة .

وجاء من بعده ابنه أسحق (٣٥٢هـ / ٩٦٢ م) ثم ، بلكاتگین ، (٣٥٥هـ /  
٩٦٦ م) الذي كان من بماليك الپتگین .

ويعتبر سبكتگین المؤسس الفعلي لهذه الدولة وكان هو الآخر عبدا من  
عبيد « الپتگین » وزوجا لابنته . وكان معروفا بالشجاعة والحزم فاستطاع أن  
يمد سلطان دولته وأن يتمكن لها في الأرض . وولى وجهه شطر المشرق في الهند  
فهزم ملوكها وأنشأ حكومة في پيشاور . وكذلك اتجه إلى الناحية الأخرى  
واستولى على خراسان فلم يجد الأمير الساماني بدا من تعيينه حاكما عليها . وقد  
رضى سبكتگین وهو صاحب القوة الفعلية أن يقدم خضوعه وولائه إلى  
الدولة السامانية صاحبة الحكم الشرعي .

وقد جمع سبكتگین حوله طائفة من أهل العلم والأدب . ولما مات رثاه  
كثير من الشعراء من بينهم أبو الفتح البستي الذي يقول :-

قلت إذ مات ناصر الدين والدو

لله حياة ربه بالكرامة

وتداعت جموعه باقراق

هكذا هكذا تكون القيامة

وكان ابو الفتح البستي الشاعر كاتباً للملك في « بست » ووقع بين الأسرى الذين أسروهم سبكتكين حين فتحها .

وجاء بعد سبكتكين ابنه محمود الذي يعتبر أشهر ملوك هذه الدولة ومن أبرز أعلام التاريخ الإسلامي وقد نال محمود هذه المكانة بما قام به من الغزوات الكثيرة التي رفعت لواء الإسلام . وتعتبر غزواته في بلاد الهند من اعظم الغزوات التي قام بها المسلمون في صكفاحهم الطويل لنشر الدين . وقبل أن يبدأ هذه الغزوات التاريخية رأى أن يأمن جانب جيرانه ليتفرغ لمحاربة الهنود وهو مطمئن . وكان جيرانه في ذلك الوقت السامانيون ، والأتراك الأيلخانية .

أما السامانيون فقد ضعف أمرهم في ذلك الوقت ضعفاً شديداً ولم يعد بأيديهم سوى اقليم ما وراء النهر بعد أن انتزعت خراسان منهم . وحتى هذا الاقليم ، ما وراء النهر ، لم يدم لهم طويلاً لأن ايلك خان استطاع بحيشه أن يزحف إلى بخارى في سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م . وأن يأسر عبد الملك الساماني ويحبسه بأفكند حتى مات . ومع أن الدولة السامانية لم يعد لها شأن أو كيان فقد حرص محمود على أن يفي الناحية الشكلية حقها وطلب موافقه الخليفة على ولايته فجاءته خلعة السلطنة من القادر بالله الخليفة العباسي وكان محمود يحرص وهو صاحب القوة والغلبة على إظهار الخضوع الشكلي للخليفة العباسي حتى أنه كان يلقب نفسه في صكبه إلى الخليفة « عبد مولانا أمير المؤمنين وصنيعته محمود

١. سبكتگين، (١). ومنحه الخليفة لقب يمين الدولة وأمين الملة .

أما أيلك خان التركي فقد رأى محمود أن مسالمة أحسن وسيلة لاثمان جانبه فأخذ في توطيد أواصر الصداقة بينهما ، ورأى أن يؤكد ما بينهما من ود وإخاء فأرسل إليه وفدأ يرجو مصاهرته ويخطب كريمة . وقد كان لمحمود ما أراد وقبل أيلك خان أن يزوجه ابنته . وبهذا نجح محمود فيما أراده ، وهياً نفسه بعد ذلك لغزو الهند .

وقد بلغت غزوات محمود في الهند اثنتى عشرة غزوة بين سنى ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م ، ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م . ولا شك أن تفصيل الكلام في هذه الغزوات لا تدعو اليه ضرورة في مثل هذا التأليف الأدبى .

والمتنبع لغزوات محمود في بلاد الهند يرى أنه كان يتخذها وسيلة إلى التقرب من الله بمجاهدة الكافرين ونشر الدين . ويحدثنا ابن الأثير أنه عندما قام بغزوته الأولى في بلاد الهند كان يتخذ منها كفارة لما كان منه من قتال المسلمين. (٢) ولا مرأى أن الغنائم والأسلاب العظيمة كانت تغريه دائماً بمتابعة الفتح والغزو . ويتهمه ابن الأثير بأنه كان محباً للمال فيقول عنه « ولم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان يتوصل إلى أخذ الأموال بكل طريق » وروى لذلك قصة رجل عرف عنه الغنى فاتهمه محمود بأنه قرمطى فلما اقتدى الرجل نفسه بالمال برأه محمود من هذه التهمة (٣) .

- 
- |                      |                              |
|----------------------|------------------------------|
| (١) النجوم الزاهرة : | ص ٢٥٩ ج ٤ ط دار الكتب ١٩٣٣ . |
| (٢) ابن الأثير :     | ص ٦٣ ج ٩ حوادث سنة ٣٩٢ .     |
| (٣) ابن الأثير :     | ص ١٥٠ ج ٩ حوادث سنة ٤٢١ .    |

ويبدو أن ابن الأثير غالى فيما نسبته إلى محمود ودليلنا على هذا موقف محمود من الهنود حين هم بتخطيم صنمهم الأكبر « سونيات » فأمر عوا اليه ضارعين ليدع لهم معبودهم على أن يقدموا اليه مالا يخصى من الأموال والنفائس . وقد أغرت كثرة الأموال التي عرضها الهنود رجال محمود فأشاروا عليه أن يقبل هذا العرض ويترك لهم صنمهم ولكنه رفض قائلا « إن محمودا يحطم الأصنام وليس بأتعها » .

وفي نهاية عهد محمود كانت دولته قد امتدت امتدادا عظيما وشملت خراسان وطبرستان في الغرب ، والتركستان وما وراء النهر في الشمال ، واقليم البنجاب في الشرق ، والاقليم المعروف في الوقت الحاضر ببلاد الأفغان في الوسط .

وبعد أن رجع محمود من إحدى غزواته ضد البويهيين التي استولى فيها على أصفهان مات في غزوة سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م بالغا من العمر إحدى وستين سنة إذ كان قد ولد في سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م .

ولم يجد الزمان على الدولة الغزنوية بمثل محمود . ويذكر البيهقي أن محمودا كان يحس أنه لن يظهر في أسرته بعد موته من يضارعه (١) . فكانت له كان يتنبأ بذلك .

ولم يظن محمود في حياته إلى الخطر الذي يهدد دولته من وجود الأتراك السلاجقة وازدياد نفوذ رؤسائهم أمثال طغرل بك . ومع أن مسعودا خليفة محمود كان من الملوك الأكفاء والمقاتلين الشجعان إلا أنه انهزم أمام طغرل في

الموقعة التي دارت بينها في داندانقان بين مرو وسرخس سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م .  
وكان من أثر هذه الهزيمة التي لحقت مسعوداً أن انتزع منه السلاجقة خراسان  
وجميع الأقاليم الغربية التابعة للدولة الغزنوية . وكانت هذه الهزيمة قاضية على جميع  
آمال مسعود بل وعليه نفسه إذ قتل بعد ذلك في سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م .

وبتوالى الملوك من الأسرة الغزنوية بعد ذلك وتزداد في نفس الوقت قوة  
السلاجقة وقد لجأ بعضهم إلى مسالمة السلاجقة مثل ابراهيم الغزنوي الذي  
تجاوزت مدة حكمه أربعين عاماً امتازت بالسلم والرخاء . وكان سبب ذلك ما  
لجأ إليه من تزويج ابنه مسعود الثالث إلى ابنة ملكشاه السلجوقي . واستغل  
ابراهيم هذه الصلة بينه وبين السلاجقة وانصرف إلى الإصلاح الداخلي . وكذلك  
كانت الحال في عهد مسعود الثالث ، إلا أن العلاقات قد ساءت بعد ذلك بين  
الغزنوين واستطاع السلاجقة ومن بعدهم الغوريون أن يستولوا على غزنة وأن  
يقضوا على ملك الغزنين بها . وفي الحروب التي دارت بين السلطان علاء الدين  
حسين من ملوك الغوريين <sup>(١)</sup> وبين بهرام شاه الغزنوي سقطت غزنة واشتعلت  
الحرائق فيها حتى صيرتها رماداً ولم يعد لها بعد ذلك مجددها القديم .

وبعد سقوط غزنة ، وضياح الجزء الغربي من الدولة ، اتجه الغزنويون إلى

---

(١) الغوريون أو آل شنسب هم طائفتان : ملوك الغور الذين حكموا في غور  
نفسها وكانت عاصمتهم فيروزكوه ، وملوك طخارستان وعاصمتهم باميان . واشهر  
سلاطين الغوريين السلطان علاء الدين حسين الذي هزم بهرام شاه الغزنوي ودخل  
غزنة وأشعل النار فيها وأشر الحراب والدمار حتى لقب « جهاانسور » أي محرق الدنيا  
وقد حكم الغوريون ما يقرب من سبع وستين سنة من ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م - ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م .  
راجع أيضاً ما كتبه القزويني في حواشيه للملحق بالترجمة العربية لمكتاب چهار مقاله .

مقاطعاتهم في الشرق واتخذوا لاهور عاصمة لهم واستمروا يحكمون هناك إلى أن قضى الغوريون على الأسرة الغزنوية نهائيا وكان ذلك في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م .

### نهضة الأدب والمضارة في العصر الغزنوي :

كان العصر الغزنوي عصر نهضة أدبية واسعة . وقد أجمع مؤرخوا الأدب على أن هذه النهضة لم يكن لها فيما سبق مثيل . وتركزت هذه النهضة بصفة خاصة في بلاط السلطان محمود الغزنوي الذي اجتمع فيه من أهل الأدب زهاء أربعمائة . وظهر في هذا العصر مجموعة من الشعراء الذين يعتز بهم الأدب الفارسي في جميع عصوره . ويمكن أن نحمل فيما يأتي الأسباب التي أدت إلى هذه النهضة الأدبية .

إن انتصارات محمود الحربية وغزواته المختلفة التي قام بها لنشر الدين كانت من الأسباب القوية التي أطلقت لسان الشعراء بمدح محمود والثناء عليه . وقد جعلت الناحية الدينية في فتوحات محمود منه بطلا شعبيا رويت حوله القصص ونظمت فيه الأشعار . وحسبك أن تقرأ مجموعة من الأشعار التي امتدح بها السلطان محمود لتلمس أثر الباعث الديني في نظم هذه الأشعار . ولم يكن موقف الشعراء من هذه الفتوح الدينية والحروب المختلفة قاصرا على مدح السلطان بل تجاوزته إلى غير هذا من الأغراض التي لم يسبق الشعراء الالتفات إليها فيما سبق كوصف الحروب وصف معاينة ومشاركة ، والحث على القتال ، وإثارة الحماسة في نفوس الجنود ونحو ذلك من الأغراض الحيوية في دولة حرية فتيحة . ولم يكن السلطان محمود وحده هو الذي حرك ألسنة الشعراء بانتصاراته

الحرية ، فأبوه من قبله ، وأخوه نالا من شعر الشعراء نصيبها لنفس السبب .  
وكان للانتصارات الحرية ثمرة أخرى ساعدت على رواج الأدب والفن  
هي وفرة الأموال والغنائم التي يعود بها الغزاة المنتصرون . وقد أدى تدفق  
الأموال وانتشار الثراء إلى شيوخ الترف بحيث صار البلاط الغزني قبله أنظار  
عدد كبير من الشعراء والعلماء . وفيما بين أيدينا من المصادر أمثلة عديدة على هذا .  
ومع أن محمودا كان متدينا إلا أن جو الترف الذي ساد بلاطه أدى به إلى  
عشق أحد غلمانه الأتراك عشقا عظيما ولكن دينه وخلقه نهاه عن أن يمزج  
العشق بالفسق .

ومما يصور الترف الشديد الذي انغمس فيه السلطان وأقائه على من حوله  
أن الفرخى الشاعر كان إذا ركب تبعه من الغلمان عشرون قد عقدوا على  
خصورهم مناطق الفضة (١) .

ونال فن العمارة نصيبه من عناية محمود نتيجة لهذا الثراء والترف . ويحدثنا  
العتبي حديثا طويلا عن مسجد غزنة الجديد الذي بناه محمود وكيف كان يغرى  
العمال الذين اشتركوا في بنائه بالأجور والأموال طلبا للإجادة والافتقان ،  
وكيف نقل ما احتاجه البناء من الأخشاب من الهند والسند ، وكيف بالغ في  
تجميل المسجد وتزيينه حتى استخدم الأصباغ والألوان والتذهيب ، وفرش  
ساحته بالمرمر الصقيل اللامع ، وألحق به مدرسة ملئت قاعاتها بالمؤلفات في جميع  
العلوم . ووكل التدريس فيها إلى فريق من الفقهاء والعلماء كان يندق عليهم

ويعفروهم بالنعمة (١).

وظلت غزنين أو غزنة زينة المدائن حتى قامت الحروب التي وقعت بين علاء الدين حسين من ملوك الغور وبين بهرام شاه الغزني . واستطاع الملك الغوري أن يهزم الغزني وأن يستولى على عاصمته ، وينتقم لأخيه الذي كان قد قتله بهرام شاه شر انتقام لدرجة أنه أباح المدينة ، وأشعل فيها الحرائق التي صيرتها رمادا . ولم تستعد غزنة بعد هذه الحروب ما كان لها من مجد وشأن .

وكان محمود نفسه محبا للعلم والعلماء ، والأدب والأدباء . وكان لهبه إياهم يقرب مجلسهم منه ويدنهم اليه . ومع أن محمودا كان من رجال السيف والحرب ، وقد قام بعدد كبير من الفتوحات ، وحقق لجيوشه كثيرا من الانتصارات الرائعة ، وضم لدولته عن طريق الحرب والسيف ملكا واسعا إلا أنه كان بعد هذا كله يرى أن أفضل ما يخلد ذكر المرء أن يكون مدحا من الشعراء ، محببا إلى العلماء .

وكان محمود نفسه شاعرا وقد نسبت اليه أشعار مختلفة في الغزل والثناء والبطولة وتورد كتب التذكار ما بقي له من هذه الأشعار . وحين أنس رجال الأدب فيه هذا الميل التفوا حوله حتى اجتمع ببلاطه منهم عدد كبير . وكان العنصرى كبير الشعراء في بلاطه وقد جرى العرف بين الشعراء أن يعرضوا عليه أولا ما يريدون إنشاده في حضرة السلطان .

ولم يكن الشعر عند السلطان محمود وسيلة من وسائل المتعة الفنية بالبلاط

في أوقات الفراغ واللهو فحسب فكثيرا ما كان يصحب في حروبه عددا من  
شمرائه أمثال عنصري وفرخي ليستعين بهم في إشعال نار الحماسة وتقوية  
عزائم الجند في الحروب . وكان هؤلاء الشعراء يصفون في أشعارهم المعارك  
والوقائع ، ويتحدثون عما يصيبه السلطان من الغنائم أو يفتح جنده من البلاد .  
ويتخلل هذه الأشعار بطبيعة الحال الثناء والمدح لما بيديه السلطان من ضروب  
البسالة في قتال الأعداء ونشر الدين .

وكان للعلم نصيب عظيم من عناية محمود ، ولم يكن يدخر وسعا في استقدام  
العلماء اليه . ويذكر صاحب چهار مقاله أن أبا العباس مأمون ملك خوارزم  
ووزيره أبا الحسين أحمد بن محمد السهلي كانا من أهل الفضل والعلم فاجتمع  
حولهما كثير من العلماء والفضلاء أمثال أبي علي بن سينا ، وأبي سهل المسيحي ،  
وأبي الخير الخزاز ، وأبي ريحان البيروني ، وأبي نصر العراق . وكان كل واحد  
من هؤلاء من نوابغ فنه ، فابن سينا وأبو سهل من نوابغ أهل الحكمة ، والخزاز  
من برعوا في الطب ، والبيروني برع في علم النجوم ، والعراق في الرياضيات .  
وكان أبو العباس المأمون يتولاهم بالرعاية والعناية . فلما سمع السلطان محمود  
بما كان من اجتماع هؤلاء العلماء وأمثالهم في بلاط خوارزم كتب يطلب  
إيفادهم اليه ليزدان بلاطه بهم ويفيد من علمهم . وقد وفد منهم بالفعل إلى  
بلاط السلطان العراق والخزاز والبيروني . أما ابن سينا وأبو سهل المسيحي فقد  
رفضا القدوم . وكان رفض ابن سينا خسارة كبيرة لبلاط محمود (١) .

وكان لمحمود مشاركة في الفقه . وتذكر بعض المصادر اسمه بين أسماء الفقهاء .

(١) چهار مقاله :

ص ٦٢ الحكاية الخامسة من المقالة الرابعة .

ويروى أنه ألف في الفقه كتاباً<sup>(١)</sup>، كما كان مولعاً بعلم الحديث يجمع الناس لسماع الأحاديث من الشيوخ بين يديه، ويقارن بين المذاهب المختلفة ويدعو العلماء إلى التناظر فيها وترجيح بعضها على بعض<sup>(٢)</sup>.

ومما ساعد على نهضة الأدب والعلم في العصر الغزنوي — وخاصة الأول — وجود مراكز أخرى للحضارة إلى جانب بلاط غزنة. وكانت هذه المراكز تجتذب إليها العلماء والأدباء. وأهمها البلاط البويهى حيث كان الصاحب ابن عباد الذى كان يقيم غالباً في اصفهان أو الرى، والبلاط الساماني في بخارى، وبلاط قابوس بن وشمكير في طبرستان، وبلاط ملوك خوارزم في خيوة الذين يعرفون بالمأمونيين. ويلاحظ أن هذه المراكز لم تحتفظ جميعها بطابعها أو حيويتها زمنياً طويلاً. ففي العشرين سنة التى انقضت بين ٢٨٧هـ / ٩٩٧ م، ٤٠٨هـ / ١٠١٧ م مات الصاحب ابن عباد في ٢٨٧هـ / ٩٩٧ م وسقطت الدولة السامانية في ٣٩٠هـ / ٩٩٩ م، وقتل شمس المعالى قابوس بن وشمكير في ٤٠٣هـ / ١٠١٢ م، وقتل مأمون الثانى ملك خوارزم وضمت مملكته إلى أملاك السلطان محمود في ٤٠٨هـ / ١٠١٧ م.

ولا جدال في أن هذه المراكز ساعدت على نهضة الأدب ونشر الحضارة فترة من الزمان. وكان العلماء والأدباء يجدون من العناية والتشجيع ما يجذبهم إليها. وقد ذكرنا فيما سبق كيف اجتمع العلماء في بلاط المأمون أمير خوارزم أمثال ابن سينا، البيروني. وكان محمود الغزنوي حريصاً على ضم ابن سينا إلى

ص ٣٥ ج ١ لشبلى النعماني ترجمة نضر كيانى

ص ١١٠ ج ٢

(١) شعر العجم :

(٢) ابن خلكان :

بلاطه ولكنه أثر منذ أن ترك بلاط أمير خوارزم أن يتصل أولاً بشمس المعالي قابوس بن وشمكير الذي اعتز به ولم يسلبه إلى محمود ثم رحل بعد ذلك إلى الري ودخل في خدمة علاء الدولة محمد وصار وزيره . وفي خلال هذه الفترة كان يكتب في الصباح الباكر من كل يوم - إلى جانب عمله الرسمي - بعضاً من صفحات كتابه الشفاء .

وكما فعل السلطان محمود في بلاطه بغزة من رعاية العلماء والأدباء كان الأمراء المحليون يتنافسون في استقدام العلماء ورعاية الأدباء ، ومنهم في نيشابور أبو المظفر نصر - أخو السلطان محمود - . وكان أبو المظفر هذا يرفع الأدباء والعلماء . وقد جمع حوله عدداً كبيراً من الشعراء مدحوه في حياته ، ورثوه في مماته بالكثير من الأشعار (١) .

وكانت هناك طائفة من الأدباء تنتقل من بلاط إلى بلاط كما فعل أبو منصور التتالي النيسابوري فإنه قدم لطائف المعارف إلى صاحب اسماعيل بن عباد وزير فخر الدولة البويهى ، وقدم المبهج والتل والمخاضرة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير ، وقدم سحر البلاغة وفقه اللغة للأمير أبي الفضل الميكالى والنهائية في الكناية وثر النظم واللطائف والطرائف للبأمون بن مأمون خوارزمشاه .

وكذلك كان أبو ریحان البيروني فإنه قضى الجزء الأول من حياته في رعاية المأمونيين أمراء خوارزم أو خيوه ، ثم اتصل بعد ذلك ببلاط شمس المعالي قابوس بن وشمكير في طبرستان حيث أهداه مؤلفه عن الأهم القديمة ، ثم عاد

بعد ذلك إلى خوارزم إلى أن جاء كتاب السلطان محمود الغزنوي يستقدم من كانوا في بلاط خوارزم شاه من العلماء. وبقي في البلاط إلى أن توفي محمود. وبعد ذلك بسنين ألف كتابه « التفهيم في صناعة التنجيم » ثم القانون المسعودي الذي وجهه إلى السلطان مسعود بن محمود ثم كتابه عن الأحجار الكريمة الذي أهداه إلى ابن مسعود وخليفته مودود<sup>(١)</sup>.

### مضى نظم شاهنامه :

يذكر الفردوسي أنه سأل كثيرين لعل أحدا يهديه إلى الكتاب الفهلوي الذي جمع قصص الماضين. ويذكر أن ماله لم يكن يكفيه للقيام بعبء هذا العمل فضلا عن أنه لن يجد من يشتري منه هذا الجهد وأخيرا أحضر له الكتاب أحد أصدقائه وطلب إليه أن يغني بعمله المسكاة عند العظماء<sup>(٢)</sup>. وكان الشاعر إذا ذاك شابا<sup>(٣)</sup>.

ولكن متى بدأ الشاعر في نظم هذه القصيدة ؟ في بعض نسخ شاهنامه أنه نظمها في ثلاثين سنة آخرها ٣٨٤ هـ<sup>(٤)</sup>. فيكون قد بدأ نظم شاهنامه على هذا الأساس سنة ٣٥٤ هـ. وفي بعض الروايات الأخرى وهي الأشهر أنه أتمها سنة ٤٠٠ هـ وعلى هذا الأساس يكون قد بدأ نظمها حوالي ٣٧٠ هـ وهذا أقرب إلى الصواب لأن المعروف أن الفردوسي بدأ عمله بعد موت الدقيق سنة ٣٦٧ هـ.

(١) Brown : Lit. His. of Persia, Vol 2. p. 101. Cambridge 1951.

(٢) الشاهنامه : ص ١٠ ج ١

(٣) الشاهنامه : ص ١٠ ج ١

(٤) الترجمة العربية للشاهنامه : ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ج ٢

وقد اختلفت المصادر في عدد السنوات التي قضاها الشاعر في نظم الشاهنامه بين خمس وعشرين سنة ، وثلاثين سنة ، وخمس وثلاثين سنة . كما اختلفت في تحديد تاريخ انتهاء الشاعر من النظم بين سنتي ٣٨٤ هـ ، سنة ٤٠٠ هـ . ويتعذر مادام الأمر كذلك أن نقطع بالسنة التي بدأ ينظم فيها الشاهنامه ولكن هذا لا يمنعنا من أن نحاول معرفة السن التي بدأ الشاعر فيها ينظم قصته . وقد ذكرنا فيما قبل أن ولادة الفردوسي كانت في إحدى السنوات الواقعة بين ٣١٩ هـ ، ٣٢٩ هـ . فإذا أخذنا تاريخاً متوسطاً بين هاتين النهايتين وليكن سنة ٣٢٤ هـ وتاريخاً متوسطاً بين سنتي ٣٥٤ هـ ، ٣٧٠ هـ وهما السنتان اللتان يحتمل أن يكون قد بدأ في إحداهما نظم الشاهنامه ولتكن سنة ٣٦٢ هـ وجدنا أن سن الشاعر حين بدأ هذا العمل الأدبي العظيم تقارب الثامنة والثلاثين . وهذه السن تناسب الشباب الذي يصفه به صاحبه الذي أهداه الكتاب الفهلوي لينظمه <sup>(١)</sup> .

وعلى أي حال كان شروع الفردوسي في نظم الشاهنامه في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري . ولا شك أن الجزء الذي نظمه الدقيق ، كتناسف نامه دقيقي ، كان قد شاع أمره وعرف الفردوسي ما يلائمه مثل هذا العمل من اهتمام الناس وأقبالهم فشرع ينظم الشاهنامه ولم يكن في يده نسخة منها حتى أهداها إليه أحد أصدقائه . والغالب على الظن أن تكون تلك الشاهنامه التي أهداها إليه صديقه هي شاهنامه المنصوري المنثورة التي تحدثنا عنها فيما سبق . وسنعود إليها مرة أخرى عند الكلام على مصادر الفردوسي .

### سبب تأليف شاهنامه :

لاحظنا فيما سبق أن الشاعر بدأ في نظم شاهنامه في سنة ٣٥٤ هـ في رأى ، سنة ٣٧٠ هـ في رأى آخر . وقد اخترنا تاريخاً ترجيحياً وسطاً بين هذين التاريخين هو سنة ٣٦٢ هـ . ومهما يكن أمر الاختلاف في التاريخ الصحيح فالمراد من مراجعة هذه التواريخ أن الشاعر قد بدأ ينظم قصته قبل أن يرتقى السلطان محمود العرش ( ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م ) بزمان طويل . وفي هذا ما ينفي صحة الرواية المذاعة التي تزعم أن الشاعر نظم قصته بتكليف من السلطان محمود ويثبت أن الشاعر كان مدفوعاً إلى نظم قصته بدافع شخصي آخر لم يفرضه عليه أحد .

لقد رأى الفردوسي الذبوع والشهرة التي نالتها أبيات الدقيقي فرأى أن يسير هو أيضاً في الطريق المؤدية إلى المجد والشهرة . وقد تحقق له ما أراد .

يضاف إلى هذا أن الفردوسي كان فارسياً متعصباً ، وقد رأى ما حل ببلاد إيران القديمة من تفكك وانقسام ، وكيف ضاعت وحدتها ، وأخذت الدول المختلفة التي قامت في تلك الرقعة الواحدة تتطاحن وتنازع . وكان طبعياً في هذه الرقعة التي تنازعها دول من أصول مختلفة كالفرس والترك والديلم أن تعم الحروب جميع البلاد وأن ينصرف الناس ومن بينهم الفرس عن التفتي بأجدادهم وأن تضعف فيهم العناية بالنواحي القومية والوطنية خصوصاً بعد أن أصبحت الكلمة العليا للأتراك منذ أسس الغزنويون ملكهم . فأراد الفردوسي أن ينبه الفرس إلى ما غفلوا عنه ، وأن يؤجج في قلوبهم نيران العصبية التي نحدث بفعل العوامل الكثيرة المختلفة كالدين الاسلامي ، واللغة

العربية ، وانتشار الحروب ، وكثرة المنازعات ، وأخيراً غلبة الأتراك على البلاد وكانت وسيلة إلى ذلك أن ينظم لهم تاريخهم الحافل فيردهم بذلك إلى ماضيهم الذي نسوه وتخلوا عنه .

وكان الفردوسى يتوقع لنفسه ما ينتظره من مجد فهو يصرح أن كتابه إذا تم سيكون حديث الناس في كل مكان وأن أصحاب العقل والفضل والرأى والدين سيقدرّون لهذا الجهد فيترحمون عليه بعد موته ويحيون اسمه على ألسنتهم فيخلد بذلك ذكره (١) .

أما عطاء السلطان ، وتحصيل المال فلم يكن للشاعر إليها حاجة وقت أن شرع في النظم لأنه كان مستغنياً في ذلك الوقت بما لديه من دخل خاص . ويظهر أن هذا الدخل كان متواضعاً إلى حد كبير كما رأينا في الباب الأول من هذا البحث ولكنه على أى حال كان يكفيه ويغنيه ، وهو الفنان الأبى ، عن طلب المعونة من الناس . وهذا ما تفيدّه نصوص العروغى في حديثه عن الفردوسى . وقد شجعه ما لقيه أول الأمر من عطف بعض الفضلاء أمثال أبى منصور بن محمد على التفرغ للنظم والانصراف عن الاهتمام بشئونه الخاصة بما بدد ذلك الدخل الذى كان يغنيه عن الناس . فلما توفى أبو منصور وانقطع عن الشاعر عونه لم يجد بداً من أن يسعى إلى السلطان لينال من عطائه ما يعينه على مواجهة أعباء الحياة .

#### صلة الشاعر بالسلطان :

سعى الشاعر إلى السلطان محمود بعد أن فقد أباً منصور لأنه كان في حاجة

إلى معين . ومثل هذا العمل الأدبي الضخم الذى يقوم به الشاعر يتطلب مالا كثيرا وقد تصحه أبو منصور قبل موته أن يهدى كتابه إلى الملوك فهم أقدر على تقويمه ، وأسخرى فى المكافأة .

رحل الشاعر إذن إلى السلطان محمود بعد أن كان قد نظم من شاهنامه قدرا . ورحلة الشاعر إلى السلطان ومعه هذا القدر المنظوم من الشاهنامه دليل آخر على بطلان ما زعمه الزاعمون من أن السلطان محمود هو الذى كلفه القيام بهذا العمل . ومن المستبعد بغاية الحال أن يهتم السلطان محمود ، وهو التركى ، بإحياء مجد الإيرانيين فضلا عما قد يتطلبه نشر تاريخ الإيرانيين من التعرض لديانتهم القديمة وإذاعتها بين الناس الأمر الذى لا يمكن أن يقره محمود وهو المعروف بتعصبه للدين الإسلامى . زد على هذا أن الشاهنامه تمجد الإيرانيين وتحقر التورانيين أجداد محمود وأن نشرها قد يثير نوازع الشر الكامنة بين العنصرين الإيراني والتوراني . فليس من مصلحة محمود إذن ، بعد كل ما قدمناه ، أن يدعو شاعرنا لينظم الشاهنامه .

وما يؤيدنا أيضاً فى رأينا أن الشاهنامه ، فيما عدا المقدمة ، لا تمدح السلطان محمودا للمرة الأولى إلا بعد فترة طويلة فى أواخر قصة كيخسرو مما يحمل على الاعتقاد بأن هذا الموضع هو بداية ما نظمه الشاعر عند محمود . وقد وجد من واجبه أن يبدأ عمله معه بمدحه ، فدحه بهذه الآيات . ولكن ما بالنا نرى الشاعر يمدح السلطان فى نهاية مقدمته ؟ أغاب الظن أن هذه المقدمة قد كتبت بعد أن انتهى الشاعر من نظم الشاهنامه . ولذلك نراه يمدح السلطان محمودا بعد أن مدح أبا منصور محمد . وإلا لو كان كتبها قبل أن يشرع فى النظم لخص أبا منصور وحده بالمدح .

وفي أول مديح مدح الشاعر به السلطان نراه يصفه بشدة الكرم حتى  
لتشكوا كنوزه من فرط ما يحب منها للناس ، ويصفه بالشجاعة والقوة إذ ينزع  
الممالك من الملوك إذا تأخروا في دفع الخراج . ويمدح في نفس هذا النص  
ووزير الفضل بن أحمد ويصفه بالحزم والجود والفصاحة . ويذكر أنه بدأ  
صلته بالسلطان محمود وله من العمر ثمان وخمسون سنة . وجعل الكتاب باسمه  
ليحقق له الآمال ويقضى الحاجات (١) .

ويعود مرة ثانية إلى مدح السلطان فيصفه بأنه جنة فيحاء اهتدى إليها بعد  
عشرين عاما ، وأنه في عظمته وعلياته تسجد له النجوم والأقمار ، وأنه فرد بين  
الملوك ليس له بينهم نظير ، وأنه في الحروب سيف باهر ، وفي الولائم ذهب  
غامر (٢) . وفي هذين النصين ما يفيد أن الشاعر كان قد شرع في نظم الشاهنامه  
قبل أن يتصل بالسلطان محمود بعشرين عاما . وفيها أيضا ما يؤيد رأينا الذي  
رجحناه من أن الشاعر بدأ ينظم الشاهنامه وله من العمر ثمان وثلاثون سنة .  
وقد سبق (٣) .

ويمدح الشاعر السلطان مرة أخرى في الفصل الخاص بمقتل رستم ، ويستدر  
عطفه عليه بما يذكره من ضعفه ، وحاول الشيخوخة به . ويذكر في صراحة  
أنه يقدم كتابه باسم محمود ويقضى الليل والنهار في التسبيح بحمده حتى ينال من  
عطائه وتقديره ما يجعل له ذكرا باقيا بعد موته (٤) .

- 
- |                 |            |
|-----------------|------------|
| (١) الشاهنامه : | ص ١٢٧٤ ج ٥ |
| (٢) الشاهنامه : | ص ١٥٥٥ ج ٦ |
| (٣) راجع :      | ص ١٠١      |
| (٤) الشاهنامه : | ص ١٧٢٠ ج ٦ |

ويتكرر مدح الشاعر للسلطان بعد ذلك فراه يمدحه في مقدمة الفصل الخاص بالاسكندر <sup>(١)</sup> ، وفي مقدمة حديثه عن ملوك الطوائف <sup>(٢)</sup> ، وفي مواضع أخرى بعد هذه .

ولكن هذا المدح الذي صاغه الشاعر في السلطان ، وهذا العمل الأدبي الخالد الذي ألقى فيه عمره لم يلق من السلطان ما هو جدير به من المكافأة والاحسان نتيجة الوشاية كما يذكر في بداية قصة خسرو وشيرين <sup>(٣)</sup> .

أما لماذا لم يحقق الشاعر آماله في السلطان محمود ورجع من عنده يائساً خائباً فهذا ما ذكرناه في الباب الأول من هذا البحث .

والطريف أن خيبة الشاعر لم تقتصر على آماله في السلطان وحده إذ خابت آماله عند الجميع فقد نسخ أغلب الكبراء وأهل الفضل والعلم كتابه مجاناً دون أن يدفعوا له شيئاً يفتخ به . وكانت كل مكافأته عندهم أن قالوا له : أحسنت ، وقد غاظ الشاعر منهم هذا الاستحسان الذي لا يغنى وأثر فيه أسوأ التأثير . ولكن هناك نفراً قليلاً أشفق على الشاعر فلم يضع جهده سدى كما فعل الآخرون . ومن هذا نفر على الديلمي ، أبو نصر الوراق ، وحميد بن قتيب . وقد خصهم الفردوسي بشكره <sup>(٤)</sup> .

- 
- |                 |            |
|-----------------|------------|
| (١) الشاهنامه : | ص ١٨٠٨ ج ٧ |
| (٢) الشاهنامه : | ص ١٩٢٠ ج ٧ |
| (٣) الشاهنامه : | ص ٢٨٦٩ ج ٩ |
| (٤) الشاهنامه : | ص ٣٠١٧ ج ٩ |

### مصادر الفردوسي :

ونقصد بمصادر الفردوسي المصادر المباشرة التي لجأ إليها في نظم الشاهنامه ولا شك أن الفردوسي كان ينظم شاهنامه من مصادر مكتوبة لديه فهو يذكر مثلاً أنه أرق ذات ليلة وعز عليه النوم فأيقظ غلامه وأمره أن يهيئ المجلس والشراب . وقد صدع الغلام بأمر سيده وأخذ يضيه ويسقيه ويقرأ عليه من الكتاب الفهلوي ، والفردوسي يشرب ويطرب وينظم ما يسمع <sup>(١)</sup> . وإذا كان الشاعر قد وصف الكتاب بأنه فهلوي فلا ينبغي أن ينصرف الذهن إلى أنه كان مكتوباً بالفهلوية ساعة كان ينظمه الفردوسي ولعل الشاعر يقصد أصل الكتاب حين ألف بالفهلوية . فالكتاب مؤلف في الأصل بالفهلوية فهو إذن فهلوي الأصل أو فهلوي كما يصفه الشاعر . ولا شك أيضاً أن هذا الكتاب الذي كان ينظم عنه الفردوسي هو الشاهنامه المنشورة التي ألقت بأمر أبي منصور محمد بن عبد الرزاق الطوسي والتي تحدثنا عنها فيما سبق . وقد ذكرنا أن الذين تولوا كتابة هذه الشاهنامه هم تاج بن خراساني من هراة ، يزدان داذ بن شابور من سيستان ، وماهوي خورشيد بن بهرام من نيشابور ، شادان بن برزین من طوس . وهؤلاء الأربعة مجوس ولم يكن يحيد قراءة الفهلوية غير المجوس <sup>(٢)</sup> . وهؤلاء المجوس هم الذين تولوا جمع المادة ونقلها من المصادر الفهلوية وترجمتها على الصورة التي وردت في شاهنامه أبي منصور الشريفة التي نظمها الفردوسي فيما بعد . والفردوسي يذكر أسماء هؤلاء العلماء المجوس في

ص ١٠٦٦ ج ٤

ص ٢٧

(١) الشاهنامه :

(٢) تولدك :

مواضع متفرقة من شاهنامه . فهو يذكر « ماخ » في بداية عهد هرمزد بن كسرى انوشروان ، ويصفه بالعلم بأخبار الملوك المتقدمين ويدعى أنه اتصل به وسأله عما يعرف من أحوال هرمزد حين ارتقى العرش فأجابه ماخ إلى ما طلب <sup>(١)</sup> . وفي مفتتح قصة احضار كليله ودمنه من بلاد الهند يصرح باسم « شادان برزين » <sup>(٢)</sup> . وفي بداية قصة گو وطلحند واختراع الشطرنج يشير إلى مصدر الرواية في هذه القصة وهو « شاهوى پير » <sup>(٣)</sup> . ويرجح نولدكه أن شاهوى پير الذى أخذ عنه الفردوسى رواية احضار الشطرنج هو « ماهوى » . ومن السهل التصحيف بين شاهوى وماهى . وهذه الشاهنامه المنشورة التى ينقل عنها الفردوسى اعتمدت هى الأخرى فى مادتها على خدائنامة .

ومن الرواة الذين يرد ذكرهم فى شاهنامه الفردوسى « آزاد سرو » . <sup>(٤)</sup> وكان من ملازمى احمد بن سهل أحد عظماء العهد السامانى الذى اشتهر أمره فى عهد نصر بن احمد السامانى ( ٣٠١ - ٣٢١ هـ ) إذ عينه واليا على نيسابور لكنه عصى وانتهى أمره إلى الأسر ومات فى بخارى سنة ٣٠٧ هـ . ويذكر الفردوسى عن سرو أنه كان متقدما فى السن ينتهى نسبه إلى سام بن نيرم ولذا كان يحفظ أخبار آبائه واسلافه من الايرانيين .

ويتوهم القارىء لكلام الفردوسى أنه استمع رأسا لهؤلاء الرواة وأخذ

- 
- |                 |            |
|-----------------|------------|
| (١) الشاهنامه : | ص ٢٥٦٧ ج ٨ |
| (٢) الشاهنامه : | ص ٢٤٩٩ ج ٨ |
| (٣) الشاهنامه : | ص ٢٤٧١ ج ٨ |
| (٤) الشاهنامه : | ص ١٧٢٩ ج ٦ |

عنهم مادته مباشرة . ولكن الواضح أنه لم ينقل عنهم بطريق مباشر ، إنما كان ينقل من مصادر مكتوبة لا سماعية .

ويشير الفردوسى إلى الشاهنامه المنصورية بأسماء مختلفة فى مواضع كثيرة فبسمها نامه خسروى ، نامه خسروان ، نامه پهلوى ، نامه شهریار ، نامه باستان وأحيانا يكتب بكلمة نامه .

ومن المصادر التى يبدو أثرها واضحا فى الشاهنامه : كارنامك أردشير . وقد استفاد الفردوسى من هذه القصة التى امتزج فيها التاريخ بالأسطورة . ويرى نولدكه أن الفردوسى قد رفع من هذه القصة أجزاء وأسقط ما تحدثت به عن الديانة الفارسية القديمة لعدم ملاءمته للمسلمين كما اختصر فى بعض الحوادث وأضاف إلى بعضها<sup>(١)</sup> . ومن أمثلة التشابه القوى التى يوردها نولدكه دليلا على استفادة الفردوسى من هذا الكتاب قصة الملك فيروز الذى قتل بالقرب من دهستان فى إحدى وقائعه ضد هياطة الشمال دون أن يعثر له على أثر فتعرضت مملكته بذلك لإغارة العدو المتوحش ، ولكن بطلا من سلالة أسرة قارن فى ذلك الوقت رد لایران شرفها وأجلى العدو عن البلاد وارغمه على طلب الصلح . ونفس هذا الدور مثله بطل آخر فى الأزمنة القديمة حين أمر الملك نوذر فى حربه مع أعدائه الشماليين بالقرب من دهستان حيث قتل ما مكن الأعداء من السيطرة على ایران . وهذه المشابهة القوية بين القصتين لا يحتمل أن ترجع إلى المصادفة وحدها<sup>(٢)</sup> .

(١) نولدكه : ص ١١

(٢) نولدكه : ص ١٦

### دراسات الشاهنامه وبرصماتها :

من أحسن الإحصائيات التي وضعت عن الدراسات والترجمات الخاصة بالشاهنامه ما ورد في كتاب تولدكه « الحماسة الإيرانية » وقد استفاد منها كثير من وضعوا إحصائيات عن هذا الموضوع أمثال نفيسي وخاتم سياح في مجلة مهر وذبيح الله صفا في كتابه حماسه سرأى در ایران . ومن مجموع ما كتبه هؤلاء نستفيد في هذا الجزء من البحث .

ونولدكه يذكر أن الشاهنامه قد نسخت نسخاً كثيرة ولكن ليس من بين هذه النسخ الكثيرة التي بأيدينا ما هو قديم يرجع إلى عهد المؤلف أو يقرب منه مما يشكك في أصالة النسخ الموجودة ومطابقتها للأصل الذي كتبه الشاعر . ويبدو أن النساخ قد أباحوا لأنفسهم حرية واسعة في النسخ مست النص الأصلي مما أدى إلى هذا التفاوت بين النسخ الموجودة . ومع أن الفردوسي يذكر أن عدد آيات قصته ستون ألف بيت إلا أننا نجد مخطوطة واحدة أوفت على هذا القدر إذ بلغ عدد آياتها ٦١٢٦٦ وهذه المخطوطة هي الموجودة بالمتحف البريطاني Brit. Mus. Add. 27, 258 . كما أن هناك مخطوطتين أخريين بلغ عدد آيات كل منهما حوالي ٦٠٠٠ . أما معظم المخطوطات الأخرى فينقص عدد آياتها عن هذا القدر ويتراوح عدد الآيات فيها بين ٤٨٠٠٠ ، ٥٢٠٠٠ . ويرتفع بعضها إلى ٥٥٠٠٠ . وهناك مخطوطة ينخفض فيها عدد الآيات إلى ٣٩٨٥١ <sup>(١)</sup> . ولاحظ تولدكه أن النسخة التي بلغ عدد آياتها ٦١٢٦٦ فيها ٣٧٠٠ بيت من « برزو نمه » الخفت بالشاهنامه وليست من عمل

الفردوسى . وكذلك الحال فى النسخ الأخرى كنسخة ستراسبورج التى يرتفع عدد الآيات فيها ارتفاعا كبيرا . ومثل هذه الزيادة فى عدد الآيات ترجح أن الشاهنامه قد أضيفت إليها إضافات أخرى فى عصور متأخرة مثل نسخة Vullers - Landauer, Macan, Lumsden وإذا كانت هناك زيادات قد زيدت على النص الأصلى فهناك أيضاً بعض القطع أو المقالات قد حذفها النساخ . ويذهب نولدكه إلى أبعد من هذا فيختار قصصا بعينها ويقارن بينها فى النسخ المختلفة ليظهر مدى الاختلاف بين النسخ فى القصة الواحدة . فهناك قصه ييژن . ومنيرة بلغ عدد آياتها فى طبعة Vullers ١٢٣٥ ، وفى Mohl ١٣٨٧ ، وفى Macan ١٢٩٢ ، وفى مخطوطة ليدن ١٥٠٣ ، وفى مخطوطة ستراسبورج ١٥٦١ . وقصة رستم والعفريت الأبيض بلغ عدد آياتها فى مول وولرز ٩٦ ، وفى ماكان ١١٨ ، وفى سان بترسبورج ٧٥ ، وفى ليدن وستراسبورج ٧٩ .<sup>(١)</sup>

وفى رأى نولدكه أن النساخ قد حرفوا النسخ عن طريق تبديل بعض الألفاظ والتعابير القديمة وإحلال غيرها من المفردات والتعابير المألوفة كما أنهم كانوا يبدلون ما لا يفهمونه أو ما كان غامضا عليهم.<sup>(٢)</sup> هذا كله بالإضافة إلى الحذف أو الزيادة . وينقل نولدكه عن Lumsden أنه من بين الأسباب التى أدت إلى هذه الاختلافات فى النسخ أن كثيرا منها كان ينقل أجزاء من النص قبل أن يتم النص كله أو من نص قد كمل ولكن لم يفرغ الشاعر من مراجعته . والفردوسى نفسه فى الجزء الختامى من أشعاره يصرح بأن عمله

(١) نولدكه : ص ١١١

(٢) نفس المصدر : ص ١٢٢

قد نسخ قبل أن يتم . ومن كثير من اشاراته يستدل على أن الشاعر كان يراجع أشعاره لمدة طويلة . (١)

وفيما يتصل بالترجمات والدراسات تعتبر ترجمة البنداري العربية أول الترجمات للشاهنامه . وهي ترجمة ملخصة ثرية كتبها البنداري الأصفهاني بين سنتي ٦١٥ ، ٦٢٣ هـ ( ١٢١٨ - ١٢٢٧ م ) .

وقد ترجمت إلى التركية على يد علي أفندي سنة ٩١٦ هـ . وهذه الترجمة شعرية كاملة . وهناك ترجمة تركية أخرى ولكنها ثرية قام بها مهدي أحد رجال البلاط في عهد السلطان عثمان ثاني سلاطين العثمانيين في سنة ١٠٣٠ هـ . وفي سنة ١٠٩٢ هـ قام توكل بك بتلخيص الشاهنامه وترجمها إلى النثر الفارسي باسم « منتخب التواريخ » وهو أوجز بكثير من ترجمة البنداري (٢) .

ولم يظهر في الشرق دراسات وتعليقات كثيرة على الشاهنامه . وهناك « لغت شاهنامه » كتبه عبد القادر البغدادي بالتركية في القرن السابع عشر الميلادي ونشره Salemano في بترسبورج سنة ١٨٩٥ . (٣)

أما المستشرقون فقد كان أول من لفت الأنظار منهم إلى الشاهنامه السيروليم جونس W. Jones في كتابه المسمى شرح آداب آسيا . وترجم فيه قطعاً من الشاهنامه في سنة ١٧٧٤ م .

وجاء بعده المستشرق الانجليزي Lumsden وكان حجة في اللغة الفارسية

---

(١) نفس المصدر : ص ١٢٤

(٢) حماسة سرأئي : ص ٢٠٧ ، ٢٠٨

(٣) تولدكه : ص ١٢٨

نحاول أن ينشر النص كله ولكن لم يوفق إلى أكثر من الجزء الأول الذي يحتوي على مقدمة باللغة الانجليزية وملحق . وكان ترنر ما كان Turner Macan أسعد حظا وأكثر توفيقا في عمله إذ أفاد من مجهودات سابقيه . وتحتوي طبعته على ملحق فارسي أيضا للقطع الحماسية التي ألقت على نسق الشاهنامه ، ومقدمة فارسية تحوي مقدمة بايستقر ، ومقدمة انجليزية ثم مجموعة بالاصطلاحات الصعبة .

ومن الطباعات الأخرى التي ظهرت للشاهنامه طبعة آموزنده شيرمرد Anuzanda Shirward في بومباي سنة ١٩١٤ ، وطبعة مول J. Mohl وقد أرفق النص الفارسي بترجمة فرنسية . ولقدمات مول أهميتها وخاصة مقدمته في الجزء الأول .

وهناك طبعة Vullers وقد استفاد من نسختي ما كان ومول Macan & Mohl وقد اتبع على العموم نسخة مول وحاول أن يصحح أخطاءها في مواضع كثيرة . وبعد موته أكمل الطبعة Landauer .

فاذا تركنا جهود المستشرقين في ميدان الطبع والنشر إلى ميدان الترجمة رأينا James Atkinson قد ترجم إلى الانجليزية في سنة ١٨١٤ قصة رستم وسهراب وهي ترجمة سهلة . كما أنه ترجم الشاهنامه كلها ترجمة مختصرة نثرية وإن لم تخل من بعض الأشعار . وهي في الحقيقة ترجمة للشاهنامه المختصرة التي كتبها توكل بك وكانت رائجة في الشرق .

وبعد Atkinson شارك في ميدان الترجمة Stephan Weston سنة ١٨١٥ . وهناك ملخص بالألمانية لمحتويات الشاهنامه حتى عهد رستم في شكل قصة

نثرية بقلم J. Gœrres

وفي سنة ١٨٣٧ م قام F. Ruckert بترجمة قصة رستم وسهراب ترجمة شعرية . وكان روكرت أحد الذين ترجموا فن الترجمة إلى الألمانية ، كما كان واحدا من علماء اللغة الفارسية الذين استطاعوا امتلاك ناصيتها .

وفي سنة ١٨٣٨ ظهرت ترجمة J. Mohl وهذه الترجمة في سبعة مجلدات من الحجم الكبير . وقد كتب مول في بداية كل مجلد من هذه المجلدات مقدمة . وفي المجلد الأخير الفهارس المختلفة . وقد ظهر لترجمة مول طبعات مصورة ومزينة . وفي سنة ١٨٣٩ ، ١٨٤٠ ظهرت ترجمات Halisten إلى اللاتينية ، Von Estürkenfels إلى الألمانية .

وفي سنة ١٨٥١ ظهرت ترجمة Schack وصدرت بحديث مفصل عن الفردوسي . وهي من أحسن الترجمات .

وفي سنة ١٨٨٨ ظهرت الترجمة الإيطالية الشعرية الكاملة للعالم الإيطالي Italo Pizzi الذي قام إلى جانب هذه الترجمة بكتابة بعض المقالات عن الشاهنامه .

وظهرت بعد ذلك ترجمة Joukovsky الروسية لقصة رستم وسهراب . ثم ترجمة Krymsky الذي نظم بالروسية من أول الشاهنامه حتى عهد منوچهر . وترجمة Sokoloff بالروسية أيضا في سنة ١٩٠٥ م وهي ترجمة ثرية من أول الشاهنامه حتى نهاية عهد أفريدون . وفي نفس سنة ١٩٠٥ ظهرت ترجمة W. Buxton و Arthur G. Warner & Edmond Warner وتلاها في سنة ١٩٠٧ ترجمة إلى الإنجليزية . وفي نفس هذه السنة ظهرت ترجمتان أخريان بالإنجليزية هما ترجمة William Stigand : Alexander Rogers ، وفي سنة ١٩١٢ ظهرت بالإنجليزية ترجمة Wallace Gandy وفي سنة ١٩١٩ ظهرت ترجمة Essigmann الألمانية . ثم

جاءت بعد ذلك ترجمات George L. Leszczynski بالألمانية في سنة ١٩٢٠ ،  
ترجمة Werner Yansen في سنة ١٩٢٢ بالألمانية ، ترجمة Christensen سنة ١٩٣١  
بالدانية ، ترجمة Axel Eric Hermelin بالسويدية في نفس السنة ، ترجمة  
Joseph Orbely بالروسية في سنة ١٩٣٤ .

هذا بعض جهود المستشرقين في ميدان الترجمة . أما مجهوداتهم المتصلة  
بالدراسات فهناك ما كتبه J. Von Hammer بالألمانية في كتابه عن تاريخ الأدب  
الإيراني المطبوع في سنة ١٨١٨ م .

وفي كتاب Baumgarten الألماني الذي كتبه عن التاريخ العام للأدب  
العالمية فصل مفصل عن الفردوسي والشاهنامه .

وهناك دراسات هرمان إتيه Herman Ethé في كتابه عن تاريخ الأدب  
الفارسي الحديث Neu Persische Literatur وحديثه عن الفردوسي الشاعر  
الغنائي Firdausi Als Lyriker .

ثم دراسات تيودور نولدكه وهي من أهم الدراسات التي اعتمدنا عليها في  
هذا البحث . وقد نشرت أولاً في كتاب فقه اللغة الإيرانية ثم نشرت منفصلة  
بعد ذلك في سنة ١٩٢٠ في برلين .

وبراون تسكلم في هذا الموضوع في كتابه تاريخ الفرس الأدبي .  
ومن الدراسات المهمة في اللغة الفرنسية دراسات مول في مقدماته لأجزاء  
ترجمته . وقد اطلع فيما كتبه على أغلب المصادر التي تحدثت عن الشاعر .

وهناك كتاب Darmesteter الذي طبع في سنة ١٨٨١ وتحدث فيه المؤلف  
عن نشأة الشعر الفارسي وأثنى فيه على الفردوسي ثناء جماً . وقد أصدر هنري

ماسيه كتابا عن الفردوسى والحاسة القومية Firdousi et l'épopée Nationale

وقد ظهر عن الفردوسى بالروسية كتاب Nazariants ثم كتاب Zinoveff الذى يدرس أساطير الايرانيين . وقد رجع هذا المستشرق إلى مؤلفات قديمة وانتهى إلى أن الأساطير الهندية أثرت فى كتاب الأستا . وهناك كتاب Krinsiky عن تاريخ إيران وأديباتها . وقد طبع فى موسكو ١٩١٣ .

وقد كان لانتشار الترجمات الخاصة بالشاهنامه فى أوروبا أثر كبير إذ لفتت أنظار كثير من شعراء القرن التاسع عشر إلى ما فيها من مادة خصبة لنظم الاشعار وخاصة قصة رستم وسهراب . وقد اشتغل كثير من شعراء أوروبا بنظم هذه القصة فى لغاتهم المختلفة مثل ماتيو آرنولد المولود فى ١٨٢٢ والمتوفى فى ١٨٨٨ وواسيلي اندرييفتش زوكوفسكى Vassili Andrievitch Joukovsky المولود فى ١٧٨٣ والمتوفى فى ١٨٥٢ وهو من مشاهير شعراء الروس . وهناك من شعراء أوروبا من تأثر بالفردوسى أمثال جيته Goethe فى كتابه المعروف باسم ديوان الشرق والغرب . وفكتور هوغو فى كتابه "Orientales" والشاعر الالماني Henri Heine منظومة فى قصة الفردوسى مع السلطان محمود الغزنى حين وصلته الجائزة من محمود بينما كانت جنازته تخرج من باب المدينة .

## ١ — المنظومات التي قلدت الشاهنامة<sup>(١)</sup>

كان للشاهنامة أثر كبير في الأدب الفارسي وقد حاول الكثيرون أن ينظموا على نسقها ، وفيما يلي موجز لأهم المنظومات الحماسية القومية التي قلدت الشاهنامة

كرشاسب نامه :

نظمها أبو نصر علي بن أحمد أسدي طوسي . وقد انتهى من نظمها سنة ١٥٨٠ هـ . وأسدي من شعراء الفرس الكبار . وتعتبر منظومته كرشاسب نامه من أعظم الأعمال الأدبية التي جاءت على نسق الشاهنامة . وليست منظومة أسدي قاصرة على نظم تاريخ الفرس وسرد أفاصيهم فحسب لأنها تتضمن إلى جانب ذلك كثيراً من القوائد والالتفاتات والآراء الخاصة بالشاعر في المسائل الخلقية والاجتماعية . ويقدر ما ورد من أبيات هذه المنظومة في الحكمة والموعظة وشئون الحياة بثلاثها كما أن الشاعر يعرض في ثنايا كلامه كثيراً من الآراء الفلسفية والمذهبية والموضوعات التاريخية . وفي كثير من المواضع يترجم في كتابه بعض عبارات القرآن المجيد والأحاديث بعبارات جامعة موجزة كما يعرض بشيء من التفصيل العقائد المختلفة للفلاسفة القدماء من اليونان فيما يتعلق بمبدأ الكون وأصل الخليفة . ولما كان بطل المنظومة قد صال وجال في شرق العالم المعروف وقذالك وغربه فقد دعا هذا إلى أن يتحدث الشاعر عن كثير من الممالك والبلاد والجزائر ويعدد ما فيها من العجائب .

وكرشاسب نامه كما هو واضح من اسمها تتعلق بقصة كرشاسب بطل

(١) أهم مصادر هذا الموضوع مقدمة مول علي ترجمته الفرنسية ، حماسه سرائي .

سیستان وجد رستم الأكبر ، وینتهی نسب گرشاسب فی بندهشن إلى أفريدون  
وفی گرشاسب نامه إلى جمشید .

ولا یبعد أن یكون أسدی الطوسی قد استفاد فی منظومته من شاهنامه ابن  
المؤید البلخی إلى جانب المؤلفات والمصادر البهلویة .

ولست لدينا عن حياة صاحب هذه المنظومة ، أسدی الطوسی ، تفصیلات  
محققة وأسدی هذا هو أسدی الصغير إذ ينبغي أن نفرق بین أسدی الكبير  
وهو الأب والصغير وهو الابن . فالأصغر هذا هو صاحب گرشاسب نامه .  
أما أبوه أسدی الكبير فكان یقال إنه من أساتذة الفردوسی ، وكان صاحب  
المناظرات المعروفة باسمه ، وقد توفي فی عهد السلطان مسعود . وقد اتفق كتاب  
التذاکر علی أن مولد صاحب المنظومة وموطنه كان فی طوس وأنه فی حوالي  
منتصف القرن الخامس ذهب إلى نخبوان واتصل بها كها أبي دلف . وقد دفعه  
إلى ذلك الفتنة فی خراسان وانتقال الملك من الغزنیین إلى السلاجقة مما أدى  
إلى كساد سوق الشعر ، الأدب فی خراسان . ولم يعد هناك من يقوم الشعر  
ويقدره حق قدره سوى أبي دلف . وقد عاش الشاعر فی بلاط أبي دلف مكرما  
معززا . وقد دفعه ما لقيه من انعام الملك إلى نظم هذه القصيدة . وقد فرغ من  
منظومته سنة ٤٥٨ هـ بعد أن تقدمت به السن . وتحمل أشعاره التي وردت فی  
آخر گرشاسب نامه هذا المعنى <sup>(١)</sup>

ولأسدی هذا ، غیر المنظومة ، كتابه المعروف لغت فرس .

---

(١) گرشاسب نامه : مقدمة جیب یغائی : تهران .

وقد صدر أسدى منظومته بعدد من المقدمات، الأولى في مدح الله ، والثانية في نعت النبي ، والثالثة في مدح الدين ، والرابعة في ذم الدنيا ، والخامسة في وصف السماء ، والسادسة في الحديث عن العناصر الأربعة ، والسابعة في شكر الناس ، والثامنة في صفة الروح والبدن ، والتاسعة في سبب نظم القصة ، والعاشر في مدح الشاه أبي دلف ، والحادية عشرة في بيان رجولة گرشاسب . ثم تبدأ القصة بعد ذلك (١)

ويتراوح عدد أبيات المنظومة تبعاً لاختلاف النسخ بين سبعة آلاف ، وأحد عشر ألف بيت .

#### بمجموع ثام :

وهو من المصادر التي استفاد منها صاحب مجمل التواريخ ويسميه في مقدمة الكتاب أخبار بهمن (٢) ويعود إلى ذكره مرة ثانية ويسميه بهمن ثامه . وينسب تأليفه إلى الحكيم إيرانشاه بن أبي الخير (٣) .

وهذا الكتاب ، ولو أنه معنون باسم بهمن بن اسفنديار ، إلا أن القسم الأكبر منه حديث عن سلسلة أبطال سيستان من أسرة رستم . وهذا الكتاب من مؤلفات أواخر القرن الخامس أو أوائل السادس وهو كغيره من المنظومات التي قلدت الشاهنامه منظوم في البحر المتقارب المثنى . ويشمل أربعة أقسام على هذا الترتيب :-

---

(١) گرشاسب ثامه : ص ٢١ .

(٢) مجمل التواريخ : ص ٢ . نشر بهار .

(٣) مجمل التواريخ : ص ٩٢ .

القسم الأول : عن جلوس بهمن على تخت السلطنة . وفي نهاية هذا القسم قصة موت رستم .

القسم الثاني : عن حرب بهمن مع أبطال سيستان .

القسم الثالث : عن تعقب بهمن بنات رستم في سيستان وأسرهن ، ثم ما كان من ندمه على هذا العمل وإعادته الأسيرات إلى موطنهن .

القسم الرابع : عن آذر برزین بن فرامرز . وكان بطل العالم في عهد بهمن .

وفي بهمن نامه ميل إلى التحسينات الأدبية وبه مقدمة يقاد فيها الفردوسي ويذكر أنه اعتمد على المصادر الشفهية . والمؤلف لا ينقل عن كتاب الملوك ولا يمكن الشك في أنه اعتمد على روايات قديمة إذ أن الكتاب يدور في دائرة الشعر الحماسي القديم إلى حد بعيد . وقد كشف المؤلف في منظومته عن جهل كبير . وفي الجزء الرابع يبين عجزه التام عن أي نوع من النقد وملاحظة العيوب الظاهرة في الخرافات الشعبية التي ذكرها . وفي هذا الجزء يخلط بين طيسفون وبغداد كما يخلط هاتين المدينتين ببابل أو بأى مدينة أخرى من مدن ما بين النهرين .

ويصل عدد أبيات بهمن نامه إلى عشرة آلاف .

#### فرامرز نامه :

وفرامرز هذا هو ابن رستم وقد ذكرنا فيما سبق كيف لقي رستم مصرعه بيد أخيه شغاد بالتواطؤ مع ملك كابل . أما شغاد فقد لقي مصرعه جزاء فعلته ذلك أن رستم لما شعر بدنو الأجل ، وانقضاء العمر عز عليه أن يفارق الحياة

قبل أن ينتقم من قاتله شغاد فدعاه إليه ورجاه أن يحضر له قوسه مع نشابيتين  
ليدفع بهما عن نفسه السباع والكلاب إلى أن تخرج روحه فانخدع شغاد وقدم  
لأخيه القوس والنشابيتين ووضعهما بين يديه . فدرستم يده إلى القوس وأحس  
شغاد منه الشر فاحتمى خلف شجرة . وألقى رستم إحدى النشابيتين فاخترقت  
الشجرة ونفذت إلى شغاد فقتل من فوره . وهكذا مات رستم بعد أن انتقم لنفسه .  
أما ملك كابل فقد توجه للانتقام منه فرامز بن رستم الذي استطاع أن  
يسحق جيشه وأن يأسره مع عدد كبير من أهله . ثم أخذه إلى تلك الحفيرة  
التي تردى فيها رستم فسلخ جلده وعلقه على حاققتها ، وأحرق أهله جميعا . وعاد  
إلى مدينة كابل فخرّبها وأباد سكانها .

وقد أشار إلى هذه المنظومة صاحب مجمل التواريخ<sup>(١)</sup> ، كما أن صاحب  
تاريخ سيستان يشير إلى قصة فرامز المنشورة التي كانت معروفة في القرن  
الخامس<sup>(٢)</sup> ، مما يرجح أن القصة المنظومة قد اعتمدت على سابقها المنشورة . ولم  
تصل إلينا المنظومة الاصلية كاملة وقد أورد مول منتخبات منها في ألف  
وخمسة يديت .

### كوش نامر :

ذكر هذه القصة صاحب مجمل التواريخ باسم قصه<sup>٣</sup> كوش پيل دندان<sup>(٣)</sup> ،  
مما يدل على أنها ألفت قبل سنة ٥٢٠ هـ وهي السنة التي ألف فيها مجمل التواريخ .

(١) مجمل التواريخ : ص ٢ .

(٢) تاريخ سيستان : ص ٧ .

(٣) مجمل التواريخ : ص ٢ .

ومؤلف كوش نامه إيرانشاه بن أبي الخير . وقد كتب هذا الكتاب في بداية عهد السلطان محمد بن ملكشاه يعني في سنة ٥٠٠ هـ أو سنة ٥٠١ هـ .

وكوش پیل دندان هو ابن كنعان بن كوش أو ابن كوش ابن اخى الضحاک الذي يذكر في بضع مواضع قبل افریدون . ولما فرغ افریدون من أمر الضحاک أرسل إلى الصين قارن بن گاوہ فأمر كوش وأتى به إلى افریدون الذي سجنه ثم أطلق سراحه بعد فترة وولاه على الجنوب والمغرب ولكنه عاد إلى العصيان .

وقد نقل موضوعات هذه المنظومة الكونت دى جوبينو de Gobineau في الجزء الأول من كتابه عن تاريخ الفرس .<sup>(١)</sup>

### بانو گشسپ نامه :

لرستم غير فرامرز ابنتان إحداهما بانو گشسپ هذه والأخرى اسمها زربانو وكأنتا في غاية الشجاعة<sup>(٢)</sup> واشتركتا في الحرب ضد بهمن حين أغار على سيستان وحارب أبطالها بعد موت رستم ولكنها وقعتا في الأسر ثم أطلق بهمن سراحهما بعد ذلك .<sup>(٣)</sup>

وتروى الأقاصيص أن كثيرا من الملوك والأمراء قد تقدموا لخطبة بانو گشسپ ولكن رستم اختار لها من بين المتقدمين گيو بن گودرز وأمر هذا الزواج بيزن .

(١) Histoire des Perses. Paris 1869 P. 139-144

(٢) بحمل التواريخ : ص ٢٥

(٣) نفس المصدر : ص ٥٤

ويستفاد من مقدمة مول في الجزء الأول من الشاهنامه ان شجاعة بانو  
 گشسپ بلغت، إلى حد أنها كانت تقا تل الأسود وتبارز الرجال فتشطرهم بضربة  
 واحدة من سيفها شطرين . ومنظومة بانو گشسپ منظومة صغيرة بلا مقدمة  
 وتتكون من تسعمائة بيت في البحر المتقارب . وناظم هذه القصة مسلم لأنه يصل  
 على النبي في بداية الحكاية الرابعة وفي نهاية الكتاب . وهذه المنظومة من آثار  
 القرن الخامس الهجري وتحدث عن أربع وقائع منفصلة ليس بين بعضها كبير  
 ارتباط . وفي برزونامه وبهمن نامه روايات عديدة عن بانو گشسپ ليس منها  
 أثر في هذه المنظومة مما يمكن معه القول بأن هذه المنظومة منتخبة من أخرى  
 أكبر .

#### برزو نامه :

وبرزو هو ابن سهراب وتشبه قصة برزو إلى حد كبير قصة أبيه سهراب  
 فقد أحب برزو في بلاد شنگان ابنته شهرو واتصل بها فحملت منه ولما حان  
 وقت رحيل سهراب أعطاها خاتمه ليكون علامة منه . وعندما ولدت الطفل  
 سمته برزو وظلت تحفى عنه أمر أبيه مخافة أن يندفع في طلب الثأر فيكون  
 مصيره مصير أبيه ، إلى أن كان يوم وصل فيه أفراسياب إلى بلاد شنگان هاربا  
 من رستم . وهناك التقى ببرزو ونشأت بينهما صلة فقربه اليه ووجهه لحرب  
 الايرانيين فوقع أسيرا في أيديهم . وفي ذلك الوقت الذى قضاه فى أسر  
 الايرانيين عرف نسبه فانضم اليهم وأصبح واحداً من أبطالهم .

وبرزونامه مجموعة الروايات المتصلة بأسرة رستم التي لم يعن بها الفردوسى  
 وهى فى نفس الوقت تحوى قصة برزو التي وضعت فى شرح بطولته ورجولته

ومن مطالعة هذه القصة يشعر القارئ أن مراد الناظم أن يجعلها ذيلًا للشاهنامه .  
وتاريخ نظم برزو نامه مشكل . ولم يذكرها بحمل التواريخ وليس لدينا علم  
بناظمها وينسب Anquetil du Perron هذه المنظومة إلى شاعر اسمه عطاي  
ولكنه لا يذكر المصدر الذي بنى عليه هذا الرأي . ولو صح أن عطاي هذا هو  
ناظم المنظومة لما ارتفع الإشكال لأننا لانعرف شيئًا عنه .

ويظهر أن برزو نامه من آثار القرن الخامس أو بداية السادس . وهي  
على كل حال تقليد لقصة رستم وسهراب وخاصة في بدايتها .

### شهریار نامه :

وشهریار هو ابن برزو بن سهراب بن رستم . وناظم هذه القصة سراج  
الدين عثمان بن محمد الغزني المعروف بالمختاري المتوفى سنة ٥٤٤ هـ / ١١٥٠ م  
أو سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م . وله ديوان مدح فيه أربعة من ملوك عصره .<sup>(١)</sup>  
ويذكر المختاري في نهاية منظومته أن نظمها كان بإشارة من مسعود بن ابراهيم  
الغزني .<sup>(٢)</sup> وقد قضى الشاعر ثلاث سنوات في هذه القصة حتى فرغ من  
نظمها . وهي مأخوذة من قصة نثرية مشهورة .

وشهریار نامه ثلاثة أقسام :-

القسم الأول : وهو أكثر هذه الأقسام تفصيلًا فيه حديث عن حربين  
مشهورتين لغرامرز بن رستم . أولاهما مع جني اسود ، وثانيتهما  
مع قائد جيش الهند واسمه شهریار . وكان شهریار هذا ابن أخى

(١) خواشني چهار مقاله لاقزويني الملحقه بالترجمة العربية ص ١٢٤

(٢) ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م - ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م

فرامرز. ولم يكن أحدهما يعرف صلته بالآخر في بداية القصة .

القسم الثاني : يتصل بزال في ذهابه إلى بلاط سليمان وحربه مع الجاني المسمى اهرمين .

القسم الثالث : يتعلق بنهاية قصة داستان .

### آذر برزین نامه :

هو آذر برزین بن فرامرز من ابنة صور ملك كشمير . وكان يساعد أباه في حربه مع بهمن . ودارت بينه وبين بهمن حروب شديدة انتهت بالصلح بينهما . وكان آذر برزین بطل العالم على عهد بهمن .

### جها نگیر نامه :

وجها نگیر ابن آخر من أبناء رستم . وكان يحمل صلته برستم كما كان سهراب يحمل بنوته لرستم . فالقصة من هذه الناحية تشبه قصة سهراب ورستم ففى كلا القصتين تبدأ الحرب بين البطلين جها نگیر ورستم ، وسهراب ورستم دون أن يعرف أحدهما الآخر وتنتهى قصة رستم وسهراب بمأساة على نحو ما ذكرناه إلا أن قصة جها نگیر ورستم تختلف في نهايتها إذ يعرف كل بطل صلته بالآخر .

ومن هذه القصة نسخة في المكتبة الأهلية بباريس عدد أبياتها حسب احصاء مول ٦٣٠٠ وقد طبعت من هذه النسخة طبعة أخرى سنة ١٨٩٢ م في بمباى .

ونظم هذه القصة شاعر اسمه قاسم وتخلصه مادح . وليست هناك أى معلومات أخرى عن الشاعر للافادة عن عصره أو معاصريه من الملوك .

ولكن الشاعر يشير في البيت الأخير من المنظومة إلى أنه نظمها في هراة .

ويرى مول أن نظم هذه القصة كان في القرن الخامس الهجري لأن عناصر القصة وعرض موضوعاتها يشبه ما هو موجود في الحماسات الأصلية الإيرانية فضلا عن أن أسلوب الكلام ليس بما عرف عن القرون التي تأخرت عن القرن الخامس . ويرى مول أيضا أن هذه المنظومة تخلو من الأثر والنفوذ الإسلامي .

وبعد أن ينقل صفا خلاصة رأى مول يخالفه فيه مستندا إلى أن الناظم يستعمل كلمة راوى كثيرا بينما كانت الحماسات السابقة في القرن الرابع والخامس تذكر كلمة الدهاقين والموابذة باعتبارهم مصادر الروايات وهذا من التأثير الإسلامي وقد وجد في اللغة الفارسية المتأخرة . كما أن الأثر الإسلامي واضح في هذه القصة إذ نجد فيها العناية بمبدأ التوحيد . وهذا بلا شك من الأثر الإسلامي . وكذلك تحارب جهانگیر نامة فكرة السحر والسحرة ، وفيها اصطلاح جديد هو الاسم الأعظم وكان هذا الاسم الأعظم مبطلا للسحر ، ولهذا كان جهانگیر يلجأ إليه في ابطال خاصية السحر . وبالإضافة إلى ذلك يلاحظ أن جهانگیر نامة تصف التورانيين بأنهم الجنس الأصفر الضيق العينين السفاك للدماء الطويل الأنف السكريه المنظر المتوحش . وقد جاءت هذه الأوصاف لأول مرة في جهانگیر نامة مما يدل على كراهية الناظم لهذا الجنس . وربما رجعت هذه الكراهية إلى ما كان يقوم به الأتراك من الهجمات والإغارات الشديدة في القرن السادس وما بعده . ومن الجائز أن تكون تلك الإغارات هي الإغارات التي قام بها الغز في القرن السادس ٥٤٨ هـ أو المغول في القرن السابع ٦١٦ هـ وأبدوا فيه من آيات التوحش والقسوة ما جعل الناس ينفرون

منهم . ويتبى صفا بعد كل ما تقدم إلى الاعتقاد بأن هذا الكتاب من مؤلفات القرن السادس أو السابع .

### سام نام :

وهذه منظومة ترجع إلى أواخر القرن السابع وأوائل الثامن . وتدور حوادثها الأساسية حول سفر سام إلى بلاد الصين وعشقه لابنة ملك الصين فغفور المسماة بريدخت ، وما كان من علم الاب بما يجرى حوله خفية وأسره لسام ، ثم خلاصه على يد ابنة أحد حراس القلعة التي أسر فيها ، ثم ما كان بعد ذلك من خطف سام معشوقته وحربه مع فغفور إلى أن انتهى الامر بينها صلحا .

ويغلب أن يكون ناظم هذه القصة هو خواجو الكرماني الشاعر المعروف في القرن السابع والثامن . ولا يعرف متى بدأ الشاعر النظم ولا متى انتهى منه .

\*\*\*

وهناك إلى جانب هذه المنظومات الأدبية القومية التي تدور حوادثها في الغالب حول البطولة والابطال وما يتصل بذلك من أساطير وقصص منظومات أخرى تتخذ من الحوادث التاريخية مادة لها . ولذلك كانت منظومات تاريخية . ومن هذه المنظومات التاريخية التي قلدت شاهنامه الفردوسي ما يأتي : —

### اسكندر نام :

وهناك أكثر من كتاب ومنظومة في هذا الموضوع فتبدأ بأشهرها وهي منظومة اسكندر نامه لنظامي الشاعر المعروف . وقد ولد نظامي على الأشهر بين

سنوات ٥٣٥ ، ٥٤٠ هـ في مدينة گنجه . وتوفي في إحدى السنوات بين

٥٩٩ و ٦١٩ هـ .

وكان من معاصري الشاعر ومدوحه فخر الدين بهرامشاه بن داود المتوفى  
في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م وطغرل بن أرسلان السلجوقي من سلاجقة العراق  
وکردستان<sup>(١)</sup> . وأبو جعفر محمد بن ايلدگز المعروف بجهان بهلوان<sup>(٢)</sup> .  
وقرل أرسلان بن ايلدگز أخو محمد<sup>(٣)</sup> وشروانشاه أبو المظفر اخستان بن  
منوچهر ونصرة الدين أبو بكر بن محمد بن جهان بهلوان<sup>(٤)</sup> . وعز الدين  
مسعود بن نور الدين أرسلان صاحب الموصل<sup>(٥)</sup> وعلاء الدين كرب أرسلان  
من أولاد آقسنقر .

وقد بقي من آثار هذا الشاعر العظيم ديوان شعر ، مثنويات خمسة هي  
مخزن الاسرار التي نظمها في حدود سنة ٥٧٠ هـ باسم فخر الدين بهرامشاه بن  
داود المتوفى سنة ٦٢٢ هـ ، خسرو وشيرين التي آتمها في سنة ٥٧٦ هـ وجعلها  
باسم محمد جهان بهلوان ، وليلى والمجنون التي قدمها إلى شروانشاه اخستان بن  
منوچهر في سنة ٥٨٤ هـ ، وهفت پيكر التي أهداها إلى كرب أرسلان في سنة  
٥٩٣ هـ ، اسكندر نامه .

واسكندر نامه قسبان يسمى الاول منها شرفنامه ويسمى الثاني اقبال نامه

أو خرد نامه .

(١) ٥٧٣ - ٥٩٠ هـ / ١١٧٧ - ١١٩٤ م

(٢) ٥٦٨ - ٥٨١ هـ / ١١٧٢ - ١١٨٥ م

(٣) ٥٨١ - ٥٨٧ هـ / ١١٨٥ - ١١٩١ م

(٤) ٥٨٧ - ٦٠٧ هـ / ١١٩١ - ١٢١٠ م

(٥) ٦٠٧ - ٦١٥ هـ / ١٢١٠ - ١٢١٨ م

وقد قدم الشاعر شرفنامه إلى الأتابك نصرة الدين أبو بكر بن محمد جهان بهلوان من أتابكة آذربيجان ، وقدّم إقبال نامه إلى عز الدين أبي الفتح مسعود ابن نور الدين أرسلان صاحب الموصل كما يدل على ذلك الأشعار الأخيرة فيه (١).

ويتحدث الشاعر في القسم الأول المعروف بشرفنامه أى كتاب الشرف عن الاسكندر ملكا ، وعن حروبه وفتوحاته وأجاده . ويتحدث في القسم الثانى المعروف بإقبال نامه أى كتاب السعد أو خردنامه أى كتاب الحكمة حديثا يدور في الغالب حول الحكمة والحكماء وصلة الإسكندر بهؤلاء .

ويبدو أن الشاعر قد استفاد في نظمه هذه القصة من قصة منشورة في هذا الموضوع كانت معروفة في القرن الخامس . هذا إلى جانب المصادر الأخرى التى يحتمل أن يكون الشاعر قد رجع إليها سواء أكانت فارسية أو عربية .

وقد قلّد نظامى الفردوسى في عمله وحاول أن يبلغ مبلغه إلا أنه لم يستطع أن يصل إلى عذوبة أسلوب الفردوسى . وفي قصة نظامى كثير من المعانى المهجورة . ووصفه الجند والمعارك والحروب لا يرتفع إلى مستوى الوصف عند الفردوسى في هذا الباب . وقد جرى نظامى في منظومته على عادة شعراء عهده من إيراد الاصطلاحات العلمية واللغات والتراكيب العربية والكثير من أفكار الفلاسفة ومن ثم فإن قارئ منظومته لا يجد نفس المتعة الفنية واللذة الأدبية الخالصة التى يجدها قارئ الشاهنامه .

(١) إقبال نامه ، ص ٢٨٠ ط ارمغان . تهران .

### آئنة سكندرى :

قلد كثير من الشعراء نظامى فى منظومته . واتخذوا من قصة الاسكندر مادة نظمهم كما فعل نظامى . ومن هؤلاء المقلدين الأمير خسرو بن الأمير سيف الدين محمود الدهلوى الذى ولد فى مدينة پيتالى من بلاد الهند سنة ٦٥١ هـ وتوفى فى دهلى فى حدود سنة ٧٢٥ هـ . وكان الأمير خسرو من مشاهير شعراء الفارسية فى الهند وواحدا من أبرز من قلدوا نظامى فى نظم الخمسة . وله ديوان ومثنويات خمسة هى مطلع الأنوار ، وشيرين وخسرو ، ومجنون وليلى ، وهشت بهشت ، وآئنة سكندرى . وقدم آئنة سكندرى إلى علاء الدين محمد شاه من سلاطين الهند فى سنة ٦٩٩ أى قريبا من مائة سنة بعد منظومة نظامى اسكندر نامه .

### خردنامه اسكندرى :

ومن كبار الشعراء الذين طرّقوا هذا الموضوع نور الدين عبد الرحمن بن احمد بن محمد الدشتى المتخلص بجامى المولود فى سنة ٨١٧ هـ والمتوفى فى هراة سنة ٨٩٨ هـ .

وقد بقيت لجامى آثار كثيرة منها خردنامه اسكندرى . وهو يبدأ هذه المنظومة بمقدمات فى التوحيد والمناجاة وإظهار ضعف الشيخوخة ونعت الرسول وبيان المعراج والدعاء لعبيد الله أحرار ومدح السلطان حسين بايقرا وبعض النصائح وقول فى فضيلة الكلام ثم يشرع بعد ذلك فى نظم القصة . وقد نظم خردنامه قبل سنة ٨٩٥ هـ وهى السنة التى مات فيها عبيد الله الذى ورد مدحه فى المنظومة وبعد سنة ٨٨٩ هـ وهى السنة التى نظم فيها قصة ليلى والمجنون .

### قصّة ذي القرنين :

وهناك ، غير ما سبق ، مثنويات أخرى في البحر المتقارب قلّدت أسكندر  
 نامة منها منظومة بدر الدين عبد السلام بن إبراهيم الحسینی الکشمیری من  
 شعراء القرن العاشر في الهند . واسم منظومته : قصّة ذو القرنين . وقد قدمها  
 إلى عبد الله بهادر خان ثاني ملوك الأوزبك . وكان بدر الدين شاعراً مكثرأ وقد  
 بقيت له بضعة مثنويات .

\* \* \*

### ظفر نامة :

ألف هذه المنظومة حمّد الله المستوفی صاحب تاریخ گزیده في سنة  
 ٧٢٥ هـ / ١٣٣٥ م وهي منظومة طويلة يبلغ عدد أبياتها ٧٥٠٠٠ بيت . وتحدث  
 هذه المنظومة عن تاريخ العرب والعجم والمغول من بداية الاسلام حتى سنة  
 ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ — ١٣٣٢ م .

وكانت سن المؤلف حين بدأ النظم أربعين سنة ، وقضى خمسة عشر عاماً  
 حتى فرغ من منظومته .

وقد بدأ المستوفی في نظم هذه المنظومة قبل أن يبدأ في كتابة تاريخه المنشور  
 في التاريخ المعروف بتاريخ گزیده . ويذكر أنه لما أتم منها ٥٠٠٠ بيت رأى أن  
 يؤجل إتمامها وأن يشرع في كتابة تاريخه المنشور حتى إذا فرغ منه عاد إليها .

وقد خص العرب من حديث هذه المنظومة ٢٥٠٠ بيت ، وخص الفرس  
 ٢٠٠٠ بيت ، وخص المغول ٣٠٠٠ بيت .

ولهذه المنظومة نسخة وحيدة تتألف من ٧٧٩ ورقة . وقد نسخت في شیراز  
سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م . وهي الآن محفوظة بالمتحف البريطاني تحت رقم  
Or. 2833.

ويتحدث ريو Rien عن هذه المنظومة فيقول إنه لا يمكن إغفال قيمتها  
التاريخية وخاصة فيما يتصل بالمغول . ومن أمثلة الصور الحية التي يقدمها الناظم  
في منظومته المذبحة التي اقترفها المغول في موطنه قزوين . وقد استمد الناظم  
جانباً من مادته من جده أمين نصر المستوفى الذي كان في الثالثة والتسعين من  
عمره في ذلك الوقت . ويورد براون في كتابه مثالا لما في هذه المنظومة <sup>(١)</sup>.

### شرفنامه نام :

وهذه المنظومة كسابقتها مهداة إلى السلطان أبي سعيد . وقد نظمها المؤلف  
في ثمان سنوات انتهت سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م ولكن أجل السلطان أبي  
سعيد لم يمهل حتى يقدم إليه الشاعر هذه المنظومة إذ توفي قبل انتهائها بسنتين. <sup>(٢)</sup>  
وتحدث هذه المنظومة عن تاريخ المغول من عهد جنكيزخان حتى سنة  
٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م ١٣٣٨ م في ١٨٠٠٠ بيت . ولهذا يقال لها أحياناً جنكيزنامه .

---

Browne : Lit. His. of Persia p. 95-96 vol. III Cambridge 1951. (١)

وراجع أيضاً : مصادر فارسية في التاريخ الإسلامي للدكتور إبراهيم أمين ص ١٧  
بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد المجلد السابع سنة ١٩٤٤ . ط الاعتماد.

(٢) مصادر فارسية في التاريخ الإسلامي . إبراهيم أمين : ص ١٩ .

### غزاه نامه :

ألف هذه المنظومة في سنة ٧٦٣ هـ / ١٣٦١-١٣٦٢ م نور الدين بن شمس الدين محمد . ويذكر براون أن هذه المنظومة وسابقتها نادران <sup>(١)</sup> . ومنظومة غازان نامه تبلغ في عدد أبياتها نصف سابقتها . وليس هاتين المنظومتين كما يقول براون أهمية كبيرة فيما يتعلق بالناحيتين التاريخية أو الشعرية وإن كان يمكن بعد الدرس الدقيق استخراج بعض المعلومات النافعة عن العصر الذي نتحدث عنه هاتان المنظومتان <sup>(٢)</sup> .

### شاهنامه هاتفي :

يذكر سام ميرزا أن الشاه اسماعيل في سنة ٩١٧ هـ بعد فتحه بلاد خراسان توجه الى العراق . وعرج في طريقه على خر جرد جام ومر بحديقة هاتفي هناك . فأسرع هاتفي إلى استقباله والمثول بين يديه . وبعد أن تعطف الشاه بالسؤال عن أحواله طلب أن يسمع بعض أشعاره فأثبته هاتفي وكان شاعراً مجيداً واستحسن الشاه ما سمعه منه وكلفه أن ينظم فتوحاته فامثل هاتفي ونظم من هذه الفتوحات ما يقرب من ألف بيت ولسكنه لم يوفق إلى إتمام العمل . ويقول سام ميرزا إن هذه المنظومة لو تمت لنسخت كل ما سبقها من مشنويات الشاعر <sup>(٣)</sup> .

(١) Browne : Lit. His. of Persia p. 103 vol. III.

(٢) نقش المصدر : ص ١٠٤

(٣) نسخة سامي : ص ٩٦ ط ارمغان تهران

وقد توفي مولانا عبد الله هاتفي في خر جرد ودفن في حديقته وكان  
ذلك في سنة ٩٢٧ هـ .

\* \* \*

وهناك غير ما سبق منظومات تاريخية كثيرة منها شهنامه قاسمي في شرح  
سلطنة الشاه اسماعيل الصفوي وابنه طهماسب وقد نظمها قاسمي گنابادي من  
شعراء القرن العاشر المعاصرين للشاه اسماعيل ولابنه طهماسب ، شهنشاه نامه  
صبا وهي من المنظومات التاريخية الجميلة نظمها فتحعلي خان صبا الكاشاني من  
شعراء العهد القاجاري وهي في شرح حروب عباس ميرزا .  
وغير هذه المنظومات كثير . . .

\* \* \*

وهناك غير المنظومات الأدبية القومية والتاريخية التي قلدت الشاهنامه  
منظومات دينية اتخذت مادتها من تاريخ الإسلام ، والشيعه بوجه خاص ،  
وأبطال المسلمين .  
وفيما يلي بجملة بعضها :-

خاورانه نامه :

وهي منظومة دينية شيعية في شرح أحوال وأخبار علي بن أبي طالب عليه  
السلام . وناظم هذه المنظومة مولانا محمد بن حسام الدين المشهور بابن حسام  
من شعراء القرن التاسع . وقد انتهى من منظومته في سنة ٨٣٠ هـ وتوفي في  
سنة ٨٧٥ هـ .

صاحبقرانه نامه :

وتحدث هذه المنظومة عن سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم النبي عليه الصلاة والسلام . وقد نظمت في سنة ۱۰۷۳ هـ . ولا يعلم ناظمها .

محمد هيدري :

تعلق هذه المنظومة بحياة محمد بن عبد الله وعلى بن أبي طالب وناظم هذه المنظومة ميرزا محمد رفيع خان باذل بن ميرزا محمد . اتصل ببلاط معز الدين في دهلي وتولى من قبله حكومة كواليار وبقى في منصبه هذا حتى آخر عهد أورنگ زيب وبعد موته عاد إلى دهلي حيث توفي في سنة ۱۱۲۳ أو سنة ۱۱۲۴ هـ . وعندما مات ميرزا محمد رفيع خان لم تكن المنظومة قد تمت فأتمها من بعده أبو طالب الأصفهاني .

اردو بيرست نامه :

نظمها ميرزا محمد علي شمس الشعرا سروش أصفهاني من الشعراء الكبار في الغيبة القاجاري .

# دراسات موضوعية

## ١١ — الحرب في الشاهنامه

وما يتصل بها

إن أهم ما يلفت نظر القارىء في الشاهنامه كثرة حروبها وامتدادها أزماناً طويلة . ويمكن تقسيم حروب الشاهنامه قسمين : حروب العهد الأسطوري ويمكن أن ترد كلها أو أغلبها إلى أصل واحد هو النزاع الذي قام بين أبناء أفريدون ايرج ، تور ، سلم وكان من جرائه قتل ايرج واشتعال نيران الحرب . وقد امتدت السنة هذه النيران إلى أخوى ايرج فأهلكتهما على نحو ما ذكرناه فيما سبق . وانتقلت العداوة بعد موت الأخوة إلى سلالاتهم من الأفراد والشعوب ، وحروب العهد التاريخي وترجع إلى ما يكون بين الدول عادة من تنافس ورغبة في السيطرة أو زيادة دخل الدولة الغدازية بما تضمه إليها من أراض وما تفرضه على المغلوبة من الضرائب كما كانت الحال بين الفرس والروم أو نشر مبدأ من المبادئ وعقيدة من العقائد كما كانت الحال بين الفرس والعرب بعد الاسلام .

وقد وقعت أغلب حروب العهد الأسطوري في شرق إيران وشمالها الشرقي . وكان نهر جيحون حيداً فاصلاً بين التورانيين والإيرانيين ولكن الطرفين المتنازعين كانا يجتازانه من حين إلى آخر . بينما وقعت أغلب حروب العهد التاريخي في الغرب والشمال الغربي بين الإيرانيين من ناحية والروم أو العرب من ناحية أخرى .

اهداء الشباب للحرب:

ويمكن أن نعتبر الشعب الفارسي ، كما تصوره الشاهنامه ، شعباً حريياً .

وقد نالت الناحية الحربية عناية كبيرة من ملوك الفرس في العهود المختلفة فكان أردشير بابكان يرسل الرسل إلى جميع البلاد ليأمرؤا الناس بتعليم أولادهم الفروسية وأصول الحرب واستعمال آلات القتال المختلفة حتى إذا نما الأولاد وصاروا أقوياء وأجادوا فنون القتال سارعوا من بلادهم إلى بلاط الملك وقدموا أنفسهم ليكونوا في خدمته إذا دعا داعي الحرب . وعند ذلك يلبث العارض أسماهم في الصحف المخصصة لذلك فإذا جد الجد ونشب القتال وجه الملك هؤلاء الشبان إلى الميدان تحت إمرة من يختاره لهم من القواد الشجعان . ولم يكن أردشير يكتفى بالتوجيه والإعداد بل كان يرقب هؤلاء بعين بصيرة إذا مارسوا القتال بالفعل فكان يكدل مراقبة كل ألف منهم إلى موبذ محرب خبير يوافيه بأخبارهم فن أبدى شجاعة ومهارة في القتال أثبت في ديوان الجيش وضعف له في المكافأة والجزاء ومن أظهر الضعف والعجز أخرج من بين صفوف الجيش<sup>(١)</sup> .

وبلغ من عناية أردشير برجال الجيش أنه فضلهم على جميع الطبقات الأخرى التي يتكون منها المجتمع الإيراني في عهده لأنهم يقدمون أرواحهم فداء للوطن ودفاعاً عن مصالح أهله .

### دعوة الجنود

وكان هؤلاء الشبان إذا قيدوا أسماهم في سجل العارض عادوا إلى بلادهم ليكونوا رهن إشارة الملك فإذا قامت الحرب أو توقع الملك قيامها كتب إلى

(١) الشاهنامه : ص ١٩٨٠-٨١ ج ٧

عماله في الأقاليم يكلفهم بجمع ما لديهم من الجند، وتجهيزهم، وتوجيههم بعد ذلك إلى حضرته. وحين تتجمع الجيوش الآتية من الأقاليم المختلفة يتولى الملك بنفسه قيادتها أو ينتخب لها من يراه جديراً بقيادتها.

وبعد انتهاء الحرب يتفرق المحاربون إلى ديارهم على أن يعودوا كلها دعاهم الملك إلى ذلك.

### مرض الجند:

ولم يكن الجند في وقت السلم يتركون وشأنهم لتفسد حياتهم الدعة، ويلبسهم الاشتغال بشئون الحياة اليومية عما يجب عليهم من التدريب والاحتفاظ بمهارتهم في شؤون القتال. ومن ثم كان عرض الجند أمراً ضرورياً للاطمئنان على استعداداتهم والنأكد من صلاحيتهم.

وكان عرض الجند يتم في كل وقت، وفي وقت السلم على فترات مختلفة يحددها العارض، وقبل المعركة، كما يحدث أيضاً بعد المعركة.

وكان لعرض الجند ديوان مهم يسمى ديوان العرض أو ديوان الجيش أو ديوان الجند. كما كان يتولى هذا الديوان موظف من كبار موظفي الدولة يقال له العارض. وقد بلغ هذا العارض شأواً كبيراً في عهد كسرى انوشروان. ويروى الدينوري في الأخبار الطوال أن كسرى اختار لهذه الوظيفة كاتباً معروفاً بالكفاية والذكاء اسمه بابك بن النهروان. وقد طلب بابك من كسرى قبل أن يتولى هذا المنصب الخطير أن يطلق يده وأن يمنحه الحرية في العمل وأن يتجاوز له عن كل ما قد يصدر عنه من غلظة أو شدة تحقيقاً لمهمته على الوجه الأكمل. فأقره كسرى على ما طلب. وكان بابك يمرض الجند في

كل أربعة أشهر ، ويأخذهم بالشدة إذا بدا من أحدهم تقصير ، ويحاسب المدربين الذين يدربون الرجال على الفروسية والرمي حساباً عسيراً . واتخذ له في ميدان العرض منصة مرتفعة يشرف منها على الجند . وكان قد أراد عرض الجند في إحدى المرات فكلف مناديه أن ينادي « لا يبقين أحد من المقاتلة إلا حضر للعرض » فاجتمع الجند وعرضهم بابك لكنه لم يجد بينهم كسرى ، فصرقهم وأعاد عرضهم في اليوم التالي بعد أن كلف مناديه أن ينادي « أيها الناس لا يتخلفن من المقاتلة أحد ولا من أكرم بالتاج والسريز فإنه عرض لارخصة فيه ولا محابة » وبلغ كسرى ما يريد به بابك فلبس سلاحه واشترك مع الجند في العرض عن طيب خاطر . ولكن أسلحته لم تكن كاملة فعاد واستكمل ما نقص منها ومرت أمام بابك في العرض من جديد فأجازه كما أجاز غيره من الجند وإن كان ميزه بدرهم واحد ، فقد بلغ أكبر مبلغ أعطى أربعة آلاف درهم وأمر هو لكسرى بأربعة آلاف درهم وديهم<sup>(١)</sup> .

وكان الجند يعرضون أيضاً قبل المعارك للوثوق من حسن تدريبهم واستكمال عددهم وعددهم . وعندما تتجمع الجيوش يقوم العارض بالاشتراك مع الملك أو القائد بعرض الجيش واعداد الجند وتعيين مكان كل واحد منهم في المعركة .

وكذلك كانوا يعرضون بعد الحرب لمعرفة عدد القتلى والأسرى وتقسيم الغنائم على الباقين . وكان الملك إذا جلس للعرض أعدوا له تختاً من الفيرزوج

(١) الأخبار الطوال : ص ٧٢ ط البعثة

فوق فيل ليشرف على الجند<sup>(١)</sup>.

### الاستعداد للحرب :

وكانت إذا ظهرت بوادر الحرب أرسل الملك السفراء إلى العدو حتى يقيم عليه الحجة ويلزمه المسؤولية . وكان العدو إذا اقتنع بما يحمله إليه السفير تتم الصلح وحسنت مادة النزاع . وإذا لم يقتنع ففي الحرب . وكانوا يختارون السفراء والرسل اختياراً دقيقاً سيأتى ذكره في موضعه من البحث .

وكان من علاماتهم في الاستعداد للحرب أن يرتقى الملك الفيل ، وأن يحرك الصدفة في الجلام ، وأن يأمر بدق الطبول ، ونصب الخيام والسرادات في الميدان . وعند ذاك يجتمع إليه الجنود من كل مكان فيرتفع غبار الخيل حتى يعتكر الجو ، ويتحضر أبطال الجيش للوثوب والقتال كأنهم الغور<sup>(٢)</sup>.

وكان من عاداتهم المبارزة قبل القتال فيخرج بطل من أحد الجيشين منادياً هل من مبارز فيتقدم له غريم من جيش عدوه لمبارزته فإذا فرغوا من المبارزة تراموا بالنبال ثم تقاتلوا بالرمح ثم تقارعوا بالسيف ، وتضاربوا بالأعمدة وينتهي الأمر بينهم إلى التشابك والتلاحم<sup>(٣)</sup>.

### تنظيم الجيوش :

كان الفرس يعنون بتنظيم الجيوش قبل بدء القتال فكان القائد يدعو إليه

(١) الشاهنامه : من ١٢٧٧ ج ٥

(٢) نفس المصدر والجزء : ص ١١٤٦

(٣) الفرر : ص ٥٧

الابطال ويهد إلى كل منهم بمهمة في الحرب . وكان الجيش يقسم عادة خمسة أقسام الميمنة ، الميسرة ، القلب ، الطلائع ، الساقة أو مؤخر الجيش .

وكانت مهمة الطلائع أن يستكشفوا الطريق وأن يمهّدوه أمام الجيش فيتحققوا من خلوه من الكائن والعقبات . وإذا شاهدوا مقدم جيش الأعداء عن بعد أبلغوا ذلك على جناح السرعة إلى قائد الجيش حتى يستعد للقائه فلا يفاجأ .

وكانت مهمة الساقة أو المؤخرة أن تحمي ظهر الجيش فلا يباغته عدوه من الخلف مما يؤدي إلى اضطرابه وتبدد شمله .

وكان اختيار الموقع أمراً مهماً كما فعل جودرز ( گودرز ) في حربه مع الأتراك بقيادة قائدهم پيران فإنه أي گودرز قد اختار لنفسه مكاناً حصيناً يرتفع الجبل على يمينه ويمتد الماء على يساره .<sup>(١)</sup> وعندما حان وقت القتال قدم المشاة المزودين بالحراب والدروع والسهم النافذة التي تخرق الحديد والأقواس ، وجعل خلفهم الفرسان ثم رتب وراءهم الفيلة الشاغخة كالجبال التي تضطرب الأرض من وقع أقدامها . ونصب العلم الجاوي ( گاویانی ) المبارك بين الجند<sup>(٢)</sup> وجعل فربرز على الميمنة ووجه رهام مع فرسانه إلى الميسرة ووكّل حماية ظهر الجيش إلى جيو ( گيو ) . وكلف ثلاثمائة فارس ومعهم عليهم بحفظ جانب الجيش من ناحية الماء ، وكلف مثل هذا العدد من الفرسان بحماية جانب الجيش من ناحية الجبل . ووضع على قمة الجبل ديدباناً . وبعد أن أعد جودرز

(١) الشاهنامه : ص ١١٥٥ ج ٥

(٢) الشاهنامه : ص ١١٥٦ ج ٥

(گودرز) جيشه هذا الإعداد اتخذ مكانه في القلب عند العلم<sup>(١)</sup>. ودعا اليه رؤساء الجيش فجعل شيدوش خلفه وفرهاد أمامه<sup>(٢)</sup>.

ويذكر التعالي في حديثه عن الحرب بين بهرام وملك الترك شابه أن بهرام قد عبأ عسكره أحسن تعبته. وأنه نظم جيشه فجعل الرجال في المقدمة ووراءهم الفيلة ووزع الجند على اليمين والميسرة وكلف فريقا من الأبطال مراقبة الجند لسد الطريق على من ينهزم أو يحاول الفرار<sup>(٣)</sup>.

### أقسام الجند :

كان الجند ينقسمون قسمين أساسيين : الفرسان والمشاة .

وكان للفرسان في عهد الساسانيين المقام الأول . وكان الفتح والظفر في الحروب منوطا بقوة هؤلاء الفرسان وشجاعتهم . وكان هؤلاء الفرسان ينظمون صفوفهم ويخرجون جماعات لمقاتلة الروم مزودين بكامل أسلحتهم محتمين بدروعهم البراقة . ولم يكن الفارس يترك شيئا من جسمه دون حماية حتى كانت أجسام الفرسان تغطي كلها بصفائح الحديد فإذا تحرك الفارس فكأنما هو قطعة من الحديد تتحرك . وكانت هذه الدروع والصفائح تصنع وفق أعضاء الجسم بدقة تامة فلا تعوق حركة أى عضو من أعضائه . ولم يكن الوجه يترك عاريا إذ كانوا يستعملون له نقابا في سبيل المحافظة عليه . ولهذه الوقاية السابعة

(١) الشاهنامه : ص ١١٥٧ ج ٥

(٢) الشاهنامه : ص ١١٥٨ ج ٥

(٣) الفرز : ص ٦٤٦

لم يكن من السهل نفاذ السهام إلى جسم الفارس لأنه مغطى كله بما يقيه فيما عدا فتحتين صغيرتين للعينين ومثلها لفتحتي الأنف . وقد عرف العرب عن الفرس هذا التسليح الكامل فكانوا يتوخون العيون ، وكانوا إذا التقوا بالفرس أشرعوا الرماح وسددوها إلى عيونهم <sup>(١)</sup> . وهذا بالطبع لأنهم كانوا يتسلحون بسلاح كامل فلا تبدو من اجسامهم سوى عيونهم .

وكما كان الأمر في عهد الهخامنشيين كانت هناك أيضاً في عهد الساسانيين هيئة مشكلة من الفرسان يسمونها هيئة الخالدين . وتساءل هذه الهيئة من عشرة آلاف فارس يلقب رئيسهم بلقب « ورهر نيكان خوداي » . ويحوز أن يكون قد وجد إلى جانب هؤلاء هيئة أخرى أطلق عليها اسم « چان سپار » (الفدائيون) نظراً لشجاعتهم وإقدامهم على الموت في غير مبالاة .

وكان هناك الفيالة وهم الذين يركبون الفيلة في الحروب .

وتتكون مؤخرة الجيش من المشاة ( پايدگان ) ويقال لرئيسهم پايدگان سالار . ولم تكن الدولة توجه عناية كبيرة إلى هذا القسم من الجند . وكان هؤلاء المشاة الذين يشتركون في الحروب تطوعاً دون أن ينتظروا جزاء ولا أجراً . ولم تكن أسلحتهم على درجة من الجودة والصلاحية . ومن ثم فإن هذا القسم من الجند لم يكن على درجة طيبة من الكفاءة والمهارة وكان جوليان قيصر الروم يغري جنوده في ميدان القتال بهؤلاء الفلاحين الذين تسهل هزيمتهم فيسرعون إلى الفرار وينشرون الاضطراب في صفوف الجيش <sup>(٢)</sup>

(١) الطبري : ص ١٢٠ ج ٣ ط الاستقامة ١٩٣٩

(٢) كريستنسن : إيران در زمان ساسانیان الترجمة الفارسية لرشيد ياسمي ص ١٣٧

وهؤلاء الجنود المتطوعون الذين كانوا يلاحقون بالجيوش الفارسية النظامية أيام الحرب كانوا معروفين أيضاً في العصور الإسلامية ، ففي حرب الأفشين مع بابل الخرمي أخذ الأفشين ثلث وتمهل قبل أن يهاجر بابل الحرب . ولم يكن استعداد هؤلاء المتطوعين كافياً سواء أكان ذلك في أسلحتهم أو أقواتهم فتضايقوا من إطالة الوقت وشكوا إلى الأفشين الضيق في العلوقة والأزواد والنفقات . ولكن الأفشين لم يكثر لشكاؤهم وقال لهم من أراد أن يبقى فليصبر ومن لم يصبر فالطريق واسع . وكان اعتماده على جند أمير المؤمنين النظاميين . (١)

ومن هذا يتبين أن هذا القسم من الجند ، قسم المتطوعين ، لم يكن له شأن كبير في الحروب الإيرانية قبل الإسلام ، وفي الحروب الإسلامية .

وكان الملك يعين قائد الجيش ( الاصبيد ) وكثيراً ما كان الملوك يتولون بأنفسهم قيادة الجيوش . وفي الحروب التي يشترك فيها الملك بنفسه كانوا ينصبون له في وسط الجيش عرشاً عظيماً يحيط به عدد من الجند والقادة للذود عنه . ومكان القائد في قلب الجيش وهو الذي يحمل العلم الجاوي ( گاوياني ) ويطيعه سائر القواد والرؤساء .

وكان كسرى انوشروان قد جعل على الجيش أربعة قواد لكل واحد منهم الإشراف على ربع المملكة . فكان قائد الشرق يشرف على خراسان وسجستان وكرمان ، وكان قائد المغرب يحكم العراق حتى حدود الدولة البيزنطية

وكان اصبيد الشمال يحكم ممالك ماد الكبرى وآذر بيجان ، وكان قائد الجنوب يتولى أمر فارس وخوزستان .

وهناك إلى جانب هؤلاء الجند الرقباء الذين يفتشرون في اطراف الجيش حتى لا يفر أحد .

والديدبان الذى يقف فوق الجبال أو المرتفعات للراقبة .

والجاسوس ومهمته معروفة .

العلم :

وكان لكل واحد من أبطال ايران علم . ولكن أهم أعلام الجيش الايراني هو العلم الجاوى ( گاويانى ) الذى هو علم الجيش كله . ويكون هذا العلم مع قائد الجيش فى القلب . وترجع قصة هذا العلم الجاوى إلى عهد الضحاك . ذلك أن الضحاك حين تمادى فى الضلال وأمعن فى البطش والعدوان ثار عليه الناس بقيادة حداد اسمه جاوه ( گاوه ) كان الضحاك قد قتل أحد ولديه وهم بقتل ولده الآخر . وتبع جاوه فى ثورته خلق كثير . وكان فى تزعمه لهذه الثورة قد رفع عصاريط فوقها جلدة الحدادة التى يستعملها الحدادون لتقيهم الشرر ، فكانت بذلك تشبه العلم . وسمى هذا العلم العلم الجاوى نسبة إلى جاوه هذا .

وقادى الثائرون بسقوط الضحاك ، وتمليك أفريدون . وقبل أفريدون الملك وحارب الضحاك حتى هزمه وتولى الملك بعده . وصادف يوم توليه العرش اليوم الأول من شهر مهر فاحتفل به احتفالا عظيما وصار ذلك اليوم عيداً من أعياد الفرس هو المعروف بعيد المهرجان .

وكان ملوك الفرس يقيمون بهذا العلم ويعتبرونه فأل خير وظفر ويتوارثونه فيما بينهم . وقد ورد ذكر العلم الجاوى هذا فى بعض الأشعار العربية . من ذلك قول المتوكلى ، وكان من كتاب المتوكل وندمائه ثم كره بعد المتوكل صحة أبنائه فتركهم ولحق يعقوب بن الليث ، فى قصيدة يفخر فيها بالمعجم على العرب مطلعها :

أنا ابن الأكارم من نسل جم      وحائز إرث ملوك المعجم  
إلى أن يقول :

معى علم الكائنات الذى      به ارتجى أن أسود الأمم<sup>(١)</sup>

والكائنات هنا تصحيف وصحتها الكاويان . وتذكر فى بعض المصادر العربية الكاويان محرفة عن الأصل الفارسي كاويان .

ويذكر الثعالبي فى حديثه عن هذا العلم أن أفريدون لما ظفر بالضحاك واستولى على الملك دعا بجلدة جاوة فأمر بنسجها بالذهب وترصيعها بالجواهر وكان يقيم بها فى الحروب . وكان هذا العلم فألا طيبا له ولما بعده من الملوك ولهذا كانوا يتبركون به ويتسابقون إلى الزيادة فيه وتحميله بمختلف الجواهر وكان لا يحمله فى الحروب إلا المقدم والرئيس المعظم من قوادهم ، فإذا انتهت الحرب ردوه إلى الخازن المكلف بحفظه<sup>(٢)</sup> وظل الفرس يحتفظون بهذا العلم حتى كانت حرب القادسية بينهم وبين العرب . وفيها قتل رستم قائد الفرس

(١) معجم الادباء : ص ١٨ ج ٢ ط مصر

(٢) الغزير : ص ٣٨

ووقع العلم في يد ضرار بن الخطاب القهري فعوض عنه ثلاثين ألفاً وكانت قيمته ألف ألف ومائتي ألف<sup>(١)</sup> ويقال إن عمر رضى الله عنه أمر بحله وفقه وتقسيمة بين المسلمين .

وكان لهذا العلم معنى رمزي عظيم عند الجنود الإيرانيين فالجيش بخير ما ظل هذا العلم خفاقاً فإذا سقط فعنى هذا الهزيمة والانكسار . ولذلك كانوا يحرصون على أن يبقى مرفوعاً دائماً ولا يتأخرون عن تقديمه بكل غال عندهم لكي يحفظوه من كل سوء . وتروى الشاهنامه أن فريبرز لما انهزم في الحرب أمام الأتراك بقيادة قائدهم پيران هرب من مكانه إلى الجبل ومعه العلم . فلما التفت الجند والقواد ولم يروا العلم في مكانه علموا أنها الهزيمة وهموا بالفرار . وخشى جودرز (گودرز) على جيشه الهزيمة فأمر بيژن أن يذهب إلى فريبرز ويسترد منه العلم ليثبت الجند في الميدان ويعود إليهم الأمل في الانتصار . ولكن فريبرز لم يرجع مع بيژن ولم يسلم إليه العلم فعلى الدم في عروق بيژن وضرب بسيفه العلم الجاوى ضربة شقته نصفين فأخذ نصفاً وعاد به مسرعاً إلى الميدان فلما رأى ذلك پيران أراد أن يحول بين بيژن وبين العودة بالعلم إلى الإيرانيين وكلف بعض أتباعه بانتزاعه منه . لكن الإيرانيين حين رأوا ذلك تكاثروا حول بيژن وحوا عليهم من الوقوع في يد الأتراك وبذلك عاد العلم يخفق بين صفوف الإيرانيين فقويت روحهم المعنوية وعادوا القتال<sup>(٢)</sup> .

(١) الطبرى : ص ٦٩ ج ٣

(٢) الشاهنامه : ص ٨٥٥ ج ٣

وكما قلنا من قبل كان لكل واحد من أبطال الإيرانيين والقادة ، إلى جانب العلم الجاوى العام ، عليه الخاص الذى يتميز بلون خاص وعليه صورة أحد الحيوانات كالنيل أو الأسد أو العقاب .

### أساليب الحرب :

للحرب فى الشاهنامه مظهران ، الحرب فى مظهرها الفردى وهى حرب الفرد للفرد ، أو المبارزة ، والحرب فى شكلها الجماعى المعروف الذى تتلاحم فيه الجيوش المتحاربة .

### المبارزة :

والحرب الفردية أو المبارزة تسكر فى الشاهنامه بشكل واضح . وتقع هذه المبارزة غالباً قبل تلاحم الجيوش .

ومن أمثلة هذه المبارزات تلك المبارزة التى جرت بين شيدى بن افراسياب والملك كيخسرو ، فإن افراسياب قد تقدم لحرب كيخسرو فى جيش عظيم وأراد أن يتفاهم معه عسى أن ينتهى الأمر بينهما صلحاً ولكن الإيرانيين صمموا على القتال . وجاء دور المبارزة الذى يسبق القتال فخرج شيدى بن افراسياب مبارزاً وتقدم لمبارزته من الجانب الإيرانى كيخسرو نفسه . وركب كل من المتبارزين فرسه ، واستكمل سلاحه وعدته ، وتبعه أحد أعوانه يحمل له العلم . وقد اتفق المتبارزان على أن يختارا للمبارزة مكاناً بعيداً عن الجيوش وألا يتعرض المتصارعان لتابع غريمه بالسوم . وذهبا إلى مكان قفر وأخذوا فى القتال واشتد الأمر بينهما حتى بلغ من حدته أن تقصفت رماحهما فلجأ إلى العمد والسيوف . ولما لم يستطع شيدى أن يقهر غريمه كيخسرو علم أنه يستمد

هذه القوة من السعادة السماوية وفكر في أن يلجأ إلى أسلوب آخر عسى أن يكون فيه المخرج من هذا المأزق، فدعا الملك كيخسرو إلى الترجل والمصارعة فامتنع كيخسرو في أول الأمر لأنه رأى المبارزة مثرجلا عملا لا يليق بالملوك فضلا عن أن السوابق لم تجرب به ، ولكنه في آخر الأمر أجاب شيده إلى مادعاء إليه وترجل عن فرسه بعد أن أسلم زمائه إلى تابعيه رهام . وهجم على شيده هجوم الأسد الضاري على حمار الوحش وأخذ يتقاذفه بيديه ثم ضرب به الأرض ضربة كسرت فقار ظهره واستل سيفاً حاداً من وسطه مزق به قلبه . وبذلك قضى عليه وأوصى رهام أن يقيم له ناووساً يدفن فيه كما هي العادة عند دفن الملوك إكراماً لشيده فإنه كان خال كيخسرو . وعاد تابع شيده حامر الرأس منتفخ العين من كثرة البكاء ونعاه إلى قومه فأظلمت الدنيا في عين افراسياب لفجيعة في ابنه شيده وصار ينفث شعره ويخشو التراب على رأسه (١) .

ومن أشهر قصص المبارزات في الشاهنامه قصة الاثني عشر رخا (٢) وهي من قصص الشاهنامه الممتعة . ففى إحدى الحروب التي دارت بين التورانيين والإيرانيين وجه افراسياب جيشاً عظيماً بقيادة پيران لقنال الإيرانيين وأمره أن يسرف في القتل والنهب ، وألا يقبل من أحد حديثاً في صلح أو سلم . فلما

(١) الشاهنامه : ص ١٣٠٢ ج ٥ .

(٢) رخ لها أكثر من معنى فقد تكون بمعنى الوجه ، والظاهر الخرافي الكبير المعروف بهذا الاسم ، وتطلق هذه الكلمة مجازياً على المحارب والبطل تشبيهاً له بطائر الرخ في القوة وعظم الجثة .

بلغ ذلك كينخسرو جمع إليه أعيان مملكته وشاورهم في الأمر فاستقر الرأي  
بينهم على الاستعداد وإعلان التعبئة العامة للجهاد . واختار لقيادة جيشه  
جودرز بن كشواذ . وقد أحسن جودرز (گودرز) اختيار موقعه في المعركة  
فجعل الجبل على يمينه والماء على يساره وبذلك صار من الصعب على پيران أن  
يفجأه من يمين أو يسار . وقد ضائق پيران ما رأى عليه الإيرانيون من حسن  
التنظيم ودقة الترتيب فاضطر إلى إعادة تنظيم جيشه لمواجهة الموقف . وبقي  
كل فريق متربصاً بصاحبه . وأطال پيران المكث والتلبث وكان قصده أن  
يضجر الإيرانيون أو تنفذ أقواتهم فيتحركوا من مكانهم الحصين فيسهل عليه  
بعد ذلك أن يحيط بهم ويقضي عليهم .

وبينما كانت الجيوش تتربص وتنتظر تقدم هومان من قواد پيران في  
صلف وغرور إلى معسكر گودرز بطلب فارساً ينازله أو بطلا يبارزه فتقدم  
له من المعسكر الإيراني يزن . واتفقا على أن يبعدا عن جيشيهما حتى لا يأتي  
لنصرتهم أحد من التورانيين أو الایرانیين . واختارا مكاناً قفرا في الصحراء  
لا يرى فيه أُرْ لإنسان ولا يطير في سماءه طير . وتعهدا ألا يتعرض  
الظافر منهما بالأذى لحامل راية غريمه . ثم بدأ المبارزة قراميا بالسهم حتى نفذ  
ما كان معهما فعمدا إلى الرماح والحرا ب حتى إذا تكسرت الرماح استعملا  
السيوف . ولما لم تجد السيوف رفعا العمود وظلا يتضاربان ويتقاتلان حتى  
جفت حلو قهما من العطش وغرقا في العرق من شدة الحر والتعب ، فاستراحا  
برهة وجيزة قصدا في خللاها إلى عين ماء للشرب وانتهز يژن الفرصة فضرع  
إلى ربه الذي يعلم ما خفي من أمره وما ظهر ودعاه أن ينصره على خصمه .  
ثم عاودا بعد ذلك القتال ، وما زالا يتقاتلان حتى تمكن يژن من عدوه

فطرحه على الأرض ومد يده بالخنجر ففصل رأسه عن الجسد فوقعت على الأرض وأخذ هومان يتلوى بجسده فوق التراب وصارت الصحراء لكثرة ما سال من دمه كأنها نهر من الدماء (١).

ولما علم پيران بما جرى لهومان كلف نسيهين أن يخرج للنار فخرج نسيهين ورجاله ليلا يريدون أن يكبسوا الإيرانيين ولكنهم أحسوا بهم فخرج إليهم يزن في فريق من أصحابه وبعد مناوشة قتل نسيهين . ووضع الإيرانيون السيف فيمن معه من التورانيين حتى أبادوا أكثرهم . واغتم پيران لمقتل نسيهين وأمر بالاستعداد للقتال . وأراد گودرز أن يضمن لكفته الرجحان فكتب إلى الملك يطلب منه مدداً جديداً .

ولما وصلت الأمداد استعد الفريقان للقتال واستقر الرأي بين القائدين پيران ، گودرز على المبارزة . واختار كل منهما عشرة من فرسانه يبارزون عشرة من فرسان عدوه . وبدأت هذه السلسلة من المبارزات الطريقة بالمبارزة بين فريبرز وغريمه كابادين ويسه فهجم فريبرز وضرب غريمه بالسيف ضربة قدته نصفين . وعند ذلك نزل عن فرسه وحمل الجثة معه وعاد إلى معسكره ظافراً (٢).

وكانت المبارزة الثانية بين جيو (گيو) من الجانب الإيراني وجروى زره (گروى زره) من المعسكر التوراني . وقد خرج كلا المتبارزين مستعداً بأدوات القتال فضرب جيو غريمه بالعمود على رأسه فتدفق دمه وسقط عن

(١) الشاهنامه : من ١١٧٩ ج ٥

(٢) الشاهنامه : من ١٢٣٥ ج ٥

فرسه فقيدة جيو من يديه وحمله أمامه على فرسه حتى وصل إلى معسكره متصراً فتلقاء الجميع بالدعاء والاعجاب (١).

وكان ثالث المتبارزين جرازه (گرازه) عن الإيرانيين وسيامك عن التورانيين وقد تقدم كل منهما إلى المبارزة وهو يتميز غيظاً من صاحبه. وكانا في مبارزتهما أسدين هائجين. واستمر في المبارزة حتى استبديهما التعب وتشقق لسانهما من شدة العطش. ثم إن جرازه ضيق على خصمه الخناق حتى قتلوه فقيدة إلى فرسه وعاد إلى معسكره خفاق اللواء فتلقاء جنده بالتهليل والثناء (٢).

أما المبارزة الرابعة فكانت بين أحد أبطال الأيرانيين واسمه فروهل وأحد مقاتلي التورانيين واسمه زنگله، فرماه فروهل بسهم طائر كالرمح صرعه وقلبه عن جواده فترجل فروهل واجتز رأسه وعاد سعيداً يرفع العلم الميمون (٣).

وكان المتبارزان الخامسان رهام بن گودرز وبارمان فأخذتا يتراشقان بالسهم حتى فرغت جعبتهما فعمدا إلى الحراب والسيوف يتقاتلان بها. فرمى رهام حربة أصابت بارمان في فخذه ودحرجه عن فرسه لكنه قام يريد الهروب فرماه رهام بحربة أخرى ففقدت من ظهره إلى كبده وقضت عليه فلحق به رهام وعلقه في سرج فرسه وعاد طافراً إلى جنده (٤).

وأما سادس المتبارزين من الأيرانيين فكان بيژن بن گيو وقد تصدى له

- 
- (١) الشاهنامه : ص ١٢٣٥ ج ٥  
 (٢) الشاهنامه : ص ١٢٣٦ ج ٥  
 (٣) الشاهنامه : ص ١٢٣٧ ج ٥  
 (٤) الشاهنامه : ص ١٢٣٧ ج ٥

من التورانيين رويين . وبينما هما يتبارزان فاجأه بيون بضربة من عموده دقت عظامه وألقته على الأرض فنزل اليه وفصل بالسيف رأسه عن الجسد ، وربطه إلى فرسه وأسرع عائداً يخفق عليه علم النصر .<sup>(١)</sup>

وكان سابع المتبارزين من الايرانيين هجير بن كودرز الذي بارز من التورانيين سهرم . وكان سهرم هذا من أقارب افراسياب ومن ذوى المكافحة بين التورانيين . وعندما بلغا مكان المبارزة تضاربا بالسيف واشتد تضاربهما حتى كان الشرر يتطاير من حديد السيوف . وتقدم هجير من خصمه كالأسد ودعا الله وتيمن بسعد الملك وضرب خصمه بالسيف على رأسه ضربة كانت القاضية فسقط عن فرسه غارقاً في دمه . ونزل هجير البطل السعيد فرفه عن الأرض وقبده إلى سرج فرسه ثم اعتلاه وأرخصى له العنان .<sup>(٢)</sup>

وكانت الجولة الثامنة بين جرجين ( گرگین ) الايراني واندريمان التوراني وكان كل منهما رجلاً مجرباً وبطلاً محسناً فلما بلغا مكان الموقعة تراميا بالحراب والسهام حتى كانت كالطار إلى أن رمى جرجين سهماً أصاب من أندريمان الرأس فاضطرب من شدة الألم وعاجله جرجين بسهم آخر أزهى روحه فخر من فوق فرسه فنزل اليه جرجين وفصل رأسه وعاد إلى معسكره .<sup>(٣)</sup>

ثم جاءت الجولة التاسعة بين برته أحد فرسان الايرانيين وكهرم أحد فرسان التورانيين . وأخذ الفارسان يتضاربان حتى حانت الفرصة لبرته

- 
- (١) الشاهنامه : ص ١٢٣٨ ج ٥  
 (٢) الشاهنامه : ص ١٢٣٩ ج ٥  
 (٣) الشاهنامه : ص ١٢٤٠ ج ٥

فحضر بخصمه بالسيف ضربة شقت صدره ثم حملته معه بعد أن أسلم الروح وعاد إلى معسكره شاهرا سيفه ضائحا صبيحة النصر . (١)

وفي الجولة العاشرة تبارز زنگه بن شاوران مع أخواست . وقد طالت بينهما المبارزة حتى أعياهما التعب وأضناها العطش فاستراحا فترة من الزمان وشربا ثم عاودا بعد ذلك القتال فراش زنگه سهما أصاب أخواست فانقلب عن حصانه إلى الأرض وتبعه زنگه بسهم آخر حتى أجهز عليه وعلقه في سرج فرسه وعاد مختالا إلى قومه . (٢)

عند ذاك لم يبق للبارزة سوى البطلين الكبيرين جودرز (گودرز) قائد الايرانيين وپيران قائد التورانيين. وقد استعد كل منهما لهذه الجولة بكل ما لديه من أسلحة وآلات كالسيف والخنجر والعمود والوهدق والسهم . وبعد فترة من القتال صوب جودرز سهما أصاب فرس پيران فاضطرب وسقط وسقط تحته پيران وانكسرت يده اليمنى من ثقل الحصان ثم نهض بعد ذلك ولم يكن أمامه بعد أن انكسرت يده سوى الهروب . وكان هروبه إلى جبل قائم هناك ظن أنه يعصمه. فلما رأى جودرز ذلك بكى وذكر حال الدنيا التي لا تدوم على حال واحدة وأنها إن أعزت أذلت ، وإن وصلت جفت. وصاح في پيران أن يقف وأن يطالب الأمان حفظا على حياته . ولكن پيران رفض هذا العرض وعز عليه أن ينتهي أمره إلى هذه النهاية الذليلة وفضل أن يختم حياته ختاماً مشرفاً

(١) الشاهنامه : ص ١٢٤١ ج ٥

(٢) الشاهنامه : ص ١٢٤١ ج ٥

كالأبطال في ساحات القتال فنزل گودرز عن فرسه وتبع پيران الذى أعد نفسه لمواصلة القتال وبينما كان گودرز يرتقى الجبل استدار اليه پيران ورماه بحربة كانت معه فأصابه في عضده فاستشاط گودرز غضبا وفوق اليه سهما حطمت مجنه ونفذ من ظهره إلى كبده فوقع يتخبط في دمه ويتقلب في التراب . ولما وصل اليه گودرز عرف من دمه غرقة شربها تشفيا منه وأراد أن يحوّز رأسه لكنه عدل رحمة به وإشفاقا . وأراد أن يكرمه في ميتته فرفع عليه عند رأسه ليقى وجهه حرارة الشمس القاطنة في تلك الصحراء . وعاد بعد ذلك إلى معسكره والدم يسيل من عضده الدامى كما تسيل المياه في مجاريها . وكان الايرانيون حين أبطأ عليهم گودرز قد توهموا أنه أصيب وأخذوا يكتفون وينتخبون فلما رأوا عليه مرفوعا من بعيد فرحوا ودقوا الطبول حتى ارتفع صوتها إلى عنان السماء . ولما وصل اليهم گودرز التفوا حوله متلهلين ضاحكين .<sup>(١)</sup>

### الحرب الجماعية :

أما الحرب الجماعية التى يشترك فيها الجيش كله فأمرها معروف . وكانت الجيوش تنظم إلى ميامن ومياسر ، وقلب ، وطلبة ، وساقه . ويأخذ كل جندى مكانه استعدادا لأداء واجبه . وعند ذلك تدق الطبول ، وينفخ فى النفير ، فيكون ذلك إنذارا ببدء القتال .

• • •

وكانت لهم فى حروبهم أساليب كثيرة منها استخدام عنصر المفاجأة والسير الصامت ونعنى به أن يسير الجيش فى صمت وسكون فلا تسمع له

جلبة ، ولا تدق طبول ، ولا يصدر من الجنود صوت ينبه الأعداء إلى اقترابهم . من ذلك ما فعله پيران في إحدى حروبه مع الإيرانيين إذ جاءته الرسل والجواسيس بأنهم منصرفون عن الاستعداد متفرغون للهو والشراب لا تفارق الكأس أيديهم في ليل أو نهار فاتهمز هذه الفرصة واختار من جيشه ثلاثين ألف فارس سار بهم سيرا صامتا في منتصف الليل فبغتوا الإيرانيين في مكانهم وأوقعوا بهم . (١)

\* \* \*

وكانوا يعتمدون إلى التخذيّل بين المتحالفين من أعدائهم حتى يسهل القضاء على كل عدو على حدة . من ذلك ما حدث في الواقعة المعروفة بواقعة الاثني عشر رخا ( يازده رخ ) التي أشرنا إليها فيما سبق فإن التورانيين قد نظموا صفوفهم وأعدوا جيوشهم لقتال الإيرانيين وتولى شیده بن أفراسياب قيادة جانب من هذه الجيوش وتولى پيران قيادة الجانب الآخر ففكر كيخسرو أن يخذل بينهم ويفرق وحدتهم فأوصى گودرز أن يحاول قبل القتال استمالة پيران إليه وصرفه عن القتال فإنه إن نجح في هذا كان خليقا أن يهزم الجيوش الأخرى التي يقودها شیده في سهولة .

\* \* \*

ومن حيلهم في القتال أن يستدرجوا عدوهم بعيدا عن جيشه كما حدث في الحرب بين پيران وگيو إذ كان النهر يفصل بينهما وأراد گيو أن يظفر پيران

وبذلك يتبدد شمل جيشه فأخذ يعيره بأنه لا يستطيع القتال إلا بين جنده  
فغضب پيران وعبر النهر إلى گيو ليثبت له شجاعته ويريه عاقبة الإساءة اليه  
وبعد أن تقاتلا فترة تظاهر گيو بالانهزام وهرب أمامه . وكان قصده من  
هذا أن يستدرج پيران وراءه بعيداً عن جنده . وقد كان له ما أراد إذ  
اتخذ پيران بهذه الحيلة وأخذ يتبعه حتى بعد عن جيشه فاستدار له گيو وقاتله  
حتى هزمه وأسرّه .

\* \* \*

وكانوا يعمدون إلى التبييت أو المباينة وهي الهجوم على الأعداء وقت  
المبيت أى بالليل . ومع أن العرف جرى في ذلك العهد على أن يكون القتال  
نهاراً فإذا جاء الليل استراح الجيشان المتقاتلان إلا أن هذا لم يمنع الجيوش  
المتحاربة في ذلك الزمان من أن تلجأ إلى هذا الأسلوب من أساليب الحرب .  
وهو بهذا أسلوب من القتال يخرج عما جرى به العرف وقتذاك . وكان يعتبر  
نوعاً من الاحتيال أو السرقة . وقد روى عن الاسكندر أنه لما أشير عليه  
بتبييت الفرس في إحدى حروبه معهم قال لا أجعل غلبتي سرقة . (١)

وفيما نقله ابن قتيبة أنه ينبغي للبيتين أن ينهزوا فرصة هبوب الريح ، أو  
خرير نهر قريب من الأعداء لتبييتهم فإن صوت الريح وخرير الماء يساعدان  
الجيش المهاجم فلا يسمع له صوت أو جلبة ، وأن يكون هجومهم في منتصف  
الليل أو إذا اشتد الظلام . ومن الأساليب البديعة التي يلزم أن تتخذ أن يكلف

(١) نهاية الأرب : ج ٨ ص ٦ ط . دار الكتب سنة ١٩٢٦

المبيتون جماعة من جندهم ليتسللوا إلى معسكر العدو بحيث يتجهون إلى وسطه وأن يحيط بقية الجند بالمعسكر من الخارج . وعلى الذين توسطوا صفوف الأعداء أن يبدأوا المعركة لأن العدو إذا سمع ضجة القتال في قلب المعسكر توهم أن عدوه استطاع أن يخترق صفوفه حتى يبلغ قلبه فتهد بذلك عزيمته على القتال وتضعف روحه المعنوية .

وعما يجب على المبيتين كذلك أن يثيروا الاضطراب في صفوف الأعداء قبل الموقعة . ومن أساليب إثارة الاضطراب إهاجة الدواب والحيوان بأن تقطع أرسانها وتمزق بالرماح في أعجازها فتنتطلق بذلك هائجة متحيرة مما ينشر الفوضى والاضطراب ويثير الرعب .

ومن أساليب المبيتين في هذا المجال التي تفت في عضد العدو أن يهتف هاتف ويقول يامعشر أهل العسكر النجاة . النجاة ، فقد قتل قائمكم فلان ، وأسر فلان وهرب فلان . أو أن يرتقى أحد الجنود من المبيتين بين صفوف العدو ويتأوه ويتوجع كأنه جندي من العسكر قد أصيب مما يحدث أثراً نفسياً سيئاً بين جند الأعداء . (١)

\* \* \*

ومن سياسة بعض القواد في الحروب ألا يسرع إلى الهجوم والقتال إذا تقابل الجيشان حتى يعتاد جيشه رؤية الأعداء فتقل هيبتهم عنده ويصبح لقاءهم مألوفاً فيقبل الجيش بعد ذلك على القتال مطمئناً .

\* \* \*

---

(١) غيون الأخبار : ص ١١٤ ج ١ ط ١ دار الكتب سنة ١٩٢٥ .

ومن الأمور التي يجب على صاحب الجيش أن يراعها في الحرب أن يستدبر  
جنده عين الشمس والريح ، وأن يحافظ على أرواح جنده ما أمكن فلا يدفعهم  
إلى القتال لغير ضرورة قصوى لانقرع معها من القتال .

وبما نقله ابن قتيبة عن الآيين أن الجند إذا كانوا قد نزلوا على ماء وأراد  
العدو أن ينالوا من الماء فليس من الرأي أن يحال بينهم وبينه لئلا يحوجوا إلى  
الجند في محاربتهم . وإن كان العدو قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فإن  
وقت ذلك عند رى العدو من الماء وسقيهم دوابهم منه وعند حاجة الجند إليه  
فإن أسلس ما يكون الانسان عن الشيء عند استغنائه عنه وأشد ما يكون طلباً  
للشيء عند حاجته إليه .

ويتابع ابن قتيبة كلامه نقلاً عن الآيين فيقول : ولتسر الطلائع في قرار  
من الأرض ويقفوا على التلاع ولا يجوزوا أرضاً لم يستقصوا خبرها . وليكن  
الركمين في الحر والأماكن الخفية وليطرح الحسك في المواضع التي يتخوف  
فيها البيات .

وليحترس صاحب الجيش من انتشار الخبر عنه فإن في انتشاره فساد  
العسكر وانتقاضه .

وإذا كان أكثر من في الجند من المقاتلة مجربين ذوي حنكة وبأس فبدار  
العدو الجند إلى الواقعة خير للجند وإذا كان أكثرهم أغماراً ولم يكن من القتال  
بد فبدار الجند إلى مقاتلة العدو أفضل للجند .

وليس ينبغي للجند أن يقاتلوا عدواً إلا أن تكون عدتهم أربعة أضعاف

عدة العدو أو ثلاثة أضعافهم فإن غزاهم عدوهم لزمهم أن يقاتلوهم بعد أن يزيدوا على عدد العدو مثل نصف عدتهم . وإن توسط العدو بلادهم لزمهم أن يقاتلوهم وإن كانوا أقل منهم .

وينبغي أن ينتخب للكمين من الجند أهل جرأة وشجاعة وتيقظ وصرامة وليس بهم أنين ولا سعال ولا عطاس ويختار لهم من الدواب ما لا يصهل ولا ينهت . ويختار لكمونهم مواضع لا تغشى ولا تؤق قرية من الماء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم وأن يكون إقدامهم بعد الروية والتشاور والثقة بإصابة الفرصة ولا يخفوا سباعاً ولا طيراً ولا وحشاً ... الخ . (١) .

\* \* \*

وكان أردشير يوصي صاحب جيشه أن يفقد العسكر بنفسه وأن يفرق الطلائع إلى مسافة أربعة أميال ، وأن يهتم بتقوية الروح المعنوية بين جنده وذلك بأن يعدم ويمنيهم ويصغر في عيونهم أعداءهم . وكان يوصيه أيضاً بأن يوجه ميمنة جيشه لحرب ميسرة الأعداء ، وميسرة جيشه لحرب ميمنة الأعداء وأن يكون الجند كلهم في الحرب قلباً واحداً ، وأن يثبت قلب الجيش في مكانه فلا يتحرك إلا إذا تحرك قلب الأعداء . وإذا انتصر في القتال فعليه أن يكف عن إراقة الدماء وإذا ولي عدوه فراراً فلا يغتر بذلك وينشغل عنه ويهمل اليقظة الواجبة (٢) .

\* \* \*

(١) عيون الأخبار : ص ١٩٣ ج ١

(٢) الشاهنامه : ص ١٩٨٤ ج ٧

وكان من أساليب الفرس في حروبهم حفر الخنادق ويقال إن منوچهر أول من خندق الخنادق . وقد عرف المسلمون حفر الخنادق في غزوتهم المعروفة بغزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة . وكان الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي ، وقد قال له « يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا » فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشورته وعمل مع العاملين في حفر الخندق ترغيباً للمسلمين في الأجر<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وبما برع فيه الفرس في الحروب محاصرة القلاع والحصون والاستيلاء عليها . وكان للساسانيين مهارة تذكر في هذا الشأن والساسانيون وخاصة في العهد الأخير كانوا إذا وجهوا همتهم لفتح قلعة مهمة لم يستعص عليهم فتحها . وكانت طريقته أن يحفروا أرضاً منخفضة ثم يتقدموا منها إلى خندق المدينة فيملأوه بالتراب والعلف ثم يعملوا أدواتهم في الجدار حتى يفتحوا فيه منفذاً ينفذون منه إلى المدينة أو يبنوا أبراجاً متحركة قرب الجدار ويحطموا استحکامات العدو بالمجانيق . وكانت لهم أسلحة خاصة بحرب القلاع وفتح الحصون كالمجنيق والحجارة والقوارير ومزج الأخشاب بالنفط واشـمـالها والقائما ليلاً على القلاع المحاصرة .

وبما ينبغي الأخذ به في محاصرة الحصون ما يذكره ابن قتية من استمالة من استطاع استمالتهم من أهل الحصن والمدينة ففي استمالة هؤلاء فوائد منها أن يعرف المهاجمون أسرار أهل الحصن وأن يتخذوهم وسيلة لإخافة المتحصنين

وإضعاف روحهم المعنوية .

واصطناع الحيلة أمر مهم في فتح القلاع والحصون . من ذلك أن يحتال المهاجمون حتى يصل بعض رجالهم الى داخل الحصن ويختلط بأهله ثم يأخذ في تصغير شأنهم وتعظيم قوة أعدائهم ، ويؤيسهم من المدد . . . الى غير ذلك من الحيل التي تنشر في أهل القلعة روح التخاذل والخور . وما يحتال به أيضاً في خداع أهل القلعة لإضعاف عزائمهم أن يطوف المهاجمون حول الحصن ويشيروا بالأيدي الى مواضع فيه ويأتوا من الحركات والإشارات ما يتوهم معه أهل الحصن أن العدو المهاجم يختار المواضع الضعيفة من الحصن للنفوذ منها الى الداخل ، وأنه يعين المواضع التي تصلح لنصب المجانيق عليها أو تبيأ لها العرادات أو توضع عليها السلام أو يتسور منها الى داخل الحصن أو تضرم فيها النيران ليملاهم ذلك رعباً (١) .

### الوسيلة والبروت :

قلنا فيما سبق إن كسرى ولى ديوان الجند رجلاً اسمه بابك . وكان بابك هذا يعرض الجند من حين الى حين ويؤدى عمله في شيء كثير من الحزم والصرامة حتى إنه دعا ذات مرة المقاتلة جميعاً الى الاشتراك في العرض وكان من بينهم كسرى إلا أنه لم يكن كامل العدة والسلاح فلم يحزه بابك وطلب اليه أن يعود لاستكمال سلاحه ففعل كسرى ما طلبه بابك . ونذكر الآن أن السلاح الكامل الذى كان يطالب به الفارس في ذلك الوقت على نحو ما يذكره الدينورى

هو التجفاف والدرع والجوشن والبيضة والمغفر والساعدان والساقان والرمح والترس والجرز يعلقه في منطقته والطبرزين والعمود وجعبته فيها قوسان بوترهما وثلاثون نشابة ووتران ملفوفان يعلقهما الفارس في مغفره ظهريا . وكان كسرى حين اشترك في العرض الأول قد نسي الوترين اللذين يستظهر بهما . (١)

وكان كسرى شديد الاهتمام بأمر الفرسان بوجه خاص فكان يعرضهم ويقدم اليهم المساعدات المختلفة والهدايا من الخيل والأسلحة كما كان يقرر لهم المراتب الثابتة . وكانت أسلحتهم الرئيسية في القتال القوس والسهم أى نفس الأسلحة القديمة التي عرف الايرانيون بالمهارة في استخدامها .

وكانت السهام تؤخذ من عيدان خاصة تقطع وتشذب عنها الأغصان ثم تصلى بعد ذلك بالنار حتى تلين . ويتكون السهم من جزأين : القدح وهو العود ، والنصل . ويراش السهم بأن يجعل عليه الريش . ولا بد للمحارب من وعاء السهام وهو الجعبة أو السكناة . وقد تتخذ هذه الجعبة من الجلد الخالص أو من الخشب الخالص . ويراعى في الجعبة أن يكون فيها فتحات حتى ينفذ الهواء إلى ريش السهام فلا يقسد . (٢)

ومن أسلحة القتال الرماح ويستخدمها الفرسان فوق الخيول . ويتكون الرمح من جزأين . متن الرمح ، وحده أو سنامه أو نصله . ويجعل للرمح حديدة

(١) الأخبار الطوال : ص ٧٢ والتجفاف آلة للحرب يتقى بها كالدرع ؛ والجرز هو العمود ، والطبرزين محرف تبرزين آلة تشبه البلطة من آلات القتال .

(٢) الخصص لابن سيدة : ص ٦٩ ج ٦ ط الاميرية يولاق ١٣١٨ هـ .

في أسفله تثبته يقال لها الزج . ومما يشبه الرمح من أسلحة القتال الحربية وإن كانت أصغر منه .

ومن آلائهم في الحرب الدرع . وتتكون الدرع من أجزاء يعرف كل جزء منها باسم خاص . فما وقى الصدر فهو الجوشن ، وما وقى الرأس فهو البيضة أو الخوذة أو المخفر . ويستفاد من نص الدينوري السابق أن من أجزاء الدرع ما يقي الساعدين والساقين . وكانوا يلبسون تحت الدرع غلالة تخفف من أثر صلابته على الجسم . وربما أمعن بعض المقاتلين في الحيلة والتوقى فلبس تحت درعا أخرى صغيرة . وهناك ضرب من الدروع يقال له القردمانى كانت الأكاسرة تحفظ به في خزائنها وأصل هذه الكلمة بالفارسية كردماند أى عمل وبقى <sup>(١)</sup> وأنشد ابن الأعرابي للبيد .

فحمة ذفراء ترقى بالعري قردمانيا وتركابا كبصل <sup>(٢)</sup>

ومما استعملوه في القتال الترس ويقال له أيضاً المجن والدرقة . وكان يتخذ من الجلود ليتقى به المحارب وقع السيوف فلا تنفذ إلى جسمه .

ومما استعملوه في القتال المنجنيق . وقد عرف العرب هذا السلاح عن الفرس . وقد استخدمه أول الأمر الفينيقيون ثم أخذه عنهم اليونان وانتقل بعد ذلك إلى الفرس . وكانوا يتخذون المنجنيق آلة قذافة تقذف الحجارة الضخمة أو السهام أو المواد المشتعلة لهدم الحصون وإحراق المدن .

(١) الخوصص : ص ٧١ ج ٦  
(٢) المغرب للجوالقي : ص ٢٥٢ ط دار الكتب

ومن آلاتهم في القتال الجرز أو العمود أو الدبوس . ويؤسب الثعالي إلى  
أفريدون أنه أول من صنع هذا السلاح في حربه مع الضحاك . وكان العمود  
الذي أمر بصنعه هو المعروف « گرزگاوسار » ومعناه بالفارسية العمود الذي  
في رأسه صورة ثور <sup>(١)</sup> . ويعلق العمود في حلقة السرج .

وكان الوهق من أهم أسلحة الفرس . وهو جبل يجعل منه أنشوطه فإذا  
ألقاه المحارب على عدوه شد إليه الحبل فضاقت الأنشوطه على جسم العدو  
فلا يستطيع منها فككا ، ويقع أسيرا . ومثل هذا ما يستعمله رعاة البقر  
المعروفون اليوم في أمريكا . وقد مهر الفرس في استخدام هذا السلاح . ولم  
يكن أعداؤهم من التورانيين يعرفونه أو يستخدمونه حتى إن كاموس السكشاني  
لما التقى برستم عجب أن يكون هذا الحبل من بين آلاته في القتال وازدراه  
فطرح رستم عليه الوهق وأحكمه على وسطه ثم جره إليه وأخذه أسيرا .

وكانوا يستعملون الحسك وربما اتخذوه من حديد أو خشب يلقونه في  
طريق أعدائهم فينشب في أرجل خيلهم فيعوقها عن السير والحركة . وقد لجأ  
الفرس إلى هذا السلاح في حروبهم مع العرب . ويروى الطبري أن النعمان  
ابن مقرن في حربه مع العجم لما انتهى بجنده إلى نهاوند طرخوا له حسك الحديد  
فبعث عيوناً فساروا لايعلون بالحسك فزجر بعضهم فرسه وقد دخلت في يده  
حسكة فلم يبرح فنزل فنظر في يده فإذا في حافره حسكة فأقبل بها وأخبر  
النعمان الخبر فاستشار النعمان رجاله فأشاروا عليه أن ينتقل من مكانه ويظهر  
الهروب حتى يخرجوا في طلبه . ففعل النعمان ما أشاروا به فخرج الأعاجم في

طلبه وكنسوا الحسك من الطريق. ولما علم النعمان أنهم كنسوا الحسك وأصبحت الطريق آمنة عطف عليهم. <sup>(١)</sup> وفي هذه الحرب نفسها يتحدث الطبري فيقول إن الفرس لما قدموا على العرب كانوا كأنهم جبال حديد قد توائقوا أن لا يفروا من العرب وقد قرن بعضهم بعضا سبعة في قران والقوا حسك الحديد خلفهم وقالوا من فر منا عقره حسك الحديد. ولما رأى الفرس صبر العرب في القتال وأنهم لا يرحون رغم ما أصابهم من المصائب العظيمة انهزموا فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة بعضهم على بعض في قباد فيقتلون جميعا وجعل يعقرهم حسك الحديد الذي وضعوه خلفهم. <sup>(٢)</sup>

وكانت القبيلة تقوم بدورهم في الحروب يقدّمونها أمام الجند فتكون كالسور المنيع أمامهم. ولكن القبيلة كانت مصدر خطر في بعض الأحيان على الجند لأنها إذا خافت واضطربت داست الجند وقتلت منهم عددا كبيرا ولذلك كانوا يتخذون الحيلة لمثل هذا فيزودون القبيلة بالسكاكين الطويلة حتى إذا خافت القبيلة وخيف على الجند أن تدوسهم طعنوا القبيلة بسكاكينهم في الفقرات الخلفية من عنقها. <sup>(٣)</sup>

وكانوا يصحبون الأسود والضواري في حروبهم. وتقتصر مهمتها على حراسة خيمة الملك حتى لا يتسلل إليها العدو.

فإذا وضعت الحرب أوزارها سلم الجند أسلحتهم لتوضع في المخازن

(١) الطبري : ص ٢٠٣ ج ٣

(٢) نفس المصدر والجزء : ص ٢٠٦ - ٢٠٧

(٣) كريستنسن : إيران در زمان ساسانيان : ص ١٣٨ ترجمة رشيد يامى

الخاصة بها . وكان يوكل بهذه المخازن موظف مختص يقوم بمراقبة هذه الأسلحة وتنظيمها بحيث يمكن توزيعها عند الحاجة إليها في قليل من الزمن .<sup>(١)</sup>

### أرزاق الجند :

كان من عادة الملك قبل القتال أن يفتح خزائنه ويوزع منها على الجند في شيء كثير من السخاء تشجيعاً لهم على القتال . وكان إطلاق أرزاق الجند وتقديم الأعطيات إليهم قبل القتال أمراً معروفاً . ولم يكن هذا يمنع من تخصيص رواتب خاصة للجند يعطونها في فترات معلومة . فداراً مثلاً كان يعطى جنوده ما بين أربعة إلى ثمانية دراهم كل يوم<sup>(٢)</sup> . وكان الجند في بعض الأحيان ينالون رواتبهم كل عشرين يوماً ولذا سميت العشرينيات<sup>(٣)</sup> . يضاف إلى هذا نصيبهم فيما يصيبون من غنائم . ولكن كان عليهم أن يقدموا الغنائم أولاً كاملة إلى الشاه وهو الذي يأمر بتوزيعها فيما بينهم . ولم يكن قائد الجيش يجرؤ أن يمس شيئاً من هذه الغنائم بغير إذن الملك . وحينما احتجز بهرام چوبين لنفسه بعض الغنائم التي حصل عليها دون أن يستأذن الملك كان هذا سبباً من أسباب غضب الملك عليه .

وكان بعض الملوك يحرمون على جنودهم أن يمدوا أيديهم إلى شيء من مال الرعية يأخذونه غصباً وظلماً .

وكانت الدولة تتولى إعداد ما يلزم للجند من طعام وتهيئة ما يلزم للدواب

- 
- |     |             |            |
|-----|-------------|------------|
| (١) | كريستنسن :  | ص ١٤٣      |
| (٢) | الشاهنامه : | ص ١٧٨٤ ج ٦ |
| (٣) | الشاهنامه : | ص ٢٨٠٢ ج ٩ |

من الأعراف فإذا استعد الجيش للخروج إلى القتال كتبوا بذلك إلى حكام النواحي المختلفة التي يمر بها هذا الجيش ليقدّموا له ما يلزم من الزاد .

وكان أردشير وإن يهتم بجنده وخاصة الفرسان اهتماما شديدا . فكان يقدم لفقرائهم المساعدات المالية ، والهدايا المختلفة التي تناسب رجل الحرب كالخيل أو الأسلحة . كما كان يدفع معاشاً لورثة المتوفين من الجند .

### الموبذ في الحرب :

ذكرنا فيما سبق أن الموبذ كان من رجال الدولة الذين يكلفون بملازمة الجيوش في الحروب . وقلنا إن أردشير كان يجعل على كل ألف من المقاتلة موبذا عالما خبيرا لمراقبتهم وإخباره بما يكون منهم عند القتال من شجاعة أو جبن وبما يكون عليه سلوكهم بصفة عامة .

### الطبيب في الحرب :

من بين الشخصيات التي يعتمد عليها في الحروب الكاتب . وكان يقوم بحملة أعمال منها أن يسفر بين الملك وأعدائه قبل القتال محاولا أن يحسم مادة الخلاف ، وأن يصد العدو عن التماهى في الشر ، وأن يوفق بين الطرفين بما فيه مصلحة مولاة . وكان الملوك يختارون هذا السفير من بين الكتاب اختياراً دقيقاً . وكان أردشير يختار في مثل هذه المهمة أحد كتّابه العلماء العقلاء <sup>(١)</sup> . ومن مهام الكاتب أن يقوم بتحرير ما يطلب إليه من رسائل توجه إلى الملوك والقواد في الإنذار والتهديد ، أو الإغراء والتخريض أو المسالة والمهادنة وعقد

(١) الشاهنامه : ص ١٩٨٣ ج ٧

شروط الصلح ، أو رواية ما جرى من وقائع وأحداث في الحرب . وكان من مهمته أيضاً أن يشير على الملك وينصح له . ويروى أن بهرام چويين لما أراد أن يقاتل جنود الترك نصحه رجاله أن لا يفعل لقلة من كانوا معه وكثرة جند الأتراك فأبي أن يقبل النصح فجاءه الكاتب ونصحه بدوره ألا يصمم على القتال محافظة على حياة من معه من الرجال . ويبدو أن الكاتب أطال في النصح فضجر بهرام وطلب إليه أن يكف عن النصح وأن ينصرف إلى دواته وقرطاسه ويدع أمر الحرب لرجال الحرب <sup>(١)</sup> .

وكان من مهمة كاتب الجند أن يثبت في سجلاته أسماء المقاتلين ، وأن يحصى الغنائم التي يظفرون بها . وحين استولى بهرام چويين على قلعة برمودة ابن ساوه دخلها الكتاب يؤدوا واجبه في إحصاء ما بها من غنائم وظلوا يؤدون واجبه إلى وقت متأخر من الليل <sup>(٢)</sup> .

ويحدثنا النويري عن واجبات كاتب الجيش فيذكر أن عليه أن يرتب أسماء الأمراء والأجناد ويضع لذلك جريدة على حروف المعجم يثبت فيها أسماءهم ويذكر الاسم وابتداء امرته أو جنديته في أي سنة كانت من السنين ... الخ <sup>(٣)</sup> .

#### السامر :

وكانوا يستعينون بالسحرة في القتال لبث الرعب والفرع في قلوب الأعداء

(١) الشاهنامه : ص ٢٦١٢ ج ٨

(٢) الشاهنامه : ص ٢٦٣٨ ج ٨

(٣) نهاية الارب : ص ٢٠٠ ج ٨

وكان الساحر قادرا على أن يُرى العدو الأحلام المزعجة التي تؤثر في أعصابه وتضعف ثقته بنفسه وقدرته على مواجهة عدوه . من ذلك أن بهرام جويين لما حارب الأتراك استعانوا بالسحرة فلما جاء الليل ونام بهرام رأى في نومه أن الأتراك قد غلبوه على أمره وهزموه شر هزيمة ونهبوا ما في جيشه وبقي هو وحيدا يرجو الأمان ، فقام من نومه مذعورا مضطربا .<sup>(١)</sup> وكان مما فعله سحرة ساوه في حربه مع الإيرانيين أن سحروا أعينهم وخيلوا لهم أنهم يرون نيرانا تملأ الجو ورياحا عاصفة وسحبا سوداء مظلمة تمطرهم بوابل من النبال<sup>(٢)</sup>.

### من عاداتهم في الحروب:

وكان مما جرت به عاداتهم في الحروب ألا يعرضوا لها الملوك حرصا منهم على حياتهم أن يصيبها مكروه فيتبدد شمل جيشهم . وحين حارب كيخسرو افراسياب طلب هذا منه أن يخرج لمبارزته بنفسه وكان منه أن يتغلب عليه في مبارزته فينهزم بذلك جيشه . ولكن رستم وهو المحارب الخبير فطن إلى الأمر ومنعه أن يخرج لمبارزة افراسياب وإلا فما حاجة الملوك إلى الجنود والآلات إذا كانوا يقاتلون بأنفسهم .<sup>(٣)</sup>

وكان من عاداتهم أن يكتبوا على الشباب أسماء مختلفة فنما ما يكتب عليه اسم الملك ومنها ما يكتب عليه اسم المقاتل نفسه أو اسم امرأته أو ابنه إلى غير ذلك . ويزعمون أن كسرى بعث وهرز إلى اليمن لقتال الحبشة فلما اصطفوا قال وهرز

- |               |   |        |     |
|---------------|---|--------|-----|
| (١) الشاهنامه | : | ص ٢٦١١ | ج ٨ |
| (٢) الشاهنامه | : | ص ٢٦١٤ | ج ٨ |
| (٣) الشاهنامه | : | ص ١٣٥٣ | ج ٥ |

لغلامه : أخرج الى من الجمعة نسيابة فأدخل الغلام يده فأخرج له نسيابة عليها اسم امرأته فتطير من ذلك .<sup>(١)</sup>

وكان من عاداتهم إذا خرجوا للحرب أن يتطيروا إذا عاد المحارب من سفره قبل أن يصل إلى ميدان القتال .

وكانوا يتخنون في مجالس لهمم بانتصاراتهم .

### ملاحظة تنصل بالحروب :

يلاحظ أن الشاهنامة مع اهتمامها بالحديث المفصل عن الحروب والوقائع والانتصارات التي يحرزها الإيرانيون لا تتحدث بنفس هذا التفصيل عن الوقائع التي يهزمون فيها ، وكثيراً ما يكون الحديث عن مثل هذه الوقائع عابراً بجملاً وقد تهملها الشاهنامة . وبما أهملته الشاهنامة مثلاً واقعة ذي قار التي انتصر فيها العرب على العجم . ولعل العصبية الإيرانية هي التي حدت بالشاهنامة إلى أن تتجاهل هذه الواقعة . وربما كان هذا التجاهل راجعاً إلى عجز الشاهنامة عن أن تجد مخرجاً مناسباً تخفف به وقع هذه الهزيمة كما فعلت مع الاسكندر الذي غزا الإيرانيين وحطم ملكهم واستولى على بلادهم ومع ذلك ذكرته الشاهنامة بالخير ولم تأفف أن تتحدث عن انتصاراته على الإيرانيين وإن كان حديثاً بجملاً في أغلبه . وسبب هذا أن الشاهنامة اعتبرت الاسكندر إيرانياً ومن ثم لم يكن غريباً على الإيرانيين ولم تكن انتصاراته عليهم انتصارات غريب دخيل . أما كيف اعتبرته الشاهنامة إيرانياً فتفصيله أن داراب بن بهمن بن

---

(١) عيون الأخبار : ص ١٤٩ ج ١

اسفنديار تزوج ابنة قيصر الروم ولكنه نفر منها بعد الزواج لأنها كانت بخرام . وقد عالجها من هذا الداء وشفيت منه إلا أن قلبه لم يفتح لها بعد ذلك ، فردها إلى أبيها . وهناك ولدت له الاسكندر وكانت حاملاً منه . وأخفى قيصر الروم فيلقوس صلة الاسكندر بأبيه داراب وادعى أنه ولده <sup>(١)</sup> . وفي الشاهنامه أن ابنة قيصر الروم فيلقوس وأم الاسكندر كانت تسمى ناهيد وأن العشب الذي عولجت به كان اسمه الاسكندر ، ولذا سميت مولودها الاسكندر على اسم هذا العشب الذي شفاها من بخرها <sup>(٢)</sup> . ولكن الطبري يسمي ابنة قيصر الروم هلاي ، ويذكر أن الدواء الذي عولجت به يقال له بالفارسية سندر . وقد أذهب هذا الدواء كثيراً من راحتها الكريهة وإن كان لم يذهبها كلها فانصرفت نفس دارا الأكبر ( داراب ) عنها لبقية ما بها وعافها وردّها إلى أهلها وقد علقت منه فولدت غلاماً سمته باسمها واسم الشجر الذي عولجت به فكان اسمه هلاي سندروس ثم صار اسكندروس <sup>(٣)</sup> .

ومن هذا نرى أن الشاهنامه جعلت الاسكندر ايرانياً لتبرر بهذا ما لحق الايرانيين من الهزائم على يديه ، وأنها جعلته ابناً لداراب بن بهمن بن اسفنديار وأخا لدارا بن داراب آخر الملوك الكيانيين الذي هزمه الاسكندر وبأنهزاه انقضت ملك الكيانيين فكان الأمر بهذا لا يعدو أن يكون نزاعاً بين أخوين ايرانيين انتصر أحدهما على الآخر .

- 
- |               |          |            |
|---------------|----------|------------|
| (١) الشاهنامه | : ص ١٧٧٧ | ج ٦        |
| (٢) الشاهنامه | : ص ١٧٨٠ | ج ٦        |
| (٣) الطبري    | : ص ٦٩٦  | ج ١ ط بريل |

وكما قلنا منذ قليل لو كانت الشاهنامة قد استطاعت أن تجد مثل هذا المخرج والتبرير فيما يتصل بهزيمة الايرانيين على يد العرب في واقعة ذي قار لتحدثت عن هذه الواقعة كما تحدثت عن وقائع الإسكندر .

### الشطرنج والنرد :

قد يبدو غريباً ان تذكر الشطرنج والنرد في بحث كهذا ولكن الواقع أن لعبة الشطرنج كانت أثراً من آثار حياة الحرب ، فاختراع الشطرنج والنرد وثيق الصلة بالحرب . ولعل كثرة الحروب التي سادت الحياة هي التي أوحى باختراع هاتين اللبتين . فهما في الحقيقة مظهر من مظاهر الحياة الحربية التي كان يحياها الناس في ذلك الزمان . وقد اخترع الهنود الشطرنج وأهداه ملوكهم إلى كسرى انوشيروان وأوجب ملوكهم على نفسه أن يلتزم الضريبة عن بلاده كل سنة إذا استطاع كسرى ومن عنده أن يفكوا رموز هذه اللعبة ، وأن يحل نفسه من هذا الالتزام إذا عجزوا . ورأى كسرى أنه أمام هدية خطيرة ليست كسائر الهدايا فعهد بها إلى حكيمه المشهور بزرجمهر الذي أخذ يتأملها ويدرسها ويدقق النظر فيها حتى فهمها وعرف سرها الذي بنيت عليه . وفطن إلى أن تلك القطع والحجارة تصور نظام الجيوش في الحرب وقال إن هذه اللعبة « إنما وضعت للحرب وجعل الأكبر منها الملك والذي يليه الوزير والقطاع الكبار القواد المسمين للأمور والبيادق الرجال وحركاتها مناوشة القتال » (١) ولما علم ملك الهند أن الايرانيين فطنوا إلى سر اللعبة التزم بالضريبة يؤديها كل عام .

أما سبب اختراع الهنود لتلك اللعبة فيرجع إلى أن إحدى ملوكات الهند كان لها ولدان يتنازعان على الملك هما جو (گو) وطلحند . وقد تطور النزاع بينهما ، فأعد كل منهما جنده ونظم جيشه إلى ميمنة وميسرة وطلیعة ومؤخرة ، وجهزت الخيل لركوب الفرسان ، والقيلة لركوب الملكين . ولما تقابل الجيشان انهزم جيش طلحند فعز عليه ذلك وحزن لما أصابه من الهزيمة حزنا شديدا ووقع ميتا . وانتهت بهذا الحرب بين الأخوين فعاد گو إلى أمه وأخبرها الخبر فظنت أنه قتل أخاه ولكنه أكد لها أن أخاه مات ميتة طبيعية وأنه لم يمسسه بسوء . ولكن الأم لم تصدق ما قال فأراد أن يشرح لها واقعة الحال شرحا عمليا لفهم كيف دار القتال ، فدعا إليه العلماء وكلفهم أن يهندوا إلى طريقة لتصوير المعركة تصويرا ماديا واضحا فاستحضروا الأبوس وعملوا تحفا وصوروا فيه مائة بيت ثم عملوا من الساج والعاج صورة شاهين معتصين بالتاج مع جنودهما وخيولهما وفيولهما ثم صفوها صفوفا فجعلوا كل واحد من الشاهين في قلب عسكريه وعلى يمينه وزيره وإلى جانب كل واحد منها من الميمنة والميسرة فيلان ينتقلان في ثلاثة بيوت . وجعلوا دون الفيلين جملين عليها راكبان ودونها فرسين عليها فرسان ودون الفرسين رخين كأنهما مبارزان يركضان يمنا ويسرة ولا يقف قدامهما أحد ورتبوا الرجالة مصطفين أمام الكل . ومهما انتهى واحد منهم إلى آخر المعترك صار في مرتبة الوزير بقعد بجانب الشاه ويختلف بين يديه . ثم كل واحد من هؤلاء المقاتلين إذا رأى الشاه في بيت صاح وأشار إليه بالاحجام والتحنى من ذلك البيت . ثم إن أحد العسكريين غلبوا فسدوا الطريق على الشاه فنظر فرأى عساكر العدو قد أحاطوا به من كل جانب وسدوا

عليه كل مسلك فأت من الهم والأسف ما بين المعترك .<sup>(١)</sup> وكانت أم طلحند  
تراقب الشطرنج وهم يلعبون به أمامها فتفهم كيف جرت الواقعة وكيف مات  
ولدها .

هذا فيما يتعلق بالشطرنج . وقد رأينا أن الفرس قد اهدوا إلى سره وفك  
رموزه . ثم إن الفرس قدموا إلى ملك الهند هدية أخرى في مقابل هديته  
وضعها بزرجمهر . وكانت هذه الهدية هي النرد . وقد جعل بزرجمهر خطوطها  
الاثنى عشر على عدد الشهور وبروج الفلك وقطاعها السود والبيض هي الليالي  
والأيام ، والكعبتان دول الناس وجدودهم .<sup>(٢)</sup>

---

(١) ترجمة البنداري : من ١٥٤ ج ٢

(٢) الفرز : من ٦٢٤ .

## ١٢ — الملوك في الشاهنامه

وما يتصل بهم

الحق الذي للملوك :

أهم طبقة تعنى بها الشاهنامه في المجتمع الإيراني طبقة الملوك . ولذا كان تقديمها في الحديث ضرورياً . لم يكن لدى ملوك الفرس نظام ثابت لتولي الملك ، وإن كان هناك عرف جرى العمل به في أكثر العهود . ولكن هذا العرف لم يكن قانوناً ملزماً ونظاماً واجب الاتباع على الدوام . وكان هذا العرف يقضى بأن يتولى أكبر الأبناء الملك بعد أبيه ولكن الظروف كانت تتدخل في كثير من الأحيان للتدخل من هذا العرف . وعند ما مات يزدجرد ابن بهرام جور كان أكبر أبنائه فيروز غائباً في سجستان فتولى الملك أصغر الأبناء هرمزد<sup>(١)</sup> . ولم يطق فيروز صبراً على اغتصاب حقه الطبيعي في الملك فلجأ إلى ملك الهياطلة يستعين به ضد أخيه هرمزد فأمدده ملك الهياطلة بجيش كثيف يتكون من ثلاثين ألف مقاتل استطاع بهم أن يتغلب على أخيه وأن يأسره وأن يسترد منه الملك<sup>(٢)</sup> . ثم رقى قلبه لأخيه هرمزد فأطلق سراحه وورده إلى إخوانه مكرماً وأخذ عليه العهد أن يكون في خدمته .<sup>(٣)</sup>

(١) ٤٥٧ — ٤٥٩ م

(٢) ٤٥٩ — ٤٨٤ م

(٣) الشاهنامه : من ٢٢٦٥ ج ٨

وقد حدث أن تولى الملك طفل رضيع لأن هرمز بن نرسی لما مات لم يكن له ولد فأخذ الأشراف ورجال الدين يتشاورون في الأمر حتى علموا أن إحدى جواريه كانت حاملاً منه ، فانتظروا حتى وضعت مولودها بعد أربعين يوماً من موت هرمز ، وكان المولود قرأ منيراً كأنه قبس من النور الإلهي ، فسماه الموبذ شابور (سابور) ولما صار لشابور هذا أربعون يوماً نصبوه ملكاً . ومن اللطيف أنهم عند ما نصبوه رفعوه إلى العرش في لفافته الحريرية وزينوا صدره بتاج ذهبي . وكان يصرف الأمور باسم هذا الوليد موبذ حكيم اسمه مهروي . وقد عرف شابور هذا فيما بعد بسابور ذي الأكتاف . ودام ملكه اثنتين وسبعين سنة . وكان من ملوك الدولة الساسانية البارزين <sup>(١)</sup> .

وإذا كان الطفل الرضيع يتولى الملك فليس هناك ما يمنع من تولى الصبية وصغار الشبان . وكان قباد بن فيروز بن يزدجرد في سن السادسة عشرة حين تولى الملك <sup>(٢)</sup> . ولم تكن له بشئون الملك خبرة أو دراية فاستبد بالامر دونه سوفزاي . وكان طبيعياً وقد أصبحت لسوفزاي الكلمة العليا في البلاد أن يكثر أعداؤه وحساده الذين استطاعوا أن يثيروا عليه الملك حتى قتله . وكان لمقتله أثر سيء فقامت الفتن والثورات في جميع البلاد وعانى منها قباد أشد معاناة .

وكان الأخ يتولى الملك أحياناً بعد أخيه كما هي الحال بالنسبة لأردشير أخى شابور بن هرمزد المعروف بشابور ذي الأكتاف . وكان لشابور ذي الأكتاف

(١) ٣٠٩ — ٣٧٩ م

(٢) ٤٨٨ — ٥٣١ م

عندما أحس بدنو الأجل ولد صغير اسمه شاپور أيضاً . وقد رأى أن ابنه في سنه الصغيرة لا يصلح أن يتولى الملك فدعا إليه أخاه أردشير والكاتب وكبير الموازنة ( موبذ موبذان ) . وعهد إلى أردشير بالملك من بعده على أن يسلمه إلى ابنه متى بلغ مبلغ الرجال ويصبح له عند ذاك مشيراً وناصحاً أميناً . وسلم إليه تاج الملك ومفاتيح الخزان وولاه قيادة الجيوش . وأخذ عليه العهد والميثاق في حضرة الكاتب وكبير الموازنة . ولما توفي شاپور ارتقى أردشير العرش ودعا إليه الناس وأعلن أمامهم أنه يتولى الملك إلى أن يكبر شاپور بن شاپور فيرد إليه الأمانة التي استودعه إياها أبوه . وسار في الناس بالعدل والإحسان ، ورفع عنهم الخراج حتى لقبوه أردشير المحسن ( نيكوكار ) . وبعد أن قضى عشر سنوات يصرف الأمور أحسن تصريف رد الملك إلى ابن أخيه شاپور (١) .

ومن الأخوة الذين تولوا الملك بعد اخوتهم يزدرجرد بن شاپور بن شاپور ذي الأكتاف . وهو المعروف بيزدرجرد الأثيم . وسبب توليه الملك أن أخاه بهرام بن شاپور بن شاپور (٢) مات ولم يترك عقباً ذكراً فاضطر أن يعهد إلى أخيه الأصغر يزدرجرد بالملك (٣) .

وكان الأمر يخرج أحياناً من أبناء الملك أو اخواته إلى من عداهم من يلتسبون إلى الأسرة الملكية كما حدث في تولية زو بن طهباسب ، فإن سلفه نوذر كان له ولدان طوس وكستهم ولكنهما لم يكونا صالحين للملك فاستقر

(١) الشاهنشاهه : ص ٢٠٦٤ ج ٧

(٢) ٣٨٨ — ٣٩٩ م

(٣) ٣٩٩ — ٤٢٠ م

رأى الإيرانيين على تنصيب زو بن طهاسب<sup>(١)</sup>. وكان زو حين تولى الملك شيخاً جاوز الثمانين من العمر .

وفي مرة أخرى اختير كيقباد رأس الأسرة الكيانية للملك . وكان ذلك بعد أن مات گرشاسب آخر ملوك الپشدادية ، وبقي الملك شاغراً فترة فجمع زال الأعيان والأشراف ورجال الدين وكبار رجال الدولة وشاورهم في أمر من يتولى الملك فأشار عليه المويذ بكيقباد . وكان كيقباد ينتهي في نسبه إلى افريندون . فأرسل اليه زال ابنه رستم يشره بالملك ويدعوه إلى القدوم اليهم .

ولم يكن الملك وفقاً على الرجال دون النساء ففي اليهود التي تختفي فيها الكفاءات الممتازة والشخصيات القوية بين الرجال كان النساء يرتقين العرش . وحين اعترى الدولة الساسانية الضعف في أواخر عهدها رأينا من الملكات اللاتي ارتقين العرش بوران بنت كسرى ابرويز ( پرويز ) وقد ملكت ستة أشهر<sup>(٢)</sup> . ثم أزم بنت كسرى ابرويز كذلك ولم يزد ملكها على أربعة أشهر<sup>(٣)</sup> .

ولنا بعد هذا أن تسامل لماذا لم يفكر الملوك في وضع نظام دقيق ثابت لولاية العرش وخاصة في عهد الدولة الساسانية التي جعلت لكل ناحية من نواحي الحياة نظماً مرعية وأصولاً لا يجحد الناس عنها ؟ ويجيبنا تنسرفي رسالته إلى جشنسيف ملك طبرستان على هذا التساؤل فيقول إن الناس يلتفون عادة

( ١ ) في بعض الروايات الأخرى غير رواية الشاهنامه أن زو هو ابن نوذر

لا ابن طهاسب .

( ٢ ) الشاهنامه : ص ٢٩٥٦ ج ٩

( ٣ ) الشاهنامه : ص ٢٩٥٨ ج ٩

حول ولى العهد يرمقونه بعين الإكبار والإجلال ويكثر حوله المنافقون المخادعون وقد يكون ولى العهد صغيراً أو قليل التجربة فيركبه الغرور ويتملكه العجب بنفسه فيندفع إذا صار ملكاً في طريق الضلال ويأتى من الخماقات ما لا يأتيه ملك خلت نفسه من الغرور والكبر . ثم إن عمر الملك قد يطول ، ويطول معه انتظار ولى العهد ، وإذا طال انتظار ولى العهد للملك تغير قلبه على الملك وقد يغريه أهل السوء بالخروج عن طاعته فتقع بذلك الفتن والحروب التى يخل بها أمر البلاد . ودفعاً لما قد ينشأ عن تعيين ولى للعهد من مفاسد رأى أردشير أن يكتب الملك وصيته إذا ما دنا أجله من ثلاث نسخ . ويختار فى هذه الوصية من يخلفه . ويبقى اسم خلفه بطبيعة الحال سرّاً لا يطلع عليه أحد . وتسلم إحدى النسخ إلى كبير الموازنة ، والثانية إلى كبير الكتاب والثالثة إلى كبير القواد ، فإذا توفى الملك اجتمع هؤلاء الثلاثة وفضوا الاختام فإذا اتفقوا على من عين فى الوصية أعلنوا ذلك للناس وإذا اختلفوا اكتموا الأمر ورجع كبير الموازنة إلى رجال الدين والحكام وسائر أهل الرأى حتى تنفق كلمتهم (١) .

وإذا لم يكن تولى الملك أمراً دقيقاً كما رأينا ، وإذا لم تكن وراثة الملك مقررة فى شخص بعينه فليس معنى هذا أن الملك نفسه غاية سهلة المنال لكل طموح وطامع فقد دأب الفرس على اعتبار الملك حقاً محصوراً فى دائرة محدودة جداً هى دائرة الأسرة الملكية نفسها وليس يحق لأى واحد من أفراد الشعب

---

(١) كتاب تنوير : ص ٥١ وما بعدها الترجمة العربية للدكتور

أن يرتقي العرش منها يكن شأنه . وقد رأينا فيما سبق أنهم ولوا الطفل الرضيع ولم يخطر ببالهم أن يولوا واحداً لا ينتمى إلى أصل ملكي . وكانت فكرتهم في هذا أن الملك منحة الهية خصت بها الآلهة فئة معينة من الناس هم الملوك ومن يتمسكون بهم . فمن كان من أصل ملكي حق له أن يملك ومن لم يكن كذلك فلا حق له في الملك منها تكن مزاياه ومقدرته ، وإذا ملك بحكم القوة فهو مختص . وهذا ما يعرف بالحق الإلهي المقدس للملوك . وقد نتج عن هذه الفكرة أنهم نظروا إلى الملوك نظرة تقديس ما دامت الآلهة قد خصتهم دون سواهم بالملك ، واعتبروا ما يأمر به الملك وما يصدر عنه قوانين واجبة التنفيذ ، كما اعتبروا أن مخالفة هذه القوانين إثم في حق الآلهة .<sup>(١)</sup> وكانت الديانة الزردشتية لهذا السبب توجب على معتقبيها أن يدينوا للملوك بالطاعة والولاء . وقد نقلت الشاهنامه عن زردشت أنه يقول في الأوستا والزند من عصي الله وخرج على طاعة الملوك وجب نصحه ووعظه سنة فإن لم يعد بعدها إلى الطريق السوي وجب قتله بأمر الملك<sup>(٢)</sup> . ولهذا السبب كانت طاعة الملوك والتسليم لهم دون سواهم بحق الملك عقيدة راسخة في قلوب الفرس وتستمد هذه العقيدة قوتها من تعاليم الديانة الزردشتية نفسها . وتروى الشاهنامه أن گشتاسب حين أراد أن يتخلص من ولده اسفنديار لمزاحمته إياه على الملك وجهه إلى حرب رستم في زابلستان وطلب منه أن يأتي به أسيراً . فأطاع اسفنديار وتوجه إلى زابلستان فنصحه أخوه بشوتن أن يعدل عن مقاتلة رستم

(١) قصة الحضارة الفارسية : ص ٢٩ ول دورانت وترجمة الدكتور إبراهيم أمين .

(٢) الشاهنامه : ص ٢٧٢٢ ج ٩

فإنه هالك إن فعل . ولكن اسفنديار وقد رسخت في قلبه عقيدة الطاعة للملك أعرض عن نصيح أخيه وذكره بما يأمر به دين زردشت من طاعة الملك ، وبما ينذر به العصاة من العذاب في الجحيم <sup>(١)</sup> . وكان من جراء تمسك اسفنديار بطاعة الملك وإعراضه عن نصيح أخيه أن لقي حتفه على يد رستم .

وكان بهرام چوبين على عظم قدره في الدولة الساسانية وسابق خدمته للملكها غير جدير بالملك في نظر الناس لأنه لم يكن من سلالة الملوك . وحين ساء الأمر بينه وبين ملكه هرمزد ( هرمز ) استشار أصحابه في أن ينصب نفسه ملكا على البلاد فشجعوه على هذا تملقا اليه لما رأوه في نفسه من الميل إلى هذا الأمر إلا أخته فإنها حين استشارها سفت رأيه وحذرت عاقبة الغرور ونهته عن مجارة أصحابه الذين يملقونه ويغررون به ويدفعونه إلى الهلكة ، وذكرته بأنه ليس من سلالة الملوك وأنه لهذا لا يصلح للملك ولا يليق به أن يغتر لسابق انتصاراته في الحروب ، وأن من قبله كانوا أشد بأسا وأصعب مراسا ومع ذلك هلكوا دون الملك ، وأن الحكمة تقضى عليه أن يرتد عن الغنى ويعود إلى طريق الحق فيسمع ويطيع ، ويطلب من الملك الصفح والمغفرة . وهذا يدل على نظرة الناس إلى الملك وإلى من يحق له أن يكون ملكا ، وأنه لا الحسب الرفيع ولا البلاء المجيد في الحروب ولا الثراء والجاه بشافع للانسان إذا طمح إلى الملك لأن كل هذه الاعتبارات البشرية لا يمكن أن ترقى إلى الإرادة الالهية التي شامت فقضت بالملك لفئة خاصة من الناس دون سواها . وما يجب أن تذكره في هذا الصدد أن بهرام چوبين كان يفهم جيدا هذه

العقيدة في نفوس الناس فاستغلها في حربه مع پرويز حين تقابل الجيشان بالنهران » إذ دنا بهرام من صفوف كسرى پرويز وصاح بأعلى صوته تباً لكم يا معشر العجم في خلعكم ملككم . أيها الناس توبوا إلى ربكم مما فعلتم وانحازوا إلى أجمعائكم حتى نزد السلطان على ملككم قبل أن ينزل الله نقمته عليكم . فلما سمع أصحاب كسرى ذلك قال بعضهم لبعض والله قد صدق بهرام وإن الأمر لعلى ما قال فهلوا بنا تتلاف أمرنا ونصلح ما كان منا باجابه بهرام إلى ما رأى فانحازوا جميعاً فانضموا إلى بهرام .<sup>(١)</sup> وكان ينسب إلى پرويز أنه تواطأ مع بعض رجاله على خلع أيه هرمزد واستيلائه على الملك مكانه . ولذا مال جند پرويز إلى معسكر بهرام مما حقق له النصر . ورجع پرويز خائباً ولم يجد بداً من الفرار إلى قيصر الروم للاستعانة به على بهرام . فانضم الجند إلى بهرام كان راجعاً إلى شعورهم بأحقية الملك المخلوع في الملك ووجوب إعادته إلى العرش . وحين وصل پرويز إلى بلاد الروم لقي الترحيب والإكرام وأمدّه قيصر بجيش ضخم يسترد به ملكه من غاصبه . وعند ما تقابل الجيشان أعلن كسرى پرويز أنه قد أمن من ينضم إليه من جند بهرام . فلما سمع الجند ذلك واطعوا إلى الأمان على أنفسهم وأهلهم وأموالهم عاودهم الحنين إلى ملكهم فانسل أغلبهم بالليل من معسكر بهرام إلى معسكر كسرى . ولما أصبح الصباح ورأى بهرام ما فعله جنده به لم يجد أمامه بداً من الفرار . ويلاحظ هنا أن الجند انضموا إلى بهرام في أول الأمر رغبة في إعادة الملك الشرعي وإيماناً بما ادعاه لهم بهرام ، ولأنهم تخلوا عن بهرام آخر الأمر تفضيلاً للملك عليه . ومهما يكن

ما فعله پرويز ازاء أبيه فإنه على كل حال ملك من بيت الملك وليس بهرام كذلك وتأيد الملك أوجب من تأيد العاصي الثائر .

وانتهى الأمر بهرام وبين معه أثناء فرارهم إلى قرية من القرى فدخلوا دارا لعجوز قدمت اليهم مالدنيا من الطعام والشراب ، فلما طعموا وشربوا جلسوا إلى العجوز يتحدثونها وهي لا تعرف شخصياتهم ويسألونها عما لديها من الأخبار عن قتال بهرام وپرويز . فروت لهم ما بلغها من انهزام بهرام وانتصار پرويز وسفقت فعلة بهرام وتنبأت له بالخيبة والفشل لأنه تجرأ على عصيان ملك البلاد . وأبدت رأيها في بهرام فقالت : « جاهل أحق يدعى الملك وليس من أهل بيت المملكة » . (١)

وأخذ بهرام يتنقل في البلاد هاربا حتى وصل إلى الخاقان فاحتفى به وأقام عنده وحاول پرويز أن يغري الخاقان بقتل بهرام فلم يفلح ؛ فلجأ إلى امرأته الخاتون وأنفذ إليها من حذرهما من بهرام وجسم لها خطره على زوجها الخاقان وعلى ملكه ، فاستجابت الخاتون لهذا التحذير وأنفذت إليه من طعنه وقتله . ولما سمع من بيابه صراخه دخلوا عليه وكانت أخته كرديه بين من دخل فرأته على تلك الحال فلطمت خدها وقالت يا أخى هذا جزاء من كفر أولياء النعمة وعصى الأرباب وحارب الملوك . (٢)

وحتى حكام الأقاليم جرت العادة في العهد الساساني أن يكونوا من الأسرة الملكية . وكان على أبناء الملك أن يتولوا الحكم في تلك الأقاليم حتى

(١) الأخبار الطوال : ص ٩٤

(٢) الغرر : ص ٦١٢

يكون لهم في هذا تمرين ينفعهم في المستقبل إذا ما صارت اليهم مقاليد الأمور في البلاد . وكانوا يعتبرون الأمراء الذين لم يسبق لهم حكم إمالة من الإيالات ناقصي التجربة مما يطعن في مقدرتهم على تولى شؤون الملك <sup>(١)</sup> .

### صفات الملك :

يجب أن يتحلى الملك بالأخلاق الفاضلة ، ويعمل على إعلاء شأن الدين ، ويبقى بالعهد ، ويتجه إلى الخير ، ويعدل بين الناس ، ويجب عليه أن يكون سخيًا بعيداً عن الحرص والطمع ، لا يخشى الحق ، ولا يخيف الرعية ، رحيمًا ، معينا للفقراء من الفلاحين فيهمم ما يحتاجونه في زراعاتهم من آلات الزرع والأغنام ، مشجعاً على إنشاء المؤسسات الخيرية العامة <sup>(٢)</sup> .

ومن كان هذا شأنه من الملوك وجبت إطاعته لأن إطاعة الملك العادل المستقيم أمر من الأمور المذهبية . ويقصد زردشت بالملوك الذين تلزم إطاعتهم أولئك الملوك الذين يسلكون في ملكهم سبيل الخير والمصلحة العامة . ومن واجب الناس جميعاً أن يتوجهوا بالدعاء والشكر للملك العادل لأن مثل هذا الملك يستطيع أن ينقذ الأمة والمملكة من مخالب الشياطين ، ومن القحط والخراب . ومن بين الأدعية الزردشتية التي كررتها الأفسنا الدعاء للملك الصالح . ويقوم الزردشتيون من قديم الزمان حتى اليوم بالدعاء للملك بين أدعيتهم اليومية . وكانوا يعدون يوم مولد الملك عيداً من الأعياد القومية العظيمة <sup>(٣)</sup> .

(١) كريستنسن : ص ٦٢

(٢) أخلاق إيران باستان : ص ٣٧

(٣) نفس المصدر : ص ٣٦

وإلى جانب الصفات الخلقية والروحية التي يتصف بها الملك أضيفت الصفات الجسمية . فكان يشترط فيمن يتولى الملك أن يكون سليم الجسم كامل الحلقة لا تشوبه من هذه الناحية شائبة . ومن ذلك مثلا أن كسرى أنوشيروان لم يكن أكبر أبناء قباد ولكنه اختير للملك بعد أبيه رغم أن جم بن قباد كان محبوبا من الناس خليقا أن يقوم بأمر الملك لولا ما كان به من عور .

وما اضطعته الملوك للعناية بأجسام أبنائهم وعقولهم وأرواحهم اتخاذ المدرسين الذين يدرّبونهم على الفروسية وأساليب القتال، والطرّد والصيد واتخاذ المرّيين الحكّماء الذين يصقلون عقولهم ويهذبون نفوسهم كما كانوا يعنون باختيار ندمائهم وجلسائهم من بين العلماء والأذكياء وأهل الصلاح .

### مراسم توليهم الملك :

كان الملك إذا تولى الملك جلس على التخت واعتصب بالتاج وأذن للناس إذا عا ما فيدخلون عليه ، فيخطبهم خطبة عامة يشرح فيها سياسته ويعدّم بشقّى الوعود ويدعوهم إلى التزام الطاعة والولاء ، وينذر العاصين والمفسدين . ولما تولى بهرام جور (گور) الملك <sup>(١)</sup> استقبل الناس على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم سبعة أيام ، وكان طيلة هذه الأيام السبعة ينصح ويعظ ، ويعد وينذر ، ويمنّى ويهدد . فلما جاء اليوم الثامن دعا إليه الكاتب وأمره أن يوجه كتابا إلى كل كبير وأمير في كل مقاطعة وإقليم يخبرهم باعتلاء بهرام العرش ويحث اليهم بنصائحه وتوجيهاته <sup>(٢)</sup> . وحين ارتقى كسرى أنوشيروان العرش خطب الناس

(١) ٤٢٠ - ٤٣٨ م

(٢) الشاهنامه : ص ٢١١٦ ج ٧

خطبة طويلة مملأها بالعظات والنصائح حتى إذا فرغ من القائها كان الخلق كلهم في دهش من روعة مقالته وهبوا من أماكنهم يهتفون له ويثنون عليه<sup>(١)</sup>. وكذلك كان دأبهم إذا تولوا الملك جمعوا الناس وخطبوا فيهم . فكانت خطبهم تلك أشبه بما نسميه في وقتنا الحاضر بخطب العرش . ويحدثنا ابن عبد ربه عن أردشير بن يزدرج لما استوثق له الأمر فيقول أنه جمع الناس وخطبهم خطبة حضم فيها على الآلفة والطاعة وحذرهم المعصية ومفارقة الجماعة وصنف لهم الناس أربعة أصناف<sup>(٢)</sup> . ولما فرغ أردشير من حديثه خروا له سجداً وتكلم متكلمهم فأخذ يدعو له بالنصر والتأييد ويثنى عليه بما يجب في مثل هذا المقام<sup>(٣)</sup> . وكانوا في مثل هذه الاحتفالات يعدون العرش للملك ، ويلقون فوقه التاج ، ويصفون كراسي الذهب حوله وفق نظام معين .

#### الآداب والعمادات المتصلة بالملوك :

كان من عاداتهم إذا جلس الملك على العرش أول توليه أن يدخلوا عليه لتحيته والدعاء له . وكانوا في هذه المناسبة يثرون عليه الجواهر والشارات المختلفة من ذهب وفضة تحية له . وعندما رفعوا سابور ذا الأكتاف إلى العرش وعلقوا فوقه تاج الملك أخذوا يثرون عليه الذهب والدرهم<sup>(٤)</sup> .

(١) الشاهنامه : ص ٢٣١١ ج ٨

(٢) لعل المقصود من هذه العبارة أنه يبين لهم الطبقات الأربع التي يتألف منها المجتمع .

(٣) العقد الفريد : ص ١٣٢ ج ٢ ط لجنة التأليف ١٩٤٠ م

(٤) الشاهنامه : ص ٢٠٢٨ ج ٧

وكذلك كانوا يثرون هذا النثار إذا قاموا على الملك . وفي إحدى حروب كسرى أنو شيروان مع قيصر ملك الروم طلب هذا الأخير الصلح ، فأوفد إلى أنو شيروان وفداً يعقد الصلح مؤلفاً من أربعين فيلسوفاً من فلاسفة الروم يحمل كل واحد منهم ثلاثين ألف دينار لينثروها في حضرة كسرى (١) .

وكذلك كان يفعل خاقان الترك فإنه أوفد إلى كسرى وفداً يطلب أن يزوجه إحدى بناته ليتق بذلك غزوه لبلاده وهجماته ، وجيز الوفد بثلاثين ألف دينار برسم النثار .

وكان رسل كسرى إلى غيره من الملوك يفعلون ذلك أيضاً . وعند ما أرسل پرويز رسله إلى قيصر الروم ليستعين به في حربه ضد بهرام چوبين زودهم بالجواهر الثمينة فلما أدخلوا عنده دعوا له وشروا تلك الجواهر عند عرشه (٢) .

وكان للدخول على الملك والانصراف من حضرته آداب تتبع . فإذا كان الداخل من الأشراف والطبقة العالية سلم الملك عليه قائماً فإذا استدناه فعليه أن يقرب منه ويكب على أطرافه يقبلها ثم يعتدل واقفاً ويأخذ مكانه المخصص له في حضرة الملك ، ويظل واقفاً إلى أن يشير إليه بالعود . أما إذا كان الداخل من الطبقة الوسطى فعليه إذا استدناه الملك أن يدنو خطى ثلاثاً أو نحوها ثم يقف فإذا استدناه الملك بعد ذلك دنا بالقدر الذي دنا به أولاً . وإذا كان الداخل على الملك مساوياً له في المكانة فعليه أن يقوم له وأن يتقدم إليه لاستقباله ويعانقه ويأخذ بيده حتى يجلسه في مجلسه . (٣)

(١) الشاهنامه : ص ٢٥٤٩ ج ٨

(٢) الشاهنامه : ص ٢٧٤٣ ج ٩

(٣) التاج : ص ٨

وقد بزيد الملوك على هذا فيخرجون لاستقبال القادم إذا كان رفع المنزلة كما فعل سياوش عند ما وفد عليه كرسيز من قبل أخيه افراسياب . وكان سياوش قد أقام في بلاد التوران وتزوج ابنة افراسياب . ورأى افراسياب أن يوفد أخاه كرسيز ليطمئن عليها ويحمل اليها الهدايا . ولما بلغ سياوش خبر قدوم كرسيز ركب في جنده ورجاله وخرج لاستقباله وصحبه حتى دخل معه القصر .<sup>(١)</sup> وقد يوفد الملك من ينوب عنه في استقبال القادم . ومن ذلك أن كيخسرو لما تولى الملك وجلس على العرش توجه إلى تهشته رستم وأبوه دستان وابنه فرامرز . ولما نهي إلى علم كيخسرو نبأ قدومهم سر بذلك وأوفد اليهم طوس وگودرز وگيو فاستقبلوهم على مسيرة يومين وعادوا معهم إلى حضرة الملك .<sup>(٢)</sup>

وكان من آداب الدخول على الملك أن يقبل الداخل الأرض ويضع الجبهة على التراب كما فعل زال عندما مثل بين يدي منوچهر .<sup>(٣)</sup> وحين دخل سياوش على أبيه كيكاوس وهو جالس على عرشه خر إلى الأرض وبقي ساجدا حتى أشار إليه أبوه فاعتدل .<sup>(٤)</sup> أما إذا كان الداخل من العوام فعليه بعد أن يعتدل أن يقعد على ركبته فوق الأرض . ولم يكن الملوك يفعلون هذا مع غير العوام . ولما أراد كرسيز أن يوغر صدر أخيه افراسياب على سياوش حقدًا منه وحسدًا ادعى أنه آخر لقائه ثلاثة أيام بعد وصوله إليها

- 
- |     |           |         |     |
|-----|-----------|---------|-----|
| (١) | الشاهنامه | : ص ٦٣٠ | ج ٣ |
| (٢) | الشاهنامه | : ص ٧٦٧ | ج ٣ |
| (٣) | الشاهنامه | : ص ٢٠٦ | ج ١ |
| (٤) | الشاهنامه | : ص ٥٢٩ | ج ٣ |

وأنه عندما دخل عليه أقعده على ركبته فنارت نائرة افراسياب لهذه الإهانة التي لحقت أخاه ورسوله كرسوز . (١)

\* \* \*

وكان للبلوك علامات إذا أرادوا أن ينصرف من في حضرتهم فإذا تنامب الملك أو القى المروحة أو مد رجله أو تمطى أو اتكأ وجب على الحاضرين أن ينصرفوا . وكان أردشير بن بابك يتمطى فيفهم زواره وينصرفون . وكان گشناسب إذا ذلك عينيه خرج من عنده . وكان يزددجرد الأثيم يعلن إلى ضيوفه أن الليل قد مضى « شب بشد » ، فينصرفون . وكان بهرام جور إذا قال « خرم خفتار » قام سماره . وكان قباد يرفع رأسه إلى السماء . وكان سابور يقول « حسبك يا إنسان » . وكان أنوشيروان يقول لزواره قرت أعينكم . (٢)

\* \* \*

وكان من الآداب التي يجب أن يراها مجالسوا الملك أن يخفضوا من أصواتهم فإن خفض الصوت في حضرة الملك أدل على مهابته وأبلغ في الإبانة عن هيئته . وقد أدب الله أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام بهذا الأدب فنهأهم أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي « بأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون » . ثم أثنى على من غض صوته بحضرة الرسول فقال « إن الذين

(١) الشاهنامه : ص ٦٣٧ ج ٣

(٢) التاج : ص ١١٨

يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى .

وكان التزام الآداب المروعة في مجلس الملوك أمرا مفروضا على الحاضرين سواء حضر الملوك المجلس أم لم يحضروه . وكانوا إذا غابوا عن المجلس اتخذوا لهم عيونا يراقبون حركات الجالسين وألفاظهم وإشاراتهم فإن كان سلوك الجالس هو نفس السلوك الذي يسلكه في حضرة الملك سمى ذا وجه وكان عند الملك من المقرين . وإن كان سلوكه مخالفا لما يكون منه في حضرة الملك سمى ذا وجهين وكان عنده من المبغضين .<sup>(١)</sup>

\* \* \*

وكان ملوك الفرس لشعورهم بامتيازهم على سائر الناس ، ولشعورهم بأنهم خصوا دون سواهم من البشر بحق الملك المستمد من الآلهة يحبسون أن ينفردوا بحملة أشياء لا يشركهم فيها ندمائهم أو جلسائهم ليكون هذا دليلا على ارتفاع منزلتهم ، فإذا تطيب الملك مثلا وجب على خاصته ألا يقربوا الطيب لينفرد الملك بالتطيب . ويذكر صاحب التاج أن أول الأمور بأخلاق الملك - إذا أمكنه التفرد بالماء والهواء - أن لا يشرك فيها أحدا فإن البهاء والعز والأيهة في التفرد . ألا ترى أن الأمم الماضية من الملوك لم يكن شيء أحب إليهم من أن يفعلوا شيئا تعجز عنه الرعية أو يتزوا بزى ينهون الرعية عن مثله . فن ذلك أردشير بن بابك ، وكان أنبل ملوك ساسان ، كان إذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد في المملكة على رأسه قضيب ريجان متشبها به ،

وكان إذا ركب في لبسة لم ير على أحد مثلها ، وإذا تختم بخاتم فحرام على أهل المملكة أن يتختموا بمثل ذلك القص وإن بعد في التشابه . وهذه من فضائل الملوك ، وطاعة أهل المملكة أن تتحاشى أكثر زى الملك وأكثر أحواله وشيمه (١) .

وكان ملوك الأعاجم إذا احتجموا منعوا الناس من الحجامة في نفس اليوم ويقولون في ذلك « إذا أراق الملك دمه فليس لأحد أن يريق دمه في ذلك اليوم حتى يساوى الملك في فعله بل على الخاصة والعامة الفحص عن أمر الملك والتشاغل بطلب سلامته وظهور عافيته وكيف وجد عاقبة ما يعالج به » (٢) . وكانوا يرون أن من فعل ذلك في نفس اليوم فقد اجتراً على الملك واستهان به لأنه أراد أن يشركه في فعله ، ومن أراد أن يشرك الملك فقد عصى وفارق الشريعة . ويروى صاحب التاج عن كسرى أنوشيروان أنه كان يحتجم في يوم السبت . وكان المنادى ينادى كل سبت « يا أهل الطاعة ليكن منكم ترك الحجامة في هذا اليوم على ذكر وباحجامون اجعلوا هذا اليوم لنفسائكم وغسل ثيابكم » . وكذلك كان يفعل في يوم فصد العرق وأخذ الدواء (٣) .

وكان من الآداب التي تفرض على مجالس الملك أنه إذا عطس لا يشمتونه استعلاء منه وترفعاً . وإذا دعا لم يؤمن على دعائه لأن دعاه في غير حاجة إلى تأمينهم . وكانت ملوك الأعاجم تقول « حقيق على الملك الصالح أن يدعو

(١) التاج : ص ٤٦

(٢) نفس المصدر : ص ٩٠

(٣) نفس المصدر والصفحة :

للعناية الصالحة وليس بتحقيق الرعاية الصالحة أن تدعو للملك الصالح لأن أقرب الدعاء إلى الله دعاء الملك الصالح . (١) وفي هذا ما يرينا كيف كان ملوك الفرس القدماء يرفعون أنفسهم فوق مراتب الناس وكيف كانت الصلاة بينهم وبين الله متينة قوية فلا يحتاجون إلى دعاء الرعاية لهم وإن احتاجت الرعاية إلى دعائهم لها ، وكيف كانوا يعتبرون أن أقرب الدعاء إلى الله دعاء الملك الصالح .

\* \* \*

وكان من الآداب المتبعة في حضرة الملك ألا يبدأ أحد من الحاضرين بالكلام . والملك هو الذي يبتدىء الكلام ، فإذا أخطأ أحد الحاضرين وابتدأ نُبِهَ إلى ذلك فإن عاد إلى هذا الخطأ أسقط الموكل بأمر الدار مرتبته فلم يظأ بساط الملك .

\* \* \*

وبما كان يستحب في بطانة الملك القناعة والتعفف . وكان شيرويه بن ابرويز يقول « إنما تعذر البطانة برفع حوائجها إلى الملوك عند ضيقة تكون أو عند جفوة تنالهم من ملوكهم أو عند موت يحدث لهم أو عند تنابح أزمة فإذا كان ذلك فعلى الملك تعهد ذلك من خاصته حتى يصلح لهم أمورهم ويسد خللتهم . فإذا كانوا من الكفاية في أقصى حدودها ومن خفض العيش في أرفع خصائصه ومن ذات اليد وإدرار العطايا في أتم صفاتها ثم فتح أحد فاه بطلب ما فوق هذه الدرجة فالذي حداه على ذلك الشره والمنافسة . ومن ظهرت هاتان منه

كان جديراً أن تنزع كفايته من يده وتصير في يد غيره وينقل إلى الطبقة  
الحسنة فيلزم أذنان البقر وحرارة الأرض . (١)

\* \* \*

ومما يلزم جليس الملك وملازمه أن يتأدب به في حضرته حسن الإصغاء  
ومن علامات حسن الإصغاء أنه إذا سمع حديثاً من الملك وكان يعرفه من قبل  
تظاهر بالجهل به وأنه يسمعه للمرة الأولى وأبدى السرور لما ناله من الفائدة  
بهذا الحديث وإقبال الملك عليه . (٢)

ويصور لنا صاحب التاج (٣) ما تكون عليه حاشية الملك من الترتيب  
والنظام والأدب إذا خرجوا منه فيقول : وفيما يحكي عن أنوشيروان (٤) أنه  
بينما هو في مسيره له ، وكان لا يسايره أحد من الخلق مبتدئاً ، وأهل المراتب  
العالية خلف ظهره على مراتبهم فإن التفت يمينا دنا منه صاحب الحرس وإن  
التفت شمالاً دنا منه الموبد فأمره بإحضار من أراد مسايرته . فالتفت في مسيره  
هذا يمينا فدنا منه صاحب الحرس فقال فلان . (٥) فأحضره فقال حدثني عن  
أردشير بن بابك حين واقع ملك الخزر . وكان الرجل قد سمع من أنوشيروان

(١) التاج : ص ٥٠

(٢) نفس المصدر : ص ٥٣

(٣) والسعودي أيضاً في المروج : ص ٢١٩ ج ٢

(٤) السعودي ينسب القصة إلى شيرويه بن ابرويز .

(٥) اسمه في الطبعة المصرية للمروج شداد بن جرمه وفي الطبعة الأوربية

ج ٦ ص ١٢٤ - ١٢٦ بندار بن خرشيد . ولا شك أن الاسم الوارد في الطبعة المصرية  
حرف وتشابه الحروف بين الاسمين قريب سهل هذا التحريف .

هذا الحديث مرة فاستعجم عليه وأوهمه أنه لا يعرفه فحدثه أنو شيروان بالحديث فأصغى الرجل اليه بجوارحه كلها وكان مسيرهما على شاطئ نهر وترك الرجل - لإقباله على حديثه - النظر إلى مواطيه حافر دابته فزلت إحدى قوائم الدابة فالت بالرجل إلى النهر فوق في الماء ونفرت دابته فابتدرها حاشية الملك وغلباهه فأزالوها عن الرجل وجذبوه فحملوه على أيديهم حتى أخرجوه فاعتم لذلك أنو شيروان ونزل عن دابته وبسط له هناك فأقام حتى تغدى في موضعه ذلك . ودعا بثياب من خاص كسوته فألقيت على الرجل وأكل معه وقال له : كيف أغفلت النظر إلى مواطيه حافر دابتك . قال أيها الملك إن الله إذا أنعم على عبد بنعمة قابلها بمحنة وعارضها ببليّة وعلى قدر النعم تكون المحن وإن الله أنعم على بنعمتين عظيمتين هما : إقبال الملك على وجهه من بين هذا السواد الأعظم ، وهذه الفائدة وتدير هذه الحرب التي حدث فيها عن أردشير حتى لو رحلت إلى حيث تطلع الشمس أو تغرب كنت فيه رابحاً . فلما اجتمعت نعمتان جالستان في وقت واحد قابلتهما هذه المحنة . ولولا أساورة الملك وخدمه وحسن جده كنت بمعرض هلكة وعلى ذلك فلو غرقت حتى أذهب عن جديد الأرض كان قد أبقي لي الملك ذكراً متلداً متلداً ما بقي الضياء والظلام فسر الملك وقال : ما ظننتك بهذا المقدار الذي أنت فيه فحشا لله جوهرأ ودرأ رائعاً ثميناً واستبطنه حتى غلب على أكثر أمره (١) .

\* \* \*

وكان من عادات الفرس أن يقيموا باسم الملك فيقولون كلما أقدموا على

أمر هام تفعل هذا بسعادة الملك وباسمه . وكان الفارسي إذا أهمل التيمن باسم الملك وبسعادته عد ذلك منه اهمالا في حق الملك وضعفا في الإيمان به ورغبة في الخروج على سلطانه . واذا بلغ الملك ذلك عن كبير من كبرائه أو قائد من قواده أنزل عليه غضبه كما فعل مع بهرام چويين فإنه لما خرج لمحاربة ملك الترك من قبل الملك هرمزد عاهد نفسه أن يجتز بسيفه رأس ملك الترك ويرميه بين عسكريه ولكنه نسي أن يفتح هذا العهد باسم الملك ويصدر هذا القسم بسعادته . وعرف صاحب الخبر ذلك فأدرك أن بهرام متى ظفر على عدوه انقلب على ملكه . وأنهى ذلك إلى هرمزد فأهمه الأمر وبعث إلى بهرام رسولا يطلب اليه العودة لمباحثة الملك في أمر عرض له . ولكن بهرام اعتذر إلى الرسول عن العودة معه لأنهم كانوا يتطيرون إذا خرج المحارب للقاء عدوه ثم رجع قبل أن يلقاه <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وكان ملوك الفرس يتخذون من وقت الأكل فرصة لدراسة شخصية مؤاكلهم ، فإذا بدا على المؤاكل الشره والتهم أسقطوا قدره عندهم وحقروا شأنه . ويروى أن شابور ذا الاكتاف لما مات كبير موابذته رشحوا له شخصا آخر وصفوه بالعلم والأمانة والصلاح فأراد شابور أن يستوثق من صحة ما بلغه عنه قبل أن يعهد اليه بذلك المنصب الخطير فدعاه إلى مؤاكلته ولم يفتن الرجل إلى ما ينبغي أن يتحلى به مؤاكل الملك فأظهر الشره والنهم . ولما انتهى الأكل ورفعت المائدة قال له شابور : ودع وانصرف إلى بلدك فإن آباءنا وسلفنا من الملوك كانوا يقولون من شره بين يدي الملك إلى الطعام كان إلى

أموال الرعية والسوقة والوضعاء أشد شرها .<sup>(١)</sup>

وقد استن ملوك الفرس عادة عند تقديم موائد الطعام هي الزمزمة والامتناع عن الكلام فإذا اضطروا الى التعبير كان تعبیرهم اشارة تغنى عن الكلام وإيماء يدل على المقصود ويقال أن گیومرت أول من أمر بالسكوت عند الطعام .<sup>(٢)</sup> ثم انتشرت هذه العادة بينهم بعد ذلك . وكانوا يقولون : إن هذه الأطعمة بها حياة هذا العالم فينبغى للإنسان أن يجعل ذهنه في مطعمه ويشغل روحه وجوارحه فيه لأن تأخذ كل جارحة بقسطها من الطعام فيغتدى بها البدن والروح الحيوانية التى فى القلب والطبيعة التى فى الكبد اغتذاء تاماً وتقبله الطبيعة قبولاً جامعاً . ويذكر صاحب التاج أنهم قد ذكروا فى آيينهم فضائل كثيرة فى ترك الكلام على الطعام .<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

ومن عادة ملوك الفرس القدماء إذا أرادوا أن يستشيروا وزراءهم فى أمر من الأمور أن يكون ذلك على انفراد مع كل وزير على حدة . وكانوا يكرهون استشارتهم مجتمعين حتى لا يكون المنافسة بينهم دخل فيما يقترحون ويشيرون . وقد يبدى أحدهم رأياً صائباً يروق الملك فيكون ذلك مدعاة لأن يحسده زملاؤه ويغاروا منه فيدبروا الدسائس ضده . كما أن هناك من الأمور ما لا يحسن طرحه للنقاشه علناً حتى لا يذيع وينتشر . ولهذا الأسباب كانوا

(١) التاج : ص ١٦

(٢) الروح : ص ١٣٧

(٣) التاج : ص ١٩

يفضلون دعوة كل وزير على حدة ، دون أن يعلم الآخرون ، ليستشيروه فيما يريدون (١).

\* \* \*

وكان الرسل يلقون عناية كبيرة من الملوك واهتماماً بالغاً بشأنهم إذ أنهم ألسنتهم الناطقة وعيونهم الفاحصة في كل مكان يوجهون اليه . وعند ما يتجه رسول من الرسل إلى ملك الفرس يقوم حاكم الحدود بإبلاغ الخبر إلى الملك بمجرد أن يعبر هذا الرسول الحدود . وكان على حكام الولايات التي يمر بها هذا الرسول أن يكرموا وفادته ويهذبوا له المنازل اللائقة بسكناه . وحين يصل الرسول إلى قصر الملك يستقبله أحسن استقبال ويشرح معه في شتى الأحاديث فيستفهم منه عن رحلته وكيف كانت وعن قومه وبلاده ثم يدعوه إلى النزول في ضيافته في أحد القصور المعدة لذلك . ويبالغ في إكرامه أثناء إقامته ويشركه في مجالس أنه ويصحبه معه إلى متصيدته (٢).

وكان ملوك الفرس إذا أرادوا اختيار سفير لهم أو رسول امتحنوه امتحاناً دقيقاً قبل أن يثقوا به ويعهدوا اليه بمهمة السفارة . ومن ألوان هذا الامتحان الذي كانوا يتخذونه لمعرفة صلاحيتهم لهذه المهمة الخطيرة أنهم كانوا يوجهون الرسول أولاً إلى بعض خاصة الملك ورجال حاشيته وينفذون من يراقبه سرّاً في تأدية الرسالة التي عهد بها الملك اليه ، فإذا أدى الرسول الرسالة كما يلغى من الدقة والصدق والإبانة اطمأن الملك اليه واتخذ رسولاً له عند

(١) نهاية الأرب : ص ٧٣ ج ٦

(٢) الشاهنامه : ص ١٩٨٦ ج ٧

أعدائه وجعل عليه عيناً يراقبه ويحفظ ما يقوله ويرفع عنه تقريراً الى الملك فإذا جاء التقرير عنه مرضياً ، وأنه أدى الرسالة كما ينبغي أن تؤدي وأنه قام بالسفارة على خير ما يقوم بها السفير وثق به الملك وجعله بعد هذا رسولا له الى كافة الملوك . وينقل صاحب الساج عن أردشير بن بابك أنه كان يقول : على الملك اذا وجه رسولا الى ملك آخر أن يردفه بآخر وإن وجه رسولين أتبعهما باثنين وإن أمكنه ألا يجمع بين رسولين في طريق ولا ملاقة ولا يتعارفان فيتواطأ فعل ثم عليه إن أتاه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك في خير أو شر أن لا يحدث في ذلك خيراً أو شراً حتى يكتب اليه مع رسول آخر يحكي له ما في كتابه الأول حرفاً حرفاً ومعنى معنى فإن الرسول ربما حرم بعض ما أمل فافعل الكتب وحرص المرسل على المرسل اليه فأغراه به وكذب عليه <sup>(١)</sup> .

وكان من علامات إكرام الرسول عندهم أن ينزلوه في منزل قريب من موضع الملك وإلا كان ذلك اهانة واحتقاراً . وعند ما مات ملك الروم أرسل كسرى أنوشيروان الى ابنه الذي تولى الملك بعده يعزيه . وكان رسول كسرى أحد كبار دولته وقد حمل له رسالة ملأها بالموعة الحسنة والنصح . ولكن قيصر الجديد لم يعن باستقبال رسول كسرى ، وأنزله في مكان بعيد عنه . ولما عاد الرسول الى كسرى وأخبره بكل ما كان ثارت ثأرته وعزم على مهاجمة الروم وأقسم أن يعاقبهم أشد عقاب <sup>(٢)</sup> .

(١) التاج : ص ١٢٢

(٢) الشاهنامه : ص ٢٥٤٢ ج ٨

وكان على الرسول الى جانب ما يعهد به اليه من المهام الظاهرة أن يقوم بمهمة أخرى خفية قد تكون أخطر شأنًا من مهمته الظاهرة . وعند ما أوفد هر مزد رسوله خراد بن برزین الى خاقان الترك أوصاه أن يراقب جنده وأن يحاول معرفة عددهم ومقدار استعدادهم (١) .

### اللهو والترف وما يتصل بهما :

في مثل هذا الملك المطلق الذي عرفه الإيرانيون يكون الملك مطلق التصرف في مملكته وفي شعبيها وفي كل ما يتصل بشئونها . ومن البديهي أن يعيش الملوك في كافة الأزمنة والبلاد عيشة ترف ولكن الملك المطلق التصرف الذي لا يسأل عما يأتي ويدع يكون أشد من غيره انغماساً في الترف وطلباً للهو . وما يشجع هذا النوع من الملوك على الانغماس في اللهو والترف أن الأموال تجري في أيديهم بغير حساب وليس للشعب إزاءهم أى رقابة على هذه الأموال . فكانت أموال المملكة كلها تتركز في أيديهم إن شاءوا أنفقوها على ملاذم ولهوهم وإن شاءوا أنفقوها على المشروعات العامة والأعمال الجدية .

وكان دخل الملك الخاص يتكون من مصادر مختلفة أهمها الخراج . وكانت حصيلة الخراج تدخل جيب الملك الخاص كما تدل على ذلك نصوص كثيرة . وقد كون خسرو پرويز معظم كنوزه بما كان يأتيه من الخراج . ومن مصادر الدخل الشخصي للملك الهدايا التي تقدم اليه في المناسبات المختلفة من الملوك أو كبار رجال الدولة ، وما يخصه من الغنائم التي تظفر بها جيوشه فلا غرو إذاً أن

نرى الشاهنامة مليئة بألوان الحياة المخرفة في الترف والبذخ التي كان يحياها ملوك الإيرانيين في مختلف العصور .

ومن ألمع صور الترف صورة الحياة التي كان يحياها خسرو پرويز أو كسرى ابرويز كما يرد ذكره في المصادر العربية . وكان لكسرى هذا تخت آية في العجب هو المعروف بتخت طاقدیس . وقد صنع هذا التخت لأول مرة في عهد افریدون وظل الملوك يتوارثونه من بعده . ولا نجد في وصف هذا التخت خيراً من ترجمة البنداری التي يقول فيها : « وكان كلما ملك ملك زاد في هذا التخت شيئاً فلما انتهت النوبة الى كى خسرو زاد في طوله كثيراً . وبعده زاد فيه لهراسب . ولما ملك گشتاسب قال لجاماسب الحكيم : اعمل في هذا التخت شيئاً يبق ذكره أبد الدهر ويخبر الخلق بملكك وحذقك . فنقش جاماسب عليه البروج الاثني عشر والكواكب السبعة السيارة وغيرها من الساعات وما يتعلق بالنجوم . وزاد أيضاً فيه من بعده إلى أن انتهت النوبة الى الاسكندر فخالف الكل ونقضه وفرق أجزاءه ومزقه كل ممزق ، ففترقت ألواحها في الأبدى السالبة وكانوا يحفظون بها . فلما ملك أردشير تتبع فوجد من ذلك التخت ألواحاً مكسرة فجمعها وأعاد منه رسماً . ولما انتهت النوبة الى پرويز حشر صناع جميع بلاده حتى اجتمع عنده ألف ومائة وعشرون استاذاً كانوا يعرفون وضع ذلك التخت على ما وضعه جاماسب . وكان مع كل أستاذ ثلاثون تلميذاً فاشتغلوا بعمله سنتين . وجعلوا طوله مائة وسبعين ذراعاً وعرضه مائة وعشرين ذراعاً وسيمكه مائة وخمسين ذراعاً بالذراع الشاهي ومقداره ثلاثة أذرع بذراع اليد . وكان من اثني عشر لوحاً وفيه مائة ألف وسبعون ألف ضبة من ذهب مرصع ومسامير الضبات ، من الفضة وزن كل مسمار مائة وستة وستون

مثقالا . وكان اذا حلت الشمس في برج الحمل يكون وجه هذا التخت الى البساتين وظهره الى الصحراء . واذا حلت الشمس الاسد كان ظهره اليها ووجهه الى البساتين وعند فصل الخريف وإيناع الثار يكون وجهه الى البساتين حتى تصل روائح الفواكه الطيبة الى مشام القاعدين عليه . وفي فصل الشتاء تشد طاقاته بأزر الخز والحريز ويحضرين يدي الحاضرين الف كرة محماة من الذهب والفضة وزن كل واحدة خمسمائة مثقال . وعملوا على التخت صور البروج والسيارة وأفلاكها ومنازل القمر ومقياس ساعات الليل والنهار حتى كأنما وضعت فيه السماء بما فيها . وكانت تلك التختوت بعضها من الذهب وبعضها من الفضة مرصعة بجواهر أصغرهما في وزن سبعين مثقالا وأكبرها في وزن سبعمائة مثقال وكان تحتها تخت يسمى « ميش سر » أي رأس الضأن وفوقه تخت آخر يسمى اللازوردى . والذي فوق هذا يسمى الفيروزجى . وكان يرتقى من كل واحد الى الذى فوقه بأربع درجات من ذهب . فكان رأس الضأن مجلس الدهاقنة والرعية ، واللازوردى مجلس الأمراء والقواد ، والفيروزجى مجلس الدستور والوزير ومن عند الدستور يرتقى إلى مجلس برويز . (١) ومن بين الذين وصفوا هذا التخت الشعالي الذى يقول عنه إنه سرير من العاج والساج وصفائح ودرابزيناته من الفضة والذهب وطوله مائة وثمانون ذراعا وعرضه مائة وثلاثون ذراعا وارتفاعه خمس عشرة ذراعا . وفي مراقبه سرر من الشيز والآبنوس مضببة بالذهب وعليه طاق من الذهب واللازورد فيه صور الفلك والكواكب والبروج والأقاليم السبعة وصور الملوك وهيئاتهم في

الجالس والحروب والمتصيدات وفيه ما يدل على معرفة ساعات النهار وله أربعة بسط على مقداره من الديباج النسج المرصع بالالوان والى واقبت يختص كل واحد منها بما يشاكله ويوافقه من فصول السنة .<sup>(١)</sup>

وكسرى أبرويز هذا هو الذى ينسب اليه أغلب المؤرخين أنه بنى ايوان المدائن المعروف . وكان يخلب الالباب من فرط ضخامته وعظمته .

ومن مظاهر ترف كسرى أبرويز تلك السجادة المعروفة باسم بهار كسرى ويسمى بها العرب القطيف . وكان طول هذا القطيف سبعين ذراعا وعرضه ستين ذراعا . وكان هذا القطيف منسوجا من نسيج الذهب . وقد نقشت عليه أنواع الورود والرياحين والأشجار والثمار وجعلت الخيلة فيه من زمرد ، والنهر من لؤلؤ ، والأشجار والثمار والورود والرياحين كلها من الماس والياقوت المتألل . فكانوا إذا ما أقبل الشتاء وذبلت الورود ويبست الرياحين وعريت الأشجار من الأوراق والثمار فرشوا هذا القطيف وجعلوا عليه مجلس شراهم فكان يخلل اليهم كأنهم يشربون فى روضة معشبة وينعمون بالرييح وجماله فيما يحيط بهم من الورود والرياحين . وقد استولى العرب على هذا القطيف وأرسلوه إلى عمر الذى تحير فى قسمته ، وأخيرا قطعه بين الفاتحين فأصاب عليها قطعة منه باعها بعشرين ألفا رغم أنها لم تكن أجود قطع القطيف .<sup>(٢)</sup>

وحين نحاول أن نعدد مظاهر الترف الأخرى فى حياة كسرى أبرويز

(١) الغرب : ص ٦٩٩

(٢) ابن الاثير : ص ٢١٩ ج ٢

لأنحصيها ويكنى أن تشير إلى مذكره الفردوسي بعنوان وقول في عظمة خسرو  
برويژه . (١)

\* \* \*

وكان ملوك الفرس القدماء يلبسون الملابس الأرجوانية الطويلة ويضعون  
على رؤوسهم تيجانا عالية . كما كان الملك يتحلى أيضاً بقرط ويضع في عضده  
سوارا وسلسلة ويلبس منطقة . وكانت كلها تصنع من الذهب . وفي النقوش  
الصخرية يتضح أن الملك كان يطيل لحيته ويضفر شعره ، ويجلس على عرش  
مزين وفي يده عصا ، ويقف خلفه خادم بمسك مروحة . (٢)

\* \* \*

وكانت أهم وسائل اللهو عند الملوك الشراب والفتاء والخروج للصيد .  
وممارسة بعض الرياضات .

وكانوا يحتفلون بمجالس الشراب احتفالا عظيما فيقرشونها بالدياج والحرير  
ويطيبونها بالروائح العلية ويزينونها بأنواع الورود والرياحين فإذا دارت  
عليهم السكؤوس شربوها على اسم الملك . وعندما انتصر اسفنديار على ارجاسپ  
عاد إلى أبيه گشتاسپ فتلقياه بالفرح والسرور وأمر فأعدوا مجلس الأئس  
والطرب ابتهاجا بعودة ابنه ظافرا ، ودارت الإقداح فكان الابن يشرب على  
اسم أبيه وكان الاب يشرب على اسم ابنه . (٣)

(١) الشاهنامه : ص ٢٨٩١ ج ٩

(٢) تاريخ ايران - برسي سايكس : ص ٢٢٦ ج ١ الترجمة الفارسية لفخر گيلاني

(٣) الشاهنامه : ص ١٦٢٩ ج ٦

وكانت مجالس الشراب في العهد الساساني تختلف باختلاف طبقة الشاربين .  
فإن كانوا من الأغنياء وأهل الثروة لبسوا لهذه المجالس زيا خاصا وتوجوا  
رءوسهم بأكاليل الورد والريحان . وازدان مجلسهم بآلات الموسيقى والقيان  
المغنيات . أما الفقراء فكان مجلسهم يخلو من ذلك فلا غناء ولا موسيقى . وقد  
أحب بهرام جور أن ينعم الفقراء في مجالسهم بما ينعم به الأغنياء ، ولم يكن  
المغنون والمغنيات من الكثرة بحيث يستطيع استخدامهم في مجالس الأغنياء  
والفقراء على السواء ، ولذلك كتب إلى شنكل ملك الهند يطلب منه إيفاد ألفين  
من المغنين والمغنيات . فلما وصلوا فرقمهم في البلاد والقرى ، وأقطعهم الأراضي  
ليفعلوا ويزرعوا ويغنوا الفقراء بغير أجر . (١)

\* \* \*

وكان ملوك الساسانيين يهتمون باختيار ندمائهم . وقد رتبوهم ثلاث طبقات  
فكانت الأساورة وأبناء الملوك في الطبقة الأولى وكان مجلسهم على عین الملك  
على بعد عشرة أذرع من الستارة . وكانت بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من  
أهل الشرف والعلم يكونون الطبقة الثانية . ومجلس هؤلاء على بعد عشرة أذرع  
من الطبقة الأولى . ثم تأتي الطبقة الثالثة وهي طبقة المضحكين وأهل الهزل ،  
ويبعد مجلسها عن الطبقة الثانية عشرة أذرع كذلك . ومع أن هذه الطبقة هي آخر  
الطبقات شأننا إلا أنهم مع ذلك كانوا يختارون أفرادها اختيارا دقيقا فليس  
بينهم خسيس الأصل ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول أو القصير ولا فاسد

الخلق ولا مجهول الأبوين . (١)

ويذكر المسعودي أن ملوك الأعاجم من عهد أردشير كانت تحتجب عن الندماء فكان الملك يتخذ مجلسه من وراء ستارة، وبينه وبينها عشرة أذرع. وبين هذه الستارة وبين أولى الطبقات عشرة أذرع أخرى فتكون المسافة بين مجلس الملك وبين مجلس الطبقة الأولى من الندماء عشرين ذراعاً، وكان يوكل بالستارة رجل من أبناء الأساورة يقال له « خرم باش » أى كن سعيداً . وكان الندماء إذا أخذوا مجالسهم حسب طبقاتهم جلسوا صامتين ساكنين حتى يطلع الموكل بالستارة فيقول غن أنت يا فلان كذا وكذا واضرب أنت يا فلان كذا وكذا من طريقة كذا وكذا من طرائق الموسيقى . وكان الموكل بالستارة يصدر هذه الأوامر إلى المغنين والموسيقين بناء على رغبة الملك بطبيعة الحال . (٢)

وكانوا يقسمون أهل الفن كذلك إلى طبقات ثلاث فالطبقة الأولى هي طبقة أهل الحذاقة بالموسيقىات والأغاني والطبقة الثانية هي الطبقة التي تليها في المنزلة الفنية والإجادة . والطبقة الثالثة هي طبقة أصحاب الونج (الصنج) والمعازف والطنابير . وكان أفراد كل طبقة من هذه الطبقات يلزمون ولا يتعدونها إلى أن جاء بهرام جور بن يزدجرد فلم يلتزم هذه الطبقات التزاماً دقيقاً فكان يرفع من أطربه إلى الطبقة الأولى ولو كان في أوضع الطبقات وكان يحط من قصر عن إطرابه إلى الطبقة الثانية وإن كان من أهل الطبقة الأولى . ولما ملك كسرى انوشيروان رد الأمر إلى ما كان عليه أيام أردشير .

- (١) التاج : ص ٢٤  
والمروج : ص ١٥١ ج ١  
(٢) والمروج : ص ١٥١ ج ١

وكان الندماء جميعا في مجلس الملك مها ترتفع درجاتهم أو تسفل يجلسون على نمط واحد من حيث السكون والخشوع والصمت التام .<sup>(١)</sup> وكانوا في مجالس شراهم وغنائهم يغنون بانتصاراتهم في الوقائع . وقد طلب بهرام چوبين إلى المغنين ان يغنوه في مجلس أنسه وطربه بقصة اسفنديار في هفتخوان . ومن أشهر المغنين في العهد الساساني بربد .

\* \* \*

وكان الصيد رياضة من أهم رياضات الملوك . وكانت أماكن الصيد المختارة الفراديس أو الحدائق الواسعة . وفي مثل هذه الحدائق يكون الصيد أيسر منه في الغابات وصيد الغابات يكون غالباً من الوحوش الكبيرة . وكان حمار الوحش من بين حيوانات الصيد المطلوبة كما كان صيد الصقور من أهم ما يصاد من الحيوانات حتى أنه لأهمية صيده جعل له بين ضباط البلاط ضابط خاص يسمى «قوشچی باشی»<sup>(٢)</sup> وكان الملك إذا خرج للصيد حمل معه الأموال والعطايا والمنح والهدايا، واصطحب معه من الوزراء والعلماء والحكام من يؤانسونه في سفره وينصحونه إذا استصحبهم ويشيرون عليه إذا استشارهم ، فضلا عن الفرسان والحراس والغلمان وغيرهم . وكانت قافلة الملك حين يخرج للصيد كأنها اكثرة عددها جيش صغير .

ومن أشهر رحلات الصيد في الشاهنامه رحلة دستان قرب كابل التي تعرف فيها بمهراب ملك كابل وعشق ابنته روزابه وانتهى الأمر بينها إلى الزواج .

(١) التاج : من ٢٥ وما بعدها  
(٢) سايكس : من ٦٩

وكانت ثمرته رستم . ورحلة رستم التي خرج فيها للصيد وأوغل في السير حتى وصل حدود توران . وكان صيده كثيراً في هذه الرحلة فشوى منه وأكل ونام ليستريح . وتصادف أن مر بعض التورانيين فرأوا فرسه الرخش وحيداً فأخذوه إلى بلدتهم سمنجان . ولما صحا رستم تتبع أثر فرسه حتى وصل تلك البلدة وهناك لقيه ملكها واستضافه عنده ليلة وصوله إلى أن يطلع الصباح . وفي تلك الليلة اتصلت به ابنة سمنجان وحملت منه ثم ولدت له ابنة سهراب . وقصه سهراب بن قصص الشاهنامة العنيفة وقد أشرنا إليها فيما سبق <sup>(١)</sup> . ومن رحلات الصيد البارزة في الشاهنامة رحلة ييژن التي التقى فيها أفراسياب وما جرت عليه هذه الرحلة من بلاء عظيم وقد مرت كذلك فيما مضى <sup>(٢)</sup> . ومن ملوك الساسانيين الذين اشتهروا في ميدان الصيد بهرام جور وكان يخرج معه إلى المتصيد ثلاثمائة فارس مع كل واحد منهم ثلاثون غلاماً . وكان غلمان بهرام الذين يخرجون معه لخدمته ثلاثمائة فضلاً عن الدواب المحملة بالأموال والجواهر والعطايا . ومن الطوائف التي كان يتألف منها موكبُهُ إذا خرج للصيد الفيالون ومعهم فيلتهم ، والبازدارية وهم حملة صقور الصيد ، والفهادون يسوقون فهودهم مقيدة بسلاسل الذهب . وكان هذا الموكب العظيم مصدر خير وبركة لأهالي القرى التي يمر بها لأنهم كانوا يقيمون الأسواق بالقرب من متصيد الملك ويبيعون بضائعهم لرجال الحاشية ، فتروج بذلك حالتهم المالية والتجارية . كما كانوا ينهزون فرصة مرور الملك بهم ليقدموا إليه هداياهم أو ليرفعوا شكواهم <sup>(٣)</sup> .

(١) راجع : ص ٦٩

(٢) راجع : ص ٦٧

(٣) الشاهنامة : ص ٢١٩٢ ج ٧

ومن مواكب الصيد العظيمة موكب خسرو پرويز الذي كان إذا خرج تبعه عدد كبير من الأتباع والحراس وحلة الرماح والسيوف . وكان عدد من يخرج معه من البازدارية سبعائة ، ومن الفهادين ثلاثمائة ، ومن الآساد والثور سبعين كما كان يخرج في موكبه المغنون والموسيقيون حتى يبلغ عددهم ألفاً . وكان يتقدم موكبه عدد من الغلمان والشبان يحملون الورود والرياحين ، والمجامر التي يشتعل فيها العود والعنبر حتى إذا هبت الريح حملت رائحتها إلى الملك . وكان يمشي طريق الموكب مائة سقاء يرشون الماء حتى لا يرتفع الغبار من الأرض<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

ومن رياضات الملوك الضرب بالصوالة . وقد ظهرت هذه اللعبة لأول مرة في عهد أردشير مؤسس الأسرة الساسانية<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

وكان هناك الشطرنج والموسيقى . ولم يكن مجال الموسيقى قاصراً على البلاط وحده . وقد رأينا أن الملوك كانوا يصحبون في أسفارهم الموسيقيين والمغنين .

\* \* \*

وفي العيدين الكبيرين التوروز والمهرجان ( مهرگان ) كان الكهنة يتوافدون على حضرة الملك ويقدمون هداياهم إليه . وكان كل واحد منهم يقدم ما يتفق مع حاله فرجال الحرب والفرسان يقدمون في العادة فرساً أو حربة

(١) الشاهنامه : ص ٢٨٧٠ ج ٩

(٢) سايكس : ص ٦٤٢

أو سيفاً . ويحمل الأغنياء إليه هدايا الذهب والفضة . وكان الحكام يتهنون فرصة هذين العيدين فيجمعون له بعض الأموال من أقاليهم بالإضافة إلى الخراج المقرر . وكان الشعراء والخطباء يعرضون عليه قصائدهم وخطبهم . وكانت نساء الملك يتباهين بما يقدمنه إليه من الهدايا في هذه المناسبات . وكان الملك يرد هذه الهدايا في مناسبات مختلفة . وكانت كل هدية يتقدم بها صاحبها تقيد في دفتر الحسابات بالبلاط فإذا أصاب أحد أصحاب هذه الهدايا أزمة مالية واحتاج إلى مساعدة نظروا إلى هذا الدفتر وأعطوه ضعف ثمن هديته . وكان بعض الملوك مثل أردشير بن بابك وبهرام جور وأنوشيروان يأمرؤن بإخراج ما في خزائهم من الثياب فتفرق في هذين العيدين على بطانة الملك وخاصته أولاً ثم على سائر الناس ثانياً . وكانوا يرون أنه لا يليق بالملك أن يحتزن ملابس الصيف إذا حل الشتاء أو يحتزن ملابس الشتاء إذا حل الصيف لأن ذلك من فعل العامة الذين يحرصون على اختزان ثيابهم من فصل إلى فصل .

• • •

وكما كان الملوك يقدمون الخلع والعطايا كانوا يمنحون الألقاب أيضاً . وكانت هذه الألقاب موضع فخر كبير لمن منحت إليهم . وكانت الألقاب والعطايا ومناصب البلاط أو الدولة من أروج وسائل المكافأة .

• • •

بقي بعد ذلك من مظاهر الترف وأسباب المتعة في قصور الملوك المرأة . وسيأتى الحديث عنها في الفصل الخاص بها فيما بعد .

## ١٣ — الحياة الاجتماعية في الشاهنامه

### النظام الطبقي :

كان الفرس من قديم يؤمنون بالنظام الطبقي ، فقسموا أفراد الشعب إلى طبقات . وكان على كل فرد أن يلزم الطبقة التي ينتمي إليها ولا يتعداها . وأقدم من عرف هذا النظام الطبقي في عهده الملك جمشيد . وكانت الطبقات في عهده أربعاً . وابن البلخي يذكر أن جمشيد قسم الناس إلى أربع طبقات : فالطبقة الأولى هي طبقة الأفراد الذين أوتوا العلم والمعرفة ووهبوا الفطنة ورجاحة العقل . وقد وزع التخصص فيما بينهم فأمر فريقاً منهم أن يتخصصوا في الدراسة الدينية ورعاية شئون الدين ، وكلف فريقاً أن يتعلم الحكمة ليرجع اليهم في أمور الدنيا ويستأنس برأيهم ، وأمر البعض أن يتعلم الكتابة والحساب حتى يعهد اليهم في ترتيب الملك وضبط الأموال وتنظيم المعاملات . وكانت الطبقة الثانية طبقة الشجعان وأصحاب القوة . ومهمة أفراد هذه الطبقة التفرغ لشئون الحرب واجادة فنونها . وعليهم المعول في حماية البلاد من كل اعتداء . والطبقة الثالثة كانت طبقة الحرف كالبقال والقصاب والبناء والزراع . وكانت الطبقة الرابعة تؤلف من أولئك الأفراد الذين يقومون بأنواع الخدمة كالمسكاري والبواب . . . الخ<sup>(١)</sup> .

ولم يكن عدد هذه الطبقات ثابتاً على الدوام فقد تكون أربعاً وقد تنضم

إحدى الطبقات إلى غيرها فتصبح ثلاثا . وقد ورد في الأئستا في أناشيد « كاتها » تقسيم الناس إلى ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : ائيريامن <sup>(١)</sup> وهى طبقة رجال الدين والروحانيين .

الطبقة الثانية : خوائتو وهى طبقة رجال الحرب .

الطبقة الثالثة : ورزنا وهى طبقة الزراع والفلاحين .

وتشير الشاهنامه إلى هذه الطبقات على عهد جمشيد <sup>(٢)</sup> . فيقول الفردوسى عن الطبقة الأولى إنها الطبقة التى يدعونها كاتوزيان . ويُرجح أن تكون هذه الكلمة محرفة عن آتوريان بمعنى آتوربانان وآذربانان <sup>(٣)</sup> . ويرى پور داود أن هذه الكلمة « آتوريان » قد حُرِفَت إلى « آموزيان » بمعنى المعلمين ثم حُرِفَت إلى كاتوزيان . ولكن معين لا يرى مانعا من أن تكون كاتوزيان بمعنى رجال الدين جمع كاتوزى . والطبقة الثانية هى التى تدعى « نيساريان » وهى طبقة أهل الحرب ويغلب أن تكون هذه الكلمة محرفة عن « رشتاريان » أو « ارتشتاريان » . وطبقة الارتشتاريان هى طبقة المحاربين . وارتشتاريان سالار بمعنى قائد

(١) كلمة « ائيريامن » كانت فى اللغة الأئستية تدل على هذه الطبقة من طبقات المجتمع ثم تطور مدلولها فى الفارسية الحديثة إلى معنى الضيافة كما استعملها الفردوسى فى حديثه عن گشتاسب وذهابه إلى بلاد الروم إذ قال :

اگر گشته گردد بدست تو گرگ تو باشی بروم ایرمانى بزرگ

وايرمانى هنا بمعنى مہمان «الضيافة» ويقال ايرمانسرای وايرمان خانه بمعنى مہمانسرای .

(٢) الشاهنامه : ص ٢٤ ج ١

(٣) آذر النار والآذربان القائم بأمر بيت النار .

الجيش . والطبقة الثالثة يطلق عليها الفردوسى فى نصه اسم « نـسودى » . وهى محرفة عن نـسودى . وهى من أصل أقسى بمعنى تربية الدواب . ونـسو بمعنى الحيوان المستأنس . وتعنى هذه الكلمة طبقة الزراع الذين يقومون بتربية المواشى والحيوانات . والطبقة الرابعة يطلق عليها « اهتوخشى » وهى محرفة عن « هوتخش » الهلوية . وتتكون من « هو » بمعنى حسن ومن « تحش » بمعنى السعى والجهد والمران . والمراد بهذه الكلمة طبقة الصناع <sup>(١)</sup> .

وكما أن عدد الطبقات لم يكن ثابتاً كما ذكرنا من قبل فكذلك كانت هذه الطبقات تضيق أحياناً فتشمل فئات محدودة وتتسع أحياناً فيدخل تحتها عدد أكبر من فئات الناس .

وكانت مراتب الناس تقوم بمقاييس مختلفة فى العهود المختلفة . ويذكر التعاليم نقلاً عن الآيين أن مراتب الناس كانت فى أيام جم على الأستان وكان أعلام سنا أعلام مجلسا ، ثم كانت فى أيام الضحاك على الغنى والثروة ، ثم كانت فى ملك أفريدون على الغناء والسابقة ، ثم كانت فى أيام منوچهر على الأصول والقدم ، ثم كانت فى أيام كيكائوس على العقل والحكمة ، ثم كانت فى أيام كينخسرو على البأس والنجدة ، ثم كانت فى أيام لهراسف على الدين والفقه ، ثم كانت فى ملك الملوك بعده على الأحساب ، ثم كانت فى أيام أنوشيروان على اجتماع هذه الخصال المذكورة إلا الغنى والثروة فإنه لا يعتمد بها . <sup>(٢)</sup>

(١) مزديسنا وتأثير آن ... : ص ٤٠٦

(٢) الغرر : ص ١٥ وراجع أيضاً قصة أنوشيروان

مع الاسكاف التى سترد فيها بعد .

وفي العهد الساساني كان المجتمع ينقسم إلى طبقات أربع : طبقة الدينيين ، وطبقة المحاربين ، وطبقة الكتاب ، وطبقة الفلاحين والصناع . وكانت كل طبقة من هذه الطبقات تشمل عدة أقسام : فطبقة الروحيين والدينيين كانت تشمل القضاة وعلماء الدين والمعلمين . وكانت طبقة المحاربين تشمل الفرسان والمشاة . أما طبقة الكتاب فكانت تشمل المنسقين والمحاسبين ، وكتاب الحاكم ، والمؤرخين ، والأطباء ، والمنجمين . وكانت الطبقة الشعبية الأخيرة تتألف من الفلاحين والتجار والصناع وسائر أرباب الحرف . وكان لكل طبقة من هذه الطبقات رئيس . فرئيس الروحيين « الموبذ موبذان » ورئيس رجال الحرب « سپاه بد » ورئيس الكتاب « دبيران مهست » ، ورئيس الطبقة الرابعة « واستريوشان سالار » (١) .

ولم يكن يجوز الانتقال من طبقة إلى طبقة بصفة عامة ، إلا أنه كان يستثنى من هذه القاعدة نادراً حين يبدو من أحد أفراد الشعب امتياز خاص في ناحية من النواحي . وعند ذلك يعرض أمره على الملك فإذا كان امتياز هذا الشخص في ناحية الزهد والصلاح أمر بالحاقه بطبقة الروحيين ، وإذا كان امتياز في الشجاعة والقوة أمر فألحقوه بطبقة المحاربين ، وإذا كان امتياز في العقل والفتنة وقوة المحافظة أمر فضموه إلى طبقة الكتاب .

وكانت طبقة الأشراف تمتاز على طبقة العوام بلباسها وما لديها من المراكب والقصور والبساتين وتعدد النساء والخدم وغير ذلك من وسائل الترف ومظاهر النعمة .

وتحقيقاً لما كان يفرضه نظامهم الاجتماعي من الفصل بين الطبقات وخوفاً

على الأسر الكبيرة أن يتسلل إلى صفوفها بعض أفراد العامة كانت أسماؤها  
تقيد في الدفاتر والدواوين .

وحين ولي كسرى أنوشيروان الملك كان من أول أعماله إصلاح الخلل  
الذي أصاب نظامهم الاجتماعي نتيجة لفتنة مزدك ، فأعاد للجمعية طبقاته  
ووضع الحدود الفاصلة بين كل طبقة وأخرى ، وأعاد إلى طبقة الأشراف  
والأسر الكبيرة اعتبارها ورد ما كان لها من أملاك . ولكي يعينهم على استرداد  
مكائهم الاجتماعية القديمة كان يقدم اليهم المساعدات المختلفة .

### أيام الشهر :

ولأيام الشهر عند الزردشتيين أثر في تنظيم حياتهم الاجتماعية . والشهر  
عندهم ثلاثون يوماً . ولكل يوم من أيام الشهر اسمه الخاص . وقد جعلوا  
لكل يوم من هذه الأيام ما يصلح له من الأعمال وما يناسبه من الأفعال .  
فكان الإيراني القديم يحرص على أداء كل عمل في يومه الخاص ، فبعض الأيام  
تكون فالأحسان إذا انتقل فيها الإيراني القديم إلى مسكن جديد ولذا كان  
يتوخى ألا يغير مسكنه إلا في هذا اليوم . وبعض الأيام كانوا يعتقدون أنها  
أنسب الأيام للبدء في الرحلات أو عقد الاجتماعات أو إقامة الاحتفالات ،  
ومن ثم لا يفعلون شيئاً من هذا في غير هذه الأيام . ومن واجب الزردشتي  
أن يعرف جيداً كل يوم من أيام الشهر ليؤدي فيه ما يناسبه من العمل . وهذا  
بيان بأيام الشهر وما يجدر بالزردشتي أن يقوم به في كل يوم منها <sup>(١)</sup> .

Karaka : History of the Parsis p. 134 vol. I. London 1884. (١)

فالיום الأول من هذا الشهر هو يوم أهورامزدا . وما دام هذا اليوم منسوباً إلى خالق الكون فإن أنسب ما يؤديه المرء فيه عبادة الخالق، والعكوف على أمور الدين، والتجرد عن شئون الدنيا . ويصالح هذا اليوم كذلك لأداء الأمور التي لها صلة وثيقة بالدين كالزواج، والتماس البركة من الآله، وجميع أعمال الخير . وطالع هذا اليوم حسن لئلا من أراد أن يسكن مسكناً جديداً أو ينشئ بستاناً أو يحتفل بمناسبة سعيدة أو ذكرى عزيزة .

واليوم الثاني هو يوم « بهمن » . وهذا اليوم من أسعد الأيام لعقد الاجتماعات التي يقصد بها بحث المسائل المهمة وطلب المشورة . ومن واجب الملوك أن يعقدوا مجالسهم في هذا اليوم وأن يستشيروا حكماءهم وقوادهم فيه .

واليوم الثالث « اردى بهشت » أنسب الأيام لعقد الصلح وتوثيق صلوات المودة مع الناس، وتحضير العقاقير وتناولها، مسالمة السادة والحكام أو الملوك .

واليوم الرابع « شهر يور » هو أنسب يوم عند الملوك إذا أرادوا أن يعينوا كبار الموظفين والرؤساء، والوزراء وغيرهم من موظفي الدولة . ومثل هذه التعيينات في وظائف الدولة الخطيرة إذا تمت في هذا اليوم صاحبها التوفيق . وبما يجدر فعله أيضاً في هذا اليوم الإحسان وتقديم المساعدة إلى الصغار والعجزة .

واليوم الخامس « سپند ارمد » وفيه تحسن خطبة النساء، كما يحسن فيه الدخول بهن، والانتقال إلى المنازل الجديدة، وإصلاح القديم، والقيام بالمشروعات الزراعية التي تعود على الأرض بالخصب والنماء . والعمل الذي يبدأ في هذا اليوم يحتاج إلى وقت طويل حتى يبلغ تمامه . ومواليد هذا اليوم

متصفون بالصبر والمقدرة العقلية ، والرضا والسخاء .

واليوم السادس « خورداد » يناسب القيام بكل عمل من شأنه اصلاح الجسد أو تزينه . وما يحسن في هذا اليوم بناء النافورات أو حفر الآبار وتعبيد الطرق ، وتوزيع المياه أو تخزينها ، وجمع المحصولات . ولهذا اليوم بركة يظهر أثرها في جميع الأعمال التي يراد بها مساعدة ذوى القربى .

واليوم السابع « امرداد » وهذا هو آخر أيام الأسبوع الأول . ولهذا يتخذ يوم راحة للبدن والروح . ولاضير على المرء إن هو أحصى دخله طيلة الأسبوع في هذا اليوم .

واليوم الثامن « دبادار » وهو يوم خالق الكون . ويجب في هذا اليوم أن يتفقه الناس في شئون دينهم ، وأن يوزع القادرون الهبات .

واليوم التاسع « آذر » . ويحمل بالزردشتي في هذا اليوم أن يحسن إلى الضعفاء والمعجزة ، وأن يقيم الصلاة في الأماكن المقدسة للعبادة ، وأن يقدم الهدايا للمعابد النار .

واليوم العاشر « آبان » يصلح للقيام بالرحلات البحرية ، ورى الأراضى ، وحفر القنوات ، ونزع الآبار ، وغرس الأشجار ، وبذر القمح . وهو اليوم الرئيسى في الشهر للقيام بالأعمال النافعة للزراعة .

واليوم الحادى عشر هو يوم « خور » واسمه مستمد من الشمس ، ويعتبر من أفضل الأيام وفيه ينبغى أن يؤدى كل أمر حميد .

واليوم الثانى عشر هو « ماه » وفيه تقام الصلوات وترتل الدعوات :

ويكره المتدينون في إيران أن يشغلوا أنفسهم في هذا اليوم بأى شأن من شئون الدنيا .

واليوم الثالث عشر يوم « تير » ويحمل بالمرء فيه أن ينضم إلى أحد المعاهد ليتعلم فروع العلم المختلفة كالآداب، التنجيم، الملاحقة، والعلم الخاص ببناء الجسور، وحفر الآبار، القنوات، والقوارب والسفن وما شابه . ولزيادة العناية بالجسم والعقل يجب أن يتعلم الانسان فيه السباحة .

واليوم الرابع عشر « گوش » هو آخر أيام الأسبوع الثانى من الشهر . ويحسن في هذا اليوم اسراج الدواب وركوب الحيوان . وفيه يستعرض الإيراني ما عمله خلال الأسبوع فيحاول أن يكثر من كل ما يعود على جسمه وروحه بالنفع . وفي هذا اليوم يجب أن يريح الانسان الماشية من العمل ، وأن لا يقرب لحما وإن جاز له أن يتفجع بلبثها .

واليوم الخامس عشر هو « دهر » . وهو يوم يغلب فيه أداء الأعمال المتصلة بالدين .

واليوم السادس عشر هو « مهر » . ويحذر بالمرء في هذا اليوم أن يقوى أواصر المحبة مع غيره من الناس ، وأن يقيم الولائم لتعارف الأصدقاء ، وأن يرضى المذنبين ليسر لهم حياة كريمة في المستقبل ، وأن يعفو عن المجرمين ، ويشغل النفس بأعمال الخير والبر .

واليوم السابع عشر « سروش » . وينحتم على «عشيق الزردشتية أن يتطهروا في هذا اليوم من الآثام وأن يتعدوا عن الخطايا . وتستحب نظافة البدن في هذا اليوم وتمشيط الشعر .

واليوم الثامن عشر « رشن » ، وليحرص الإنسان في هذا اليوم على الصدق في كل ما يقول ، وليتكلم بما هو حق ، ولينطق بما هو عدل ، وليعدل عن الزيف في القول والكذب في الوعد والحث في القسم .

اليوم التاسع عشر « فرووردين » . وهذا يوم يغلب فيه أداء الأعمال المتصلة بالدين كتنمية الصداقة مع الناس ، صلة الرحم . . . الخ .

اليوم العشرون يوم « بهرام » . وبهرام هذا أحد الملائكة . ومن اختصاصه الاشراف على شؤون الجيش ، ورايته خفاقة . وفي المعارك التي تدور بين الملائكة والشياطين ، وفي المسابقات ، وفي ميادين الصيد نرى بهرام أفضل القواد وأشجعهم . وحيثما ذهب وهب الناس الشجاعة والظفر . ويحسن في هذا اليوم الاستعداد للقنال أو الخروج للصيد .

اليوم الحادى والعشرون هو يوم « رام » . وهو يوم فرح وسرور ويجب انفاقه في اعداد الجيوش ، وتزيين الملابس ، وارتداء الجديد منها .

اليوم الثانى والعشرون هو يوم « واتا » (١) . وهو آخر أيام الأسبوع الثالث . ويخصص للراحة . ويحذر بالمرء فيه أن يصحب أهل الخير والتقى وأن يعلم منهم ويقتدى بهم . ومن واجب المرء أن يخلى نفسه من الشواغل ، وأن يخلى قلبه من الهموم لأنه إن لم يفعل ذلك أثرت الشواغل والهموم في صحته . وعلى العموم فمن الواجب أن ينأى المرء في هذا اليوم عن كل ما يدينه من المتاعب ليمتضى يومه في سرور وسعادة .

اليوم الثالث والعشرون هو يوم « ديدن » . ويحسن في هذا اليوم تفسير الدين وتعاليمه لنشره بين الناس وتشجيعهم على فعل الخير وتنفيذهم من ارتكاب الشر .

واليوم الرابع والعشرون هو « دين » ويحسن فيه عقد الاجتماعات أولقاء المحاضرات لحث الناس على الاخلاص للدين . وما يصلح فعله في هذا اليوم إعداد معدات الزواج ، أو خطبة النساء ، ونشر الثقافة الدينية .

واليوم الخامس والعشرون « أرد » . ويحمل بأرباب الأسر ورباتها أن يزينوا في هذا اليوم أطفالهم بالثياب أو الحلى المذهبة كما ينبغي رعاية الفقراء ومد يد المعونة اليهم .

واليوم السادس والعشرون هو يوم « اشناذ » . وفيه يحسن إثابة المجيد ومعاقبة المسمى . وعلى الناس في هذا اليوم أن يمتنعوا عن القتال ، وعن الشجار ، وأن يذروا البيع والتجارة ويقضوا يومهم في عمل هادئ . لا حركة فيه ولا تنقل .

واليوم السابع والعشرون هو يوم « اسمان » ويحسن فيه القيام بكافة الأعمال النافعة كالعبادة والتجارة .

واليوم الثامن والعشرون هو يوم « زامباد » . وما ينبغي فعله في هذا اليوم بذر البذور وغرس الأشجار وحرث الأرض وخزن القمح . ولا بأس في أن يقوم الانسان بغير هذا من الأعمال على شرط ألا يتناول دواء قط .

واليوم التاسع والعشرون هو يوم « مهر سپند » . وما يصلح في هذا اليوم التعلم والتفقه ، وعلاج الأبدان . وهو من أنسب الأيام للبدء أو الانتهاء من الأعمال التي رفع شأن الدين كتحطيم بيوت الأصنام ، والتكفير عن الذنوب ،

والعمل على ما فيه صفاء الروح وسلامة الجسد .

يوم « انران » ( انه گران ) وهو آخر أيام الشهر . وهو يوم راحة يستعرض المرء فيه ما عمله طيلة الشهر . ويفتح الإيراني يومه هذا بإعطاء الفقراء وتقديم النذور للآلهة . وفي هذا اليوم يظهر الناس أجسامهم ، وينجملون بخير ما لديهم من ثياب ، وينصرفون عن الاثم ، ويكتبون الغضب ، وينسون الثأر ، ويفعلون كل ما فيه متعة ومسرّة للبدن والروح .

### مآبها :

ومما يتصل بالتوقيت وله أثر في حياة الفرس الاجتماعية اعتقادهم أن الله خلق العالم في ثلاثمائة وخمسة وستين يوما على ست فترات غير متساوية . وهذه الفترات يسمونها « گاهبارها » وواحدتها « گاهبار » . ولكل فترة من هذه الفترات اسم ، فالفترة الأولى اسمها في لغة الزند « ميدوزارم » وتمتد هذه الفترة أربعين يوما . ويقال إن الله خلق السموات في هذه الفترة . وتسمى الفترة الثانية « ميدوسما » وتمتد ستين يوما وفيها فجر الخالق المياه . ويقال للفترة الثالثة « يتيسيم » ومدتها خمسة وسبعون يوما . وفيها بسط الله الأرض . وفي الفترة الرابعة « اياتهريم » ومدتها ثلاثون يوما أنبت الله الشجر والأعشاب . وتسمى الفترة الخامسة « مدياريم » ومدتها ثمانون يوما . وفيها خلقت أنواع الحيوان . وفي الفترة السادسة التي تسمى « همشپتمهديم » والتي تمتد خمسة وسبعين يوما خلق الإنسان <sup>(١)</sup> .

(١) . تعجم Steingass مادة « گاه بار » .

وهناك خمسة أيام أخرى يضيفونها فتصبح السنة عندهم ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً .

ويحتفل الفرس القدماء ببداية كل فترة من هذه الفترات . وتعد هذه الاحتفالات من أعيادهم .

ويلاحظ أن أعياد الفرس وحياتهم الاجتماعية تسودها الاتجاهات الدينية إلى حد كبير . ولذا يحسن أن نرجى بقية الكلام إلى موضعه فيما بعد عندما نعرض لحياتهم الدينية .

### العلم والتعليم :

لم يكن العلم شيئاً مباحاً لجميع الفرس على السواء بل كان متعة أرستقراطية تنعم بها طبقة خاصة وتحرم منها بقية الطبقات . وقد فرض نظامهم الطبقي على الوضع أن يظل وضعاً مهما يكن استعداده لتلقى العلم والإفادة منه ، وفرض على ابن الوضع أن يدور في دائرة أئمه مهما بدا من نبوغه وذكاؤه . وكان نظامهم صريحاً في ألا يتعدى الفرد طبقته وألا يتجاوزها إلى ما فوقها من طبقات اللهم إلا في بعض الأحوال الاستثنائية النادرة . ولهذا كان العلم قاصراً على الملك وأفراد أسرته والطبقة العليا من طبقات الشعب . وكتب بذلك على أبناء الطبقات الدنيا ألا ينوقوا لذة العلم . ومن الأمثلة المينة تلك القصة التي تروىها الشاهنامه عن كسرى أنوشيروان وموقفه من الإسكاف ، ففي إحدى حروبه ضد الروم طال أمد القتال ونفذ ما معه من القوات والمال . وكان لا بد له أن يهيئ لجيشه المال الكافي إذا أراد مواصلة القتال ولم يكن في وسعه أن ينتظر حتى تأتيه الأموال من العاصمة ، فأوفد بزرجمهر إلى البلاد المجاورة ليجمع من

أهلها ما يفي بحاجة الجيش السريعة من الأموال على أن يردّها اليهم كسرى بعد الحرب . وكان في إحدى النواحي اسكاف عرض خدمته على رسول الملك وقدم له أربعة آلاف درهم . ولم يكن الاسكاف يطمع في شيء نظير هذه الخدمة سوى أن يأذن له الملك بتعليم ابنه ، فلما علم كسرى بما يطمح اليه الاسكاف رفض أن يحقق له أمنيته وأمرهم أن يردوا اليه أمواله . وكانت حاجته في هذا أن ابن الاسكاف لا يرجي منه ، ولو تعلم ، أي خير<sup>(١)</sup> وتعلّم قد يتيح له الفرصة للتقدم والرقى فيتجاوز بذلك طبقته . وهو أمر لا يسمح به النظام القائم وقتذاك .

وكان ملوك الساسانيين يقدرّون العلم حق قدره . وقد عرف عن أردشير أنه لم يستخدم في ديوانه جاهلا ولا قليل المعرفة . وكان يهتم ببلاغة الكاتب وحسن خطه . وكلما كان الكاتب على درجة أكبر من العلم والثقافة كان حظّه من الرعاية والمكافأة أوفر . وقد اصطفى أنوشيروان سبعين عالما كان كل واحد فرغ من شئون الملك جالسهم وناقشهم في شتى الموضوعات . وكان له في بلاطه مجلس للعلماء ينعقد كل أسبوع<sup>(٢)</sup> .

وفي عهد الساسانيين ، وفي عهد الهخامنشيين ، كان الأطفال والشبان من أبناء الطبقات العالية ينالون نصيبهم من التعليم في البلاط مع شبان الأسر الكبيرة وكان يشرف على تعليمهم من يلقب « آموزگار آسوران » . وكان بما يتعلّمونه هناك القراءة والكتابة والحساب والأدب . وفيما يتصل بالملك ، بصفة خاصة ،

(١) الشاهنامه : ص ٢٥٤٨ ج ٨

(٢) الشاهنامه : ص ٢٣٧٣ ج ٨

كان يلزمه الى جانب هذه العلوم أن يتعلم الصيد والطرود والرماية واللعب بالكرة والصولجان والمبارزة ودراسة سير الملوك السابقين . وفي سن الخامسة عشرة تنتهى التربية البدنية والخلقية . وعلى كل شاب فى هذه السن أن يتعلم أصول الدين من الأقتسا والزند . وفى سن العشرين يتولى العلماء ورجال الدين امتحانه . وكانت الفتيات تتعلم أصول التدبير المنزلى كما وصل كثير من النسوة فى الأسر الكبيرة إلى درجة كبيرة من العلم .

\* \* \*

وكان التنجيم من الدراسات التى تزاولها طبقة خاصة هى طبقة المنجمين . وكان لطبقة المنجمين أهمية كبرى فى بلاط الملوك فى جميع العهود . وكان الملوك يستشيرونهم فى جميع شئون حياتهم : فى شأن المولود إذا ولد ، وفى نتيجة الحرب إذا أقدموا عليها ، وفى الوقت المناسب لبدئها ، وفى بناء السدود والعمائر والمشروعات العامة ، وفى القيام بالرحلات ، وفى غير ذلك من الشئون . ويروى أن بلاط يزدهر الأول كان يضم من هؤلاء المنجمين ثلاثمائة وستين .

\* \* \*

ومن الدراسات ذات المكانة فى البلاط أو فى المجتمع الدراسات الطبية . وتعتبر الأقتسا المصدر الأصيل لمعظم العلوم . فتن الأقتسا وتفسيرها الموسوم : « هوسپارم نيك » يشمل التفاصيل المتعلقة بالطب والأطباء وكل ما يتصل بهم . وفى نيكاذوم نيك بحث يتصل بالطب والبيطرة . وفى دينكرود شرح مختصر يتصل بالطب . ويرى مؤلفه أن السلامة قسمان : سلامة البدن ، سلامة الروح . وكانت أصول الطب الإيرانى زردشتية مستمدة من الروايات الأقتسية

لكن نفوذ الطب اليوناني كان واضحاً فيها . وكان من طرائقهم المستعملة في علاج الأمراض كما ورد في دينكرد الطرائق الجنس الآتية : -

١ - الكلام المقدس      ٢ - النار      ٣ - النباتات

٤ - الفصد      ٥ - السكي أو الوسم

وكانت طريقة المعالجة بالكلام المقدس يعنى الأوراد والأدعية المستخرجة من الكتب المقدسة أشد هذه الطرائق تأثيراً .

وكان مما يشترط في الطبيب أن يكون عالماً بالأمراض ، وأن يدقق في خص المريض ، وأن يكون على علم بأعضاء البدن والمفاصل ، وأن يكون ذا اطلاع فيما يتعلق بالأدوية وخواص العقاقير . وفي هذا الكتاب دينكرد ، ذكر لما يجب أن يتصف به الأطباء ؛ أطباء الروح والجسد . وكلا الطيبين يعنى طيب الروح والجسد يجب أن يودى امتحاناً تظهر فيه مهارته وصلاحيته . أما طيب الجسد فيشترط فيه أن يكون قد مارس هذه المهنة ونجح فيها . وعليه أن يبدأ أولاً بمعالجة الكفار حتى إذا حذق طرائق العلاج شرع في معالجة المؤمنين . ولا يصح للطبيب أن يكون جشعاً وخير الأطباء من قام بهذا العمل ابتغاء مرضاة الله ونيلاً لثوابه . وكان الايرانيون يعتقدون أن سبب الأمراض والعلل هو الأرواح الخبيثة .

وفي القرن الخامس الميلادى حين طرد الساطرة من بلاد الروم لجئوا إلى ما بين النهرين وإيران وكونوا مدارس مسيحية مخصوصة اشتغلوا فيها بتدريس الطب . وكانت أشهر هذه المدارس مدرسة جنديشابور التي بقيت أيضاً بعد انقراض الساسانيين ، وظلت في القرون الإسلامية الأولى مركزاً مهماً للعلم

والطب . ومن بين الأطباء الممتازين في العهد الساساني برزويه . وكان برزويه هذا ، كما يتحدث عن نفسه <sup>(١)</sup> ، من أسرة عريقة ، سلبه أبواه إلى المؤدب في سن السابعة حتى إذا حذق الكتابة مال إلى دراسة الطب وكان كلما تقدم في دراسة الطب ازداد عليه حرصاً . ولما حذق الصناعة وهم بمداواة المرضى أخذ يسأل نفسه عما ينبغي من احترام هذه المهنة . أهو المال أم الذكر أم اللذات أم الآخرة ؟ وكان قد وجد فيما اطلع عليه من كتب الطب أن أفضل الأطباء من ابتغى بصناعته أجر الآخرة فعزم على أن يكون من هذا الصنف من الأطباء يبتغى بعلمه أجر الآخرة . وكان على يقين من أن ابتغاء أجر الآخرة لا يحرمه حظه في الدنيا فلم يدع مريضاً يرجى له البره إلا أبرأه ولا مريضاً انقطع الأمل في برئه إلا داواه وخفف عنه بعض ألمه . وكان ذلك دستور الأطباء ومثلهم الكامل .

### المرأة :

للرأة في الشاهنامة مكانة ملحوظة . وكما أدت المرأة دورها الطبيعي في الحياة باعتبارها أنثى برزت أيضاً إلى الحياة العامة باعتبارها مواطنة صالحة فاشتركت في المجالس والحروب وكان لها دور إيجابي . وكما كانت وسيلة من وسائل المتعة وحدها ، وخاصة في بلاط الملوك ، كانت أيضاً مصدراً للهوى الجارف ، والحب العفيف ، ومادة لكثير من الأساطير الخالدة في عالم العشق العنيف الذي تسوده التضحية ، والشجاعة ، والوفاء .

ومن النساء اللاتي برزن في الحياة العامة ، وكانت ذات عقل ورأى ، أخت

---

(١) كتيبة ودمنة : ص ٧٤ ط الاميرية ١٩٣١

بهرام چوبين « گردیه » . وحين طمع بهرام في الملك عقد لذلك مجلساً من رجاله  
وأتباعه . وكانوا جميعاً يعرفون رغبته ويفطنون إلى ما تنطوى عليه نفسه فلم  
يكن أمامهم حين استشارهم سوى أن يتملقوه ويشجعوه ويهونوا الأمر عليه .  
ولكن أخته كانت أذكى من أن تنخدع بهذا الملق الذي صادف هوى في نفس  
أخيها ، فقامت لتكلم في ذلك المجلس ، وسفقت رأي الخادعين المنافقين الذين  
يفررون بأخيها ، وحذرتهم من الاندفاع وراء هواه ، والأخذ بمشورة رجاله ،  
ونبهته إلى أنها من أولاد المرازبة وليس يصح لأولاد المرازبة أن يطمعوا في  
عرش الملك ، لأن عرش الملوك لا ينبغي أن يستقر عليه سوى الملوك ،  
وضربت له الأمثال بمن طمع قبله في عرش الملوك ولم يكن له أهلاً ، وذكرته  
برستم الذي كان بطل الأبطال في زمانه ومع ذلك لم يطمع يوماً في الملك ولا  
فكر في اقتزاعه من صاحبه وكان القائد المخلص والخادم الأمين . وقد وجم  
بهرام حين سمع هذا الكلام وأدرك أن أخته لم تقل إلا حقاً ولكن الآمال  
الزائفة صرفته عن الاستماع إلى النصيح والرجوع إلى الحق . ودارت الحروب  
بين الملك وبين بهرام چوبين ، وانهمز بهرام ولجأ مع أهله ورجاله إلى خاقان  
الترك حيث أقام مدة هناك قتل في نهايتها بإيعاز من الخاتون . وحين علم الخاقان  
بما انتهى إليه أمر بهرام حزن لذلك أشد الحزن ، وأرسل إلى أخته يعزيها ،  
وأراد أن يعوضها عن قتل أخيها بالزواج منها ، وكانت گردیه عاقلة بعيدة النظر  
فأفهمت الخاقان في أدب وكياسة أنها لم تزل بعد في فترة الحداد ، وأنها ستبعت  
إليه رأيها بعد أن تنتهي هذه الفترة . ثم إنها أخذت تفكر تفكيراً هادئاً فيما  
عرضه عليها الخاقان ، ورأت أن بقاءها في أرض الأتراك لن يدوم ، وأنها  
ستظل ومن معها غرباء في تلك الديار ولن يكون لحياتهم هناك استقرار

واطمئنان ولو قبلت زواج الخاقان ، وأن الأولى بها أن تعود ومن معها إلى  
وطنها إيران . فكتبت إلى أخيها « گردوى » وكان من المقربين في بلاط كسرى  
تطلب منه أن يحدث الملك في شأنهم ، وأن يصلح ما بينه وبينهم ، ويستصدر  
منه العفو عنهم حتى يعودوا إلى ديارهم . وقد نصح أخوها فيما كلفته به واستصدر  
لها ولمن معها العفو . ولما بلغها ذلك أمرت رجالها بالاستعداد والتجهيز وخرجت  
ليلاً من بلاد التوران . وبلغ خبر هروبهم إلى الخاقان فأرسل إليها جيشاً يقوده  
أخوه « طورگك » واستعدت « گرديه » للأمر ولبست ملابس أخيها بهرام  
وتسلحت بسلاحه . وعند ما اقرب « طورگك » من « گرديه » أراد أن يتفاهم  
معها بالحسن لتكف عن مواصلة السير وترتد إلى بلاد التوران ، ولا خرج  
عليها إذا رفضت زواج الخاقان ، كما أئذرها بالحرب والقتال وإعادتها بالقوة  
إذا رفضت الاستماع إلى النصيح واستمرت على العناد . فأصرت « گرديه » على  
موقفها ولم تدع إلى التهديد وتقدمت من « طورگك » تطلب إليه المبارزة قبل  
القتال فإن غلبها أطاعت أمره وعادت معه . ولم يكن « طورگك » فيما يظهر قد  
قدّر شجاعة « گرديه » وجراتها وإجادتها فنون القتال فقبل ما عرضت عليه وبارزها  
فطعنته طعنة قضت عليه . وكان طبعياً بعد ذلك أن ينهزم جند « طورگك »  
وأن تقتل « هم گرديه » ورجالها عدداً عظيماً . وواصلت « گرديه » بعد ذلك سيرها  
متجهة إلى إيران حيث استقبلها روبرح أحسن استقبال . ومن الطريف أنه طلب  
إليها أن تمثل أمامه المبارزة التي دارت بينها وبين أخي الخاقان وكيف صرخته ،  
فقامت « گرديه » إلى ملابس القتال فلبستها وأخذت رمحاً ثم قهرت فوق فرسها  
وجالت أمام الملك في الميدان تمثل له ما دارت بينها وبين « طورگك » من الطعان .

فأعجب الملك بها وأنعم عليها بالأموال والضياع<sup>(١)</sup>.

واستطاعت المرأة في الشاهنامه أن ترقى إلى العرش وتولى الحكم . ومن أمثلة ذلك همای بنت بهمن بن اسفنديار . وقد حكمت كما مر بنا من قبل اثنتين وثلاثين سنة في العهد الكياني . وفي العهد الساساني نرى ملكتين هما پوران دخت بنت كسرى ابرويز وقد حكمت ستة أشهر ، وآزرم دخت التي حكمت أربعة أشهر .

ولم يكن الحب في الشاهنامه لهوا ، أو تزجية فراغ ، أو مصدر ضعف واستخذاء بل كان ضربا من ضروب الوفاء والتضحية والقوة . وقد أشرنا فيما سبق إلى قصة بيزن ومنيره . وقد أثبت منيره أن تفارق حبيبها بعد أن انكشف أمرهما ، فعاشت بائسة ذليلة على حافة الحب الذي ألقى فيه حبيبها ، تقضي يومها وليلها في البكاء والتحجب ، وتجمع كل ما يصل إلى يدها من فئات فتلقى به من فتحة كانت في الحب إلى حبيبها ليقتات به .

ومن قصص الحب العذبة قصة روزابه بنت ملك كابل ودستان ( زال ) بن سام . ومع أن مهرباب ملك كابل كان من نسل الضحاك ، وكان هذا كافيا لأن يجعله من أعدى أعداء الدولة ، فقد تعاهد دستان وروزابه على الزواج مهما كلفهما الأمر . وهنا تظهر القوة في الحب والوفاء بالعهد لأن زواجا كهذا كان يبدو أنه مستحيل بسبب العداوة التقليدية بين مهرباب وبين الملك منوچهر . وكان واضحا أن « سام » من رجال الملك الخلصين وأنه لا يستطيع أن يعصى له أمرا ويقر مثل هذا الزواج الذي لا يقره الملك . وبلغ تخرج الأمر مبلغا

هدد معه زال بعصيان الملك ومقاومة كل اعتداء يراد توجيهه إلى مهرب والد حبيته . ومع كل هذه العقبات والمصاعب التي صادفت الحبيبين في طريق زواجهما استطاع زال في النهاية أن ينتزع موافقة الملك على هذا الزواج الذي تم وأثمر بطلا خالدا في تاريخ القصص الإيراني .

ومن قصص الحب الصادق ، والبذل والمخاطرة في سبيل المحبوب قصة گلنار مع أردشير بن بابك . وكانت گلنار مكلفة بالإشراف على قصر اردوان . وكان أردشير يقيم عند اردوان في قصره فتشاً بينه وبين گلنار حب . وكان اردوان يعطف على أردشير ويريه مع أبنائه في القصر إلى أن حدث من أردشير ذات يوم ما ساء اردوان فتحاه عن القصر وكلفه خدمة الخيل . واستمر الأمر كذلك إلى أن مات بابك . وكان أردشير ينتظر أن يحل محل جده بابك في ملك اصطخر ولكن اردوان ولي عليها ابنه الأكبر . ورأى أردشير أن يسرع بالفرار من القصر ليستخلص لنفسه ملك اصطخر فعرض رأيه على گلنار التي شجعتة وأزرتة وعرضت عليه أن تهرب معه وأعدت له العدة للفرار وحملت من القصر من الأموال والجواهر ما يلزمها في رحلتها . ونجحت خطة أردشير وگلنار واستطاع في النهاية أن يهزم بهمن بن اردوان وأن يملك اصطخر وأن يقضى بذلك على ملك اردوان نفسه .

ومن قصص الوفاء في الحب قصة سابور بن هرمز ( ذي الأكثاف ) مع جارية قيصر . وكان سابور قد ذهب متخفياً في زى التجار إلى بلاد الروم وطلب الإذن له بالمول بين يدى قيصر ليعرض عليه ما معه من البضاعة فلما أدخل كان بين الحاضرين رجل عاش في إيران مدة فلما تفرس في وجه التاجر عرف أنه

سابور الملك فأنهى ذلك على الفور إلى قيصر فأمر بالقبض عليه وألبسوه جلد حمار وحبسوه في جناح مظلم من أجنحة القصر وأحكموا إغلاق الباب عليه ووكلوا بأمره جارية الدار . وانهز قيصر تلك الفرصة النادرة فجمع جيوشه وأسرع إلى بلاد الفرس فغزاها واستولى عليها وقتل من أهلها خلقا عظيما وأرغم الناس على اعتناق النصرانية ، وظل مستوليا على بلاد الفرس سنين عديدة إلى أن مالت الجارية الموكلة بالدار إلى سجينها فسألها أن تساعد على النجاة والفرار فانتظرت حتى جاء عيد النصارى وشغل أهل القصر جميعا بهذا العيد فأخرجت من الاصطبل فرسين ، وزودت حبيها بسلاح كامل وهربت معه . وقد كابدت هذه الجارية مع حبيها ألوانا من المشاق والمخاطر حتى وصل سابور إلى بلاده وقضى على الروم وأسر قيصرهم وعاد مظفراً إلى عاصمته ملكه طيسفون .

وفي حالات قليلة حين كانت المرأة تهم باقتراف الرذيلة لم تكن الظروف تعينها على ذلك فترتد مضطرة إلى الفضيلة . من ذلك ما فعلته سودابة بنت ملك هاماوران وزوجة كيكاوس إذ شغفها سياوش ابن زوجها كيكاوس حباً وأرادت أن تجره إلى الخطيئة ولكن سعيها لم يفلح فكانت لا تنى عن السكيد له انتقاما لكبريائها المجروح .

وكانت الشجاعة والرجولة الحقّة ، وقوة الجسم والخلق من أهم الأسباب التي دفعت النساء إلى عشق من عشقن من الرجال في الشاهنامه . فروذابه بنت ملك كابل أحبّت « زال » قبل أن تراه ، وكان ما سمعته من أبيها عن جماله وكمالها باعثاً على هذا الحب . ومن مظاهر الرجولة والقوة في هذا الحب أن « زال » وهو يعلم ما بين مهراب ومنوچهر من العداوة لم يخف حبه وتقدم إلى الملك

في جرأة وصراحة يطلب اليه موافقته على الزواج من ابنة عدوه . وكان قويا حتى إنه صمم على رد كل عدوان قد يوجهه الملك إلى مهرب .

وقد أثارت شجاعة رستم وأخلاقه العظيمة ابنة ملك سمنجان « تهمينه » فأحبته وعرضت نفسها عليه تريد أن يمن الله عليها بمولود في مثل قوة رستم وفي مثل خلقه . وقد أجابها رستم إلى طلبتها ورزقها الله سهراب الذي كان صورة صادقة لأبيه .

وصادف ، حين رحل گشتاسپ متخفيا إلى بلاد الروم ، أن حان موعد تزويج كبرى بنات قيصر واسمها كتيان . وكانت الطريقة التي ابتدعها قيصر أن يترك لبلته حرية اختيار زوجها ، وطريقته في ذلك أن تجلس ابنته التي يحين موعد تزويجها في إيوان ويقبل الخلق أمامها فن وقع عليه اختيارها أعطته باقة ريحان فيُعرف بذلك زوجها ويعقد له عليها . وكان يسمح للناس جميعاً بشهود هذا الحفل ، فأراد گشتاسپ أن يشاهد هذا الاحتفال ، ووفد فيمن وفد إلى القصر ، ومر فيمن مر من الخلق أمام الأميرة ، فأعجبت به وألقت عليه طاقة الريحان فأسرع الوزير عندئذ إلى قيصر يخبره أن كتيان قد اختارت زوجها من عامة القوم وإن كان رجلاً رشيق القد ، جميل الطلعة ، بادي القوة . وضاق صدر قيصر حين علم باختيارها رجلاً من العامة ، ليس له محمد كريم ، ولا أصل عريق ، وأشار بقتله وقتلها معه ، لكن الأسقف نصحه بالعدول عن الشر إلى الخير وتزويجها إياه ، فزوجها منه وأخرجها من قصره مغضوباً عليها . وعدل من ذلك الوقت عن طريقته هذه في تزويج باقي بناته . وبعد مجموعة من الحوادث تتبين لقيصر حقيقة گشتاسپ فيقربه اليه ، ويعتذر عن مجافاته ، ويدعو إليه ابنته كتيان فيلاطفها ويأسف على ما سبق من الإساءة إليها .

وكانت تعاليم زردشت تقضى على الإيرانيين ألا يزوجوا أولادهم أو بناتهم قبل الخامسة عشرة . وكان تزويج البنات من شأن الأب فإذا لم يكن الأب حياً عهدوا بذلك إلى الأم ، فإن لم تكن هي الأخرى حية وكلوا ذلك إلى واحد من أعمامها أو أخوالها . ولم يكن للبنات حق اختيار زوجها مستقلة . وكان على الوالد أو ولي أمر الفتاة أن يسعى في تزويجها متى بلغت سن الخامسة عشرة حتى لا تقع في الخطيئة . وكان الوالد يتفق مع الزوج على المهر . ومن حق الزوج أن يسترد هذا المهر إذا اتضح له فيما بعد أن الزوجة لم تكن تستحقه كأن تكون عاقراً مثلاً . وإذا لم تزوج البنات واتصلت برجل اتصالاً غير مشروع كان أبوها ملزماً بالاستمرار في الإنفاق عليها ولا يجوز له أن يحرمها من الإرث نتيجة لهذا الاتصال غير المشروع . والأطفال الذين يولدون نتيجة هذا الاتصال يقع عبء نفقتهم على والد الفتاة كذلك <sup>(١)</sup> .

وكانت النظم والأوضاع الاجتماعية قد اختلفت في عهد الدولة الساسانية إبان الثورة المزدكية إذ استباح المزاكاة النساء . فلما جاء كسرى أنوشيروان بدأ عهده بإصلاح الخلل الاجتماعية الذى نجم عن هذه الفتنة . وبحث أمر المرأة التى استباحها المزاكاة فإن كانت هذه المرأة غير متزوجة أو مات زوجها فى أثناء تلك الفتنة نظر فى أمر ذلك المزدكى الذى ضمها إليه فإن كان مساوياً لها فى الطبقة الاجتماعية وجب عليه شرعاً أن يعقد عليها وإلا فعليه أن يتركها أو يدع لها الخيار إن شاءت اختارته لها زوجاً أو رفضته . وعلى كل حال فمن واجب الرجل أن يدفع لها المهر . أما إذا كان زوج المرأة الشرعى حياً ردت

إليه ووجب على الغاصب أن يدفع إلى المرأة مهرأ يعادل ما كان قد دفعه إليها زوجها الشرعى . وأما أسر الأعيان والأشراف التى مات عنها عائلها ووقعت فى الضيق والعوز فقد أحصوا عدد أفرادها الأيتام والنسوة الأراامل وجعلوا لكل واحد منهم معاشاً يكفيه . وكان الملك يعتبر أبناء هذه الطبقة الأيتام أبناءه وكانت الدولة تقوم بتجهيز الفتيات من هؤلاء إذا تزوجن . واهتم أنوشيروان على العموم بجميع أفراد هذه الطبقة حتى تحسنت حالهم وعاد إليهم زراؤهم وبدأت تظهر من جديد طبقة الأشراف التى تدين للملك بالطاعة والولاء <sup>(١)</sup> .

وكان تعدد الزوجات معروفاً فى المجتمع الإيرانى فى جميع العهود . ونتج عن تعدد الزوجات كثرة الأبناء حتى بلغوا فى بعض الحالات ثمانية وسبعين ابناً . وتروى الشاهنامه أن كيخسرو حين أراد أن يتصدى لمحاربة الأعداء منعه گيو بدعوى أن الملك إذا تصدى للحرب بنفسه وأصابه مكروه صعب على الناس أن يحدوا بعده من يخلفه على العرش أما هو - أى گيو - فأمره حين إذا قتل لأن لآبيه ثمانية وسبعين ابناً <sup>(٢)</sup> .

وكان الرجل يملك من النساء ما يشتهى ما دام على ذلك قادراً . أما الفقراء فلم يكن للرجل منهم سوى امرأة واحدة . وكان الملك على كثرة ما لديه من النساء يتخذ واحدة منهن الملكة وهى حييته وزوجته وصاحبة الحقوق الكاملة وتسمى زوجة الملك أو الزوجة الرئيسية . وكان يقوم بخدمتها عدد آخر من زوجات الملك . ولذا يقال للواحدة من هؤلاء « الزوجة الخادمة » أو ما يرادف

(١) كريستنسن : ص ٢٥٦ :

(٢) الشاهنامه : ص ٧٣٠ ج ٣ :

في تعبيرنا العصري وصيفة . والحقوق القانونية لكل واحدة من هاتين الزوجتين مختلفة . وواضح أن الجوارى اللاتي يشترين والنساء اللاتي يؤسرن في الحروب يكونن جزءاً من طبقة الزوجات الخادومات . وللزوجة الرئيسية على زوجها حق الرعاية والملاحظة ولكل واحد من أبنائها حتى سن البلوغ أو من بناتها حتى سن الزواج نفس الحق . أما الزوجات الأخريات اللاتي يطلق عليهن زوجات الخدمة فلا يلبس من أولادهن إلى أيهن سوى الذكور <sup>(١)</sup> .

وكان لنساء الملك جناح خاص بهن في البلاط . وكان عددهن يختلف باختلاف الملوك وفي أيام پرويز بلغ عدد ما لديه منهن اثنتي عشرة ألف امرأة ومع ذلك كان يخص بحبه وعشقه واحدة منهن هي شيرين .

وأباح شريعة الإيرانيين لهم الزواج من الأخت فكانت سودابه امرأة كيكافوس ترغب في أن تزوج سياوش ابن زوجها من إحدى بناتها <sup>(٢)</sup> . وقد تزوج گشتاسب ابنته هماغى من ابنة اسفنديار <sup>(٣)</sup> . ومن تزوج بأخته بهرام چوبين فكانت گردية أخته وزوجته في نفس الوقت . وأعجب من ذلك أن شريعتهم كانت تجيز للرجل أن يتزوج ابنته كما فعل بهمن الذي تزوج ابنته هماغى وأوصى لها بالملك من بعده <sup>(٤)</sup> .

وكان الزردشتي القديم لا يجد مانعاً في مؤاكلة امرأته أو أمه أو اخواته

- 
- |     |           |   |            |
|-----|-----------|---|------------|
| (١) | كريستنسن  | : | ص ٢٢٧      |
| (٢) | الشاهنامه | : | ص ٥٣٦ ج ٣  |
| (٣) | الشاهنامه | : | ص ١٥٤٠ ج ٦ |
| (٤) | الشاهنامه | : | ص ١٧٥٦ ج ٦ |

بل كان يذهب إلى أبعد من هذا إذ كان يأخذ امرأته معه إلى الحفلات والولائم بعكس ما هو حاصل بين الزردشتيين اليوم في الهند ، فإنهم إلى عهد قريب تعودوا أن يأكلوا على أفراد دون أن تشاركهم زوجاتهم . وقد يجتمع رجال الأسرة إلى مائدة الطعام فيتناولونه منفردين عن النساء اللاتي يجتمعن كذلك لتناوله وحدهن . وقد أخذ زردشتيو الوقت الحاضر هذه العادة عن الهندوس لأن أسلافهم من الفرس القدماء لم يكونوا يعرفونها <sup>(١)</sup> .

وكان من عادة الإيرانيين القدماء إذا ولد لهم مولود أن يحضر أبوه ويسر اسمه في أذنه فلا يسمعه أحد ويعلن أمام الناس اسماً آخر يشتهر به المولود . وقد فعل مثل ذلك پرويز إذ سمى ولده سرأ باسم قباد وأعلن أمام الملأ أن اسمه شيرويه <sup>(٢)</sup> .

وتعتبر المرأة بعد الولادة نجسة لمدة أربعين يوماً . ولا يحل لها خلال هذه المدة أن تمس شيئاً أو تلبس أحداً من أفراد العائلة حتى زوجها نفسه ، ولا يجوز لها أن تسير فوق البسط . ويجب أن تكون أرض غرفتها عارية . وبعد اليوم الأربعين تستحم المرأة ويحل لها عند ذاك أن تختلط بسائر أفراد الأسرة . وكل ما استعملته المرأة من أدوات أو لبسته أو مسته خلال هذه الأربعين يوماً ألقى أو أهمل لنجسه . وقد بدأ الزردشتيون اليوم ينتهون إلى ما في نبد المرأة خلال هذه المدة وإفرادها في حجرة خاصة بها لا تقرب أحداً ولا يقربها أحد من ضرر وأذى لها ولعنهم لم يجرموا على مخالفة هذه العادة إلا في الحالات

Karaka : History of the Parsis vol. I p. 126 (١)

(٢) الشاهنامه : ص ٢٨٥٧ ج ٩

القاسية التي يشتد فيها ضعف المرأة أو يصيبها مرض تتعرض معه حياتها للخطر. عند ذاك فقط يعطف عليها أهل الأسرة ويزداد اتصالهم بها ورعايتهم لها ويعتقدون أن خروجهم على العادة في مثل هذه الحالة لا يعد إلثماً أو خروجاً على تعاليم الدين. وإذا مست المرأة أحداً خلال الأربعين يوماً فعليه أن يتطهر وأن يغير ملابسه. وفي الوقت الحاضر إذا اضطر أحد زردشتي الهند أن يدعو طبيباً أوربياً لعيادة امرأته وفحص المولود تحاشي أن يصافح الطبيب عند خروجه ووقف بعيداً عنه بشير له إلى طريق الخروج لأن الطبيب بفحصه للأم ومولودها قد أصبح نجساً. أما إذا كان الطبيب زردشتياً فإنه في بعض الأحوال إذا فرغ من مهمته اغتسل واستحم وغير ملابسه قبل أن يغادر المنزل. ويقابل فعل هذا الطبيب بالاستحسان والتقدير من أهل المنزل وخاصة من العجائز<sup>(١)</sup>.

وكانوا إذا ولد المولود وزعوا الصدقات. وفي أول الأمر كثر بينهم تسمية الأطفال بالأسماء الدينية مثل اسم الله (هرمزد) وأسماء الملائكة مثل وهرام (ورثاغنا) ونرسي (نيريوسنها) أو باسم مركب من اسمي ملكين مثل مهرنسي (ميثرا + نيريوسنها). وقد يختارون للمولود اسماً يبين شرف نسبه مثل شاهپورهر (شاه پور) أو اسماً يتفاهل به مثل پیروز. وكانت أسماء النساء تختم غالباً في العهد الساساني بكلمة دخت «دختر» مثل هرمزد دخت، يزدان دخت، وآرميد دخت. ومنذ أواسط القرن الخامس الميلادي استعملوا أسماء أبطال الأفاصيص القديمة مثل رستم، سیاوش مما يدل على افتخار

الإيرانيين زمن الساسانيين بماضيهم القديم .

وكان واجبهم يقضى بإبعاد الطفل عن كل ما يصيبه بالضرر فلا تقرب منه مثلا امرأة حائض لأن هذا مما يسبب شقاء الطفل وسوء حفظه في الحياة حسب اعتقادهم . وكانوا ينخدعون من النار والضوء وسيلة يبعدون بها الشيطان عن المولود خصوصا في الليالي الثلاث الأولى لمولده كما كانوا يسقون الطفل عصارة نبات الهوم . وتولى أم الطفل تربيته فإن منعها من ذلك مانع عهد الوالد إلى أخته أو ابنته الكبرى بذلك . (١)

## ١٤ — الحياة الدينية في الشاهنامه<sup>(١)</sup>

كان الإيرانيون قبل أن يتخذوا الزردشتية ديناً لهم يتجهون كغيرهم من الآريين إلى عبادة القوى الطبيعية . وكان أهم آلهتهم في ذلك الوقت « مئرا » آله الشمس و « أناهيتا » آلهة الخصوبة والأرض و « ها أوما » وهو الثور المقدس الذي يزعمون أنه بعد أن أوشك على الهلاك ارتد حياً وقدم دماؤه للبشر يشربونها فينعمون بالصحة والقوة والخلود<sup>(٢)</sup> .

ويذكر الثعالبي أن الملوك قبل بشتاسف ( گشتاسپ ) كانوا على دين الصابئين فكانوا يعبدون الكواكب ويخصون النيرين والسعدين بالتعظيم<sup>(٣)</sup> . وبؤيد هذا أيضاً ما ذكره البيروني من أن الملوك البيشداوية وبعض الكبانية ممن كان يستوطن بلخ يعظمون النيرين والكواكب وكليات العناصر ويقدسونها إلى وقت ظهور زردشت عند مضي ثلاثين سنة من ملك بشتاسب . وبقياً

---

(١) رغبة في الاختصار نذكر هنا أهم مصادر هذا الفصل ، بالإضافة إلى ما ذكر

في ذيل الصفحات

مزدیسنا وتأثیر آن در ادبیات فارسی : محمد معین .

ایران در زمان ساسانیان : کریستنسن وترجمة رشید یاسینی

Karaka : History of the Parsis.

J. H. Moulton : The Teaching of Zarathushtra Bombay 1917.

J. Darmesteter : Essai Sur la Mythologie de l'Avesta.

K. S. Guthrie : The Hymns of Zoroaster usually called the Gāthas

(٢) قصة الحضارة الفارسية : ول دورانت وترجمة الدكتور إبراهيم أمين ص ٣٩

(٣) الفرز : ص ٢٥٨

أولئك الصابئة بحران ينسبون إلى بعضهم فيقال لهم الخرافية (١).

ولكن كلام الفردوسى فى شاهنامته يدل فى أكثر من موضع على أن ملوك الإيرانيين الذين عاشوا قبل زردشت كانوا يعبدون الله . وهذا خطأ وقع فيه الفردوسى فما من شك فى أن الإيرانيين القدماء كانوا كما ذكرنا من قبل مشركين يعتقدون فى تعدد الآلهة . وقد جر الفردوسى إلى هذا الخطأ أنه كان ينظم شاهنامته من الشاهنامة المنشورة لأبى منصور عبدالرزاق . ولما كانت هذه الشاهنامة المنشورة قد اعتمدت فى مادتها على خدائنامة الساسانية فمن المرجح أن يكون مؤلف خدائنامة وهو زردشتى قد أراد بدافع التعصب لدينه والفخر بملوكه الأقدمين وأسلافه الماضين أن يضفى عليهم صفة التوحيد وينزههم عن وصمة الشرك . ومن هنا نرى سبب هذا الخطأ الذى وقع فيه الفردوسى لأنه نظم عن الشاهنامة المنشورة التى نقلت بدورها عن خدائنامة .

ومن القوى الطبيعية التى عبدها الفرس قبل زردشت النار . وينسب الفردوسى عبادتها إلى هوشنگ حين رمى الحجر ليقتل الحية التى رآها فى الجبل فوق الحجر على صخرة أخرى فتولدت من احتكاكها النار . وكانوا قد أقاموا المعابد لهذه النار حتى أن لهراسب قد اعتكف فى أحد بيوت النار فى بلخ . وحين أراد كيخسرو أن ينقطع عن الدنيا للعبادة اختار هو الآخر بيتاً من بيوت النار .

### زردشت :

اختلاف العلماء في أمر زردشت بين مثبت لوجوده وبين منكر . وحتى الذين أثبتوا وجوده اضطربوا فيما بينهم اضطراباً كبيراً في كل ما يتعلق بحياته . ولعل من الأسباب التي دعت إلى هذا الاختلاف والاضطراب في أمر زردشت وجود ستة من الحكماء والفلاسفة بهذا الاسم عاشوا في أوقات مختلفة وبلاد مختلفة .

ومن أمثلة اختلافهم فيما يتعلق بحياته تاريخ مولده . فهو *Haug* مثلاً يرى أنه ولد حوالي سنة ١٠٠٠ ق. م. وأحد العلماء الزردشتيين وهو *Kharshedji Rustamji Kama* يرى بعد اطلاعه على مصادر يونانية ويهودية وبعض نقوش أخرى أن زردشت كان يعيش قبل الميلاد بألف وثلاثمائة سنة . ووليام جاكسون يرى أنه ولد في سنة ٦٤٠ ق. م. وكذلك وقع الخلاف بينهم في محل ميلاده ومكان نشأته الأولى . فزعم بعضهم أنه من أهل فلسطين ثم لحق ببلاد آذربيجان . وقال بعضهم إنه من العجم <sup>(١)</sup> . ويذكر الشهرستاني أن أباه كان من آذربيجان وأمه من الري <sup>(٢)</sup> . والراجح أن زردشت قد ولد في الري من إقليم ميديا ثم رحل بعد ذلك إلى بلخ .

وكان زردشت من أسرة *سپیتاما Spitama* التي يقال إنها من سلالة الملك فريدون أحد ملوك الدولة الپيشدادية <sup>(٣)</sup> . وتسميه الأقيستا في بعض الأحيان

- 
- |  |                        |
|--|------------------------|
| (١) ابن الأثير :                       | ص ١٠٠ ج ١              |
| والطبري :                              | ص ٦٤٨ ج ٢ ط بريل .     |
| (٢) الملل والنحل :                     | ص ١٤٠ ج ١ ط الغنانية . |
| (٣) في القرار أن نسبه ينتهي إلى منوچهر | ص ٢٥٧                  |

زردشت سيئتها أي زردشت الذي من نسل سيئتها . واسم أبيه يوروشاسپا Pourushaspa . ولا تتحدث الأقسنا عن أمه ولكن يتضح من بعض نصوص پهلوية أنها كانت تدعى دغهو ويسمى بها الشهر ستاني دغد (١) .

وكان زردشت يميل في شبابه إلى التأمل في المسائل الفلسفية العميقة والظواهر الكونية . وفي سن الثلاثين كلف أن يبشر الناس بدينه الجديد ، فترك مسقط رأسه في الري واتجه إلى بلخ في عهد الملك گشتاسب ، وكان ذلك في السنة الثلاثين من حكم هذا الأخير . وقد آمن گشتاسب بدين زردشت الذي بشره به ولم يكتف بذلك بل أخذ على عاتقه أن ينشر الدين بين الناس وبين غيره من الملوك . وكان أول من آمن بزردشت في بلاط گشتاسب وزيره لأول فراشسترا والحكيم جاماسبا . وقد طاف هذان الحكيمان جميع أنحاء إيران مبشرين بالدين الجديد ونجحوا في ضم أهل إيران إلى هذا الدين . وكان مما ساعد الناس على الدخول في الدين الجديد اقتداؤهم بملوكهم ورجال بلاطهم وخاصة قومهم .

ولا تقدم الأقسنا شيئاً عن الأيام الأخيرة من حياة زردشت ولكن المصادر پهلوية والفارسية تذكر أنه استشهد مع لهراسپ في الهجوم الثاني للثورانيين على مدينته باخ . وكان في ذلك الوقت يتعبد في معبدها . ويذكر الفردوسي أن الثورانيين بعد أن استولوا على بلخ دخلوا معبد النار فقتلوا لهراسپ وزردشت والهربد (٢) . وكانت سنة يوم قتل سبعا وسبعين سنة قضى

(١) الملل والنحل : ص ١٤٠ ج ١ .

(٢) الشاهنامه : ص ١٥٦٠ ج ٦ . ويطلق الفردوسي على

زردشت في هذا النص كلمة «رد» بمعنى الرجل الجريء الحر الشجاع .

منها في الدعوة إلى دينه سبعاً وأربعين سنة .

### الأقسنا :

جاء زردشت بالكتاب المعروف بالأقسنا . ويسميه المؤلفون العرب « الأستاق » <sup>(١)</sup> وكان هذا الكتاب في أول أمره ضخماً فلما غزا الاسكندر إيران ضاع منه شيء كثير . وفي العهد الأشكاني حاول بلاش جمع ما تفرق من هذا الكتاب وانتهى الأمر إلى أردشير في عهد الدولة الساسانية فأعاد المحاولة واستطاع أن يجمع من هذا الكتاب قدراً دونوه في واحد وعشرين مجلداً أو نسكا . ولكن هذا القدر المتجمع في هذه المجلدات قد عاد إلى التبدد والضياع مرة أخرى . ولم يبق من الأقسنا في الوقت الحاضر سوى خمسة كتب أو أجزاء هي : ١ - يسنا ٢ - ويسپرد ٣ - ونديداد ٤ - يشتها ٥ - خورده أقسنا .

أما الـ « يسنا » فهو أهم هذه الأجزاء . ومعنى يسنا العبادة والحمد والصلاة . ومجموع الـ يسنا اثنان وسبعون فصلاً . ويقال أيضاً لكل فصل من هذه الفصول « ها » وهناك من بين هذه الفصول سبعة عشر فصلاً تضم المقطوعات المنظومة المعروفة باسم « گائنا » في الأقسنية و « گاس » في الپهلوية . والگائنا هي أقدم وأقدس أقسام الأقسنا . وهي مقطوعات موزونة تشمل دعوات قصيرة وترتيلات . وتعتبر هذه الدعوات والترتيلات عن أفكار فلسفية وموضوعات ميتافيزيقية . وقد عرف من قديم أن الگائنا من كلام زردشت فجعلوا لها

(١) التنبيه والاشراف : ص ٨٠

مكانة خاصة ، ولكن التحقيقات التي قام بها العلماء أمثال Meillet أثبتت أن هذه الأناشيد ليست من كلام زردشت . وأشعار الغائنا هذه من أقدم الآثار القديمة التي بقيت لنا في العهد الحاضر . ولا ترتل اليسنا وما تضمنه من أناشيد « الغائنا ، إلا في احتفالات وطبقا لطقوس خاصة .

وأما « ويسپرد » فلا يمكن اعتباره كتابا مستقلا ويمكن أن يقال إنه مجموعة من ملحقات اليسنا لا تنشأ بدونها . وكل فصل من فصول الـ « ويسپرد » يقال له « كرده » بمعنى باب أو فصل . وقد اختلف الباحثون في عدد الأبواب التي يتكون منها ويسپرد بين ٢٣ و ٢٧ بابا . وترتل الابهتالات والدعوات الواردة في الـ « ويسپرد » في الأعياد التي تقام في المناسبات المختلفة كأعياد المواسم الستة في السنة وهي عيد خلق السماء ، وعيد المياه ، وعيد الأرض ، وعيد الأشجار ، وعيد الحيوان ، وعيد الإنسان <sup>(١)</sup> .

وأما « ونديداد » فهو موضوعاته مختلفة ويقال لكل فصل منها « فرگرد » ومجموع فصوله اثنان وعشرون . ويقسم هوج هذه الفصول إلى ثلاث مجموعات حسب موضوعاتها . فالمجموعة الأولى تدور أغلب موضوعاتها عن الممالك الست عشرة التي انتشرت فيها ديانة زردشت ، وعن أسطورة الملك ياما ، وعن التوصيات الخاصة بالزراعة باعتبارها خير حرفة يحترفها الرجال . والمجموعة الثانية تدور أغلب موضوعاتها حول الأمور الدينية والطقوس المختلفة . والمجموعة الثالثة تضم موضوعات شتى مثل محاولة الشياطين عرقلة أعمال

زردشت ، حظ الروح بعد الموت ، ووسائل علاج الأمراض وغير ذلك من الموضوعات .

وأما « يشتها » <sup>(١)</sup> أو اليشتات <sup>(٢)</sup> فكانت في الأصل منظومة منقسمة مثل الـ « گائا » إلى قطعات وأبيات . وقد بقي منها حتى الآن واحد وعشرون يشتا بعضها قصير وبعضها طويل . وهي تراويل في صورة ابتهالات للملائكة التي تسيطر ، بإشراف الإله الأعلى ، على جميع الظواهر الكونية والقوى الإنسانية . وفي اليشتات ثناء موجه إلى كل ملاك من ملائكة الله على حدة . ويتخلل هذا الثناء ذكر ما أداه هذا الملاك من المساعدات لكثير من الشخصيات القديمة المشهورة . ومن ثم كانت هذه اليشتات على جانب عظيم من الأهمية من حيث أنها سجل للحياة وأعمال كثير من تلك الشخصيات . ولذا نجد في هذه اليشتات ، إشارات وتلبحات تاريخية عن حياة وأعمال كثير من ملوك الپيشداديين والکیانیين من عهد گیومرث إلى عهد گشتاسب . والحديث الخاص بهؤلاء الملوك في اليشتات ينفق إلى حد بعيد مع ما ذكر عنهم في الشاهنامه .

وأما « خورده أفتسا » أو الأفتسا الصغيرة فتشمل جميع ما بقي من قطع الزند أفتسا <sup>(٣)</sup> . وقد دونها في زمان شاپور الثاني ( ٣١٠ — ٣٧٩ م ) الموبذ

---

(١) يشت ، ونديداد ، ويسپرد ، يسنا وغيرها من الأسماء التي سموا بها الواحد والعشرين جزءاً التي جمعوها من الأفتسا مأخوذة من إحدى وعشرين كلمة كانت تتألف منها إحدى صلوات زردشت القديمة المقدسة المسماة Yatha Ahu Vairyo . ومعظم هذه الكلمات لا يعرفها الزردشتيون في الوقت الحاضر .

(٢) مفرداتها يشت .

(٣) للأفتسا شرح يسمى الزند . ولهذا الشرح « زند » شرح آخر يسمى « یازند »

موبدان آذر بد مهر اسپند . وترتيل الأئستا الصغيرة ( ماعدا التبريكات ) ليس بما يختص به الموازنة وحدهم فيستطيع أى رجل أن يرتلها جميعها أو أى جزء منها وليس شرطاً أن يصاحب ترتيلها طقوس أو احتفالات معينة .

وتشمل الأئستا الصغيرة الأدعية الخمسة ( نيايش ) وهى أدعية لشمس الجليل على بديع صنعه وجميل فعله . والدعاء الأول والثانى منها هو دعاء الشمس ( خورشيد ومهر نيايش ) ويرتلونه فى الفجر ، والدعاء الثالث هو الدعاء الخاص بالقمر ( ماه نيايش ) ، والرابع خاص بالمياه ( ابان نيايش ) والخامس للنار ( آتش نيايش ) .

كما تشمل الأئستا الصغيرة التبريكات ( آفرينگان ) . وهذه التبريكات هى التراتيل الوحيدة فى الأئستا الصغيرة التى يختص رجال الدين وحدهم بترتيلها . وتصاحبها أثناء ترتيلها بعض الطقوس الخاصة . وينخذ مرتلو هذه التراتيلات مجلسهم فوق سجادة تفرش على الأرض ويصف فوقها الفواكه أو الزهور ، وأكواب اللبن ، والماء ، والشراب . ويراد بترتيل هذه التبريكات تذكير الأحياء بمن مضوا من أهاليهم وأقربائهم أو طلب المساعدة من الإله .

### العقيدة الزردشتية :

قلنا فيما سبق إن الإيرانيين القدماء كانوا يعبدون القوى الطبيعية فلما جاءهم زردشت دعاهم إلى عبادة إله واحد هو أهورامزدا . والذى يعمن النظر فى تاريخ التطور الدينى يشعر أن زردشت لم يبتدع عبادة الإله الواحد ابتداءً فقد كان لهذا الاتجاه بذور موجودة من قبل إذ وجد بين الأقدمين من كان يؤمن بوجود إله عظيم يسيطر على هذا الكون ويوجهه وليس هذا الإله واحداً من تلك

الظواهر الطبيعية التي يعبدها الآريون كالشمس والسماء والرعد وغير ذلك ، ولكنه يكمن وراء كل هذه الظواهر يتصرف فيها دون أن يُرى . ومن هذا نرى أن زردشت وجد بذرة مهيأة فأخذها ونماها وأضاف إليها . وأكد زردشت أن الإله ( اهورامزدا ) هو خالق الكون كله .

ويسمى زردشت الإله « اهورامزدا » مع أن كلمة الإله عند معظم الشعوب الآرية مشتقة من أصل آرى قديم جداً هو « ديو » المأخوذ من الإشراف والضياء ، فلماذا عدل زردشت عن تلك الكلمة القديمة وفضل أن يستعمل بدلها في الدلالة على الله كلمة « اهورامزدا » . لعل زردشت حين رأى الناس في عهده يميلون إلى الشرك ويستعملون كلمة « ديو » بمعنى إله لكثير من الظواهر التي يعبدونها والتي هي من خلق الله وصنعه تحاشى أن يستعمل هذه الكلمة في الدلالة على الله حتى لا يستمر ارتباطها في أذهان الناس ، بعد اعتناقهم الدين الجديد ، بمعاني الشرك وتعدد الآلهة كما كانت الحال من قبل . بل إنه خطأ خطوة أخرى مضادة وجعل لهذه الكلمة « ديو » مدلولاً جديداً مكروهاً هو الشيطان حتى ترتبط معاني الشرك والتعدد بالشيطان لا بالإله . وما يؤيد هذا أن مجموعة اللغات الآرية تستعمل « ديو » في الدلالة على الله بينما يستعملها الزردشتيون في الدلالة على الشياطين والأرواح الشريرة .

\* \* \*

وإذا انتقلنا الآن إلى الحديث عن عقيدة الزردشتين وجدنا أن فكرة التنوية هي أبرز الافكار المتصلة بهذه العقيدة حتى ذهب كثيرون في تفسير هذه الفكرة إلى أن هناك قوتين تسيطران على هذا العالم أحدهما قوة الخير

والثانية قوة الشر . وذكروا أن كل ما في العالم من خير يرجع إلى قوة الخير أو إله الخير وأن كل ما في العالم من شر يرجع إلى قوة الشر أو إله الشر ، وأن هاتين القوتين تتصارعان وتتنافسان في جذب الناس وإغرائهم بالانضمام إلى واحدة منها . وستكون الغلبة في النهاية للخير وسيحقق البوار بقوة الشر ومن انضم إليها . وتصوير الفكرة على هذا النحو غير دقيق . ومن ثم يجب أن نقف عندها قليلا .

إذا تركنا معظم المصادر الفارسية أو الزردشتية ورجعنا إلى أغلب المؤلفات الإسلامية أو الأوربية وجدنا أنها تنص بصراحة على أن الدين الزردشتي دين توحيد . فالقائمشندي يذكر مثلاً عند كلامه على زردشت أنه ادعى النبوة وقال بوحداية الله تعالى وأنه واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند وأنه خالق النور والظلمة ومبدعها .<sup>(١)</sup> ويذكر الثعالبي أن الكتاب الذي جاء به زردشت كان في التسبيح لله وتمجيده وفي الأخبار الماضية والكائنة .. الخ.<sup>(٢)</sup>

وإذا كنا نوافق على أن زردشت قد دعا إلى عبادة الإله الواحد كما يتبين من نصوص كثيرة زردشتية وإسلامية وأوربية فإننا لا يمكن أن نوافق على ما ادعاه زردشت من أن هذه الفكرة ، فكرة الإيمان بوجود إله واحد ، قد جاءت عن طريق الوحي الإلهي . وذلك لأننا ذكرنا فيما سبق أن هذه الفكرة كانت موجودة بين طائفة من الآريين قبل زردشت ، فلم تكن إذاً وحياً إلهياً يدعى زردشت أنه خص به ، وفضلاً عن ذلك فإن هذه الفكرة في ذاتها يسهل

(١) صبح الأعشى : ص ٢٩٣ ج ١٣ ط الاميرية ١٩١٨

(٢) الفرر : ص ٢٥٧

على كل عاقل متدبر في شئون الدنيا ومتأمل في نظام الكون أن يهتدى إليها بالعقل والفطرة السليمة . وإدراك أن هناك قوة عليا تسيطر على هذا الكون وتدبره وتسيره وفق نظام خاص ليس مما يحتاج إلى وحى إلهي وإنما يحتاج إلى ذكاء عقل وعمق تأمل . كما أننا لا يمكن أن نوافق على أن الكتاب الذي جاء به زردشت كتاب أنزل عليه من السماء كما يدعى . وهذا مولتون يذكر أن زردشت قد بدأ دعوته وعنده ميراث ورثه عن أسلافه في الناحية الدينية وهو الإيمان بوجود إله قوى غير ظاهر . وهذا الإله ليس القوى الطبيعية الظاهرة . وأضاف زردشت كثيراً إلى هذه العقيدة التي ورثها .<sup>(١)</sup>

إذاً فما دمنا نوافق على أن زردشت بذكاء عقله ، وعمق تأمله قد أدرك أن لهذا الكون إلهاً واحداً يدبره وينظمه فمن أين جاءت فكرة التوبة وكيف نشأت .

كانت ديانة زردشت قائمة على الإله الواحد ، اهورامزدا ، الخالق الحاكم المسيطر على الكون ، الخفي ، الذي إليه يرفع كل ثناء على ما في الكون من خير أو جمال وإلى يرفع الرجاء والضراعة . ولا يصور الزردشتيون الإله في أى صورة يعبدونها ولا يتخذون له هيئة أو منظراً أولوفاً ، فهو عندهم ضياء لانهاى يفيض عنه كل جلال ، سخاء ، حسن . ويعتبرونه أقوى وأعدل وأكرم من في الوجود ، وأفضاله لا حد لها ، وأى ثناء أو عبادة لأى كائن غيره كفر وبهتان . ويصف زردشت الإله بأنه خالق الأرض والحياة ، وسيد الكون ، في يده جميع المخلوقات ؛ وهو الضياء وهو صدر الضياء ، وهو الحكمة والعقل . ويده كل خير في هذا العالم .

وهو الذى يكافئ المحسن ويعاقب المسمى . وكل ما فى هذا الكون من حسن أو قبح ، سعادة أو شقاء فالله مرجعه . وقد خلق الله روحين أو ملكين يعملان بأمره أحدهما يسمى سپنتو مينيوش Spento Mainyush وهو الملك أو الروح المكلف بشئون النور والزيادة والتكاثر والآخر يسمى انكرو مينيوش Angro Mainyush أو أكامينو وهو الملك المختص بشئون النقص والهلاك . وهذان الروحان يعملان على الدوام تحت سيطرة الإله الواحد . وهذا الإله هو الذى يخلق وهو الذى يهلك عن طريق هذين الملكين . والذين ادعوا أن دين زردشت يدعو إلى الثنائية أساءوا الفهم . وكان سبب هذه الاساءة فى الفهم أنهم خلطوا بين عقيدة زردشت التى تؤمن بالإله الواحد وفلسفته التى اتخذها لتفسير هاتين القوتين اللتين تتصارعان فى مجالين متضادين . وقد دعاه إلى ابتداع هذه الفلسفة ما لاحظته من أن المسألة التى لفتت أنظار الناس من قديم الزمان هى وجود النقائص والشر إلى جانب الفضائل والخير . وهداه فكره لتوضيح هذه الظاهرة إلى تصويرها بهذه الصورة الثنائية . وكل ما فى الكون من خير يصدر بطبيعة الحال عن الإله بواسطة الروح أو الملك المختص وكل ما فى الكون من شر يصدر كذلك عن الإله بواسطة الروح المختص . ويجب أن نذكر هنا أن كلا الملكين لا يمكن أن يعمل ضد إرادة الإله لأنه مأمور بأمره . وال Spento Mainyush هو الذى يصدر عنه كل ما هو مشرق فى هذا الكون وكل ما هو خير ونافع بينما يصدر عن الـ انكرو مينيوش Angro Mainyush كل ما هو مظلم وضار . والأول يدفع الناس إلى العمل والثانى يدعوهم إلى النوم والكسل والحياة تخلق بأمر الله على يد الأول سپنتو وتنطفىء

بأمر الله على يد الثاني انكرو. وهكذا نرى أن وجود ملكين يعملان في اتجاهين مختلفين تحت سيطرة إله واحد ليس معناه الثنائية .

وقد تصورت فلسفة زردشت وجود ستة ملائكة آخرين يعاونون ملاك الخير والبركة « سينتو » يقال لهم « امشا سپندان » وهؤلاء الملائكة هم :

- ١ - اشاو هيشتا ويمثل الصدق والاستقامة
- ٢ - هومنو « طهارة القلب والفكر والقول والعمل
- ٣ - هوخسترا « الاقتدار والملك والغنى والثروة
- ٤ - سينتا آرميتي « العشق والمحبة والتواضع والطاعة لله
- ٥ - هروتات « الكمال في الدنيا
- ٦ - امرتات « الخلود والدوام <sup>(١)</sup>

ويبدو من أسماء هؤلاء الملائكة وما يمثلونه أنهم لم يكونوا سوى أسماء وأفكار معنوية تمثل صفات الله التي يهبها للمتقين من عباده .

وازاء قوى الخير هذه « امشاسپندان » هناك أيضاً عمال الشر الذين يعاونون اهرمين ويسمونهم « كاريكان » . ويقوم كل واحد من هؤلاء بنشر جملة مفساد وشرور في العالم كالتفاق والخداع وتضليل الناس وبث الضعف والقوضى والعصيان والطغيان ..... الخ .

ومن أعوان اهرمين علاوة على هؤلاء أله « كاريكان » عدد من الشياطين « ديوان » .

(١) اخلاق ايران باستان : ص ١٢

وقد كان لشيوع فكرة التضاد والثوية أثرها في الأدب الفارسي. فتسببت الأفعال الطيبة إلى الآلهة والملائكة ، والصفات المرذولة إلى أهرمين وأتباعه من الشياطين « ديوان » .

\* \* \*

وتعني ديانة زردشت كذلك بنوعين من الحياة : الحياة الأولى والحياة الآخرة أو حياة الجسد وحياة الروح . والزردشتيون يعتقدون في الحياة الآخرة ، ولذا تسود هذه الفكرة أناشيد الـ « گائا » ، وجميع الأدب الأُفستى . ويؤمن الزردشتيون بالشواب والعقاب في الحياة الأخرى أو بالسما (الفردوس) والجحيم . ففي الـ « گائا » ، النشيد ٣٠ فقرة ١١ ترى زردشت يحدث الناس قائلاً : إذا عرقتم أوامر الله فيما يتعلق بالقوتين : قوة الخير والشر ، وعرقتم أن الأولى معناها النجاح ، والثانية معناها الشقاء وأن الذين يؤمنون بالأولى ينعمون بالسعادة والذين يؤمنون بالثانية وهم المنافقون الكذابون أعد لهم عذاب أليم . أقول لكم ما دمتم قد عرقتم الفرق بين الاثنين فلن تترددوا في الدخول إلى موطن الحمد والثناء <sup>(١)</sup> . وفي النشيد الحادى والثلاثين الفقرة ١٤ يتساءل زردشت عن الجزاء الذى أعده أهورامزدا للذين يتبعون طريق العدل وعن الجزاء الذى أعده للذين يتبعون طريق الكذب وكيف يكون موقف كل منهما يوم الجزاء . وفي الفقرة ١٥ يتساءل عن العقوبات التى أعدها لأولئك الذين يؤيدون أهل الضلال والنفاق وعن العقوبات التى أعدها لأولئك الذين لا يستسلمون العيش بغير القسوة على الماشية . وفي الفقرة ١٨ من نفس النشيد يجيبه أهورامزدا أن اتباع أهل الضلال مؤد إلى هلاك البلاد والعباد وأن

على زردشت أن يحاربهم بالسلاح . وفي الفقرة ٢٠ يرد عليه أهو رامزد بأن  
الهلاك والظلمة الأبدية واللغات ستكون في اليوم الآخر من نصيب أهل الكذب  
والنفاق . وفي الفقرة ٢١ يعد أهو رامزدا الذين ينصرونه بالفكر والعمل بأن لهم  
الصحة الكاملة ، والخلود ، والعدل ، والقوة وفي النشيد ٤ يتحدث عن الصراط وعن  
جزاء المحسنين في الآخرة ، وانهم صائرون إلى الفردوس ( السماء ) بينما يصير  
الكاذبون المضللون إلى جهنم . واسم السماء في السكاثا «گرودمانا» Garodemana  
أي بيت الأناشيد لأنهم يعتقدون أن الملائكة يرتلون أناشيدهم هناك . والسماء  
عندهم هي مقر الآلهة والأتقياء من الناس . ومن أسماء السماء الشائعة عندهم  
آهو فشتا ( الحياة المثلى ) التي اختصرت فيما بعد إلى فشتا وصارت بالفارسية  
بهشت بمعنى الفردوس . وتسمى السكاثا الجحيم «دروژو دمانا» أي بيت الهلاك  
والإبادة . وللجحيم اسم آخر دوزنها . وفي الفارسية الحديثة دوزخ . وبين  
الفردوس ( السماء ) والجحيم جسر تستطيع أن تمر عليه أرواح الأخيار فقط  
بينما يسقط الأشرار في الجحيم .

\* \* \*

وتعني الزردشتية بالنواحي الخلقية وتتلخص فلسفتها في الدعوة إلى الخير  
في الفكرة وفي اللفظة وفي الفعل . ومن الواجبات التي تفرضها هذه الفلسفة على  
الزردشتي أن يفكر في الخير ، وأن يقول الخير وأن يفعل الخير . وتشبه الزندافستا  
الفضيلة والخير بأنها رداء يشرف به مرتديه ، وتشبه الرذيلة بأنها كساء ينجل  
منه مرتديه . ويعد زردشت الصدق من أسس السعادة ، والكذب من أبشع  
الذنوب ويشجع زردشت الناس على الجد والعمل ويعتبر الكسل مصدر  
الفقر والعار . وعلى الزردشتي أن يتجنب عكس هذا الثلاث فلا يسمح لنفسه

بالتفكير في الشر ، ولا في قول الشر ، ولا في فعل الشر .

\* \* \*

وقد حاول أردشير بابكان أن يحيي الديانة الزردشتية بتطبيق مبادئها وتعاليمها فدعا لتحقيق ذلك جميع أهل العلم والحكمة والدين في مملكته لبحث الوسائل المؤدية إلى ذلك بعد أن أهملت هذه التعاليم منذ أن غزا الاسكندر بلاد إيران . واجتمع في بلاطه ما يزيد على أربعين ألف رجل اختار منهم أقدرهم وأخذوا بإشراف الحكيم أردافيراف في وضع مجموعة من القوانين الخلقية لهداية الناس وردمهم إلى مبادئ الدين والخلق القويم . وتصور هذه المجموعة ما ينال الناس في العالم الآخر سواء في الفردوس أو في الجحيم حسب ما قدمت أيديهم من الأعمال في الدنيا . وقد تخيل أردافيراف أنه رحل إلى العالم الآخر واطلع هناك على أحوال أهل الفردوس وما يصيبهم من نعيم وسعادة جزاء ما قدموا في الدنيا من خير ، وأهل الجحيم وما يلاقون هناك من عذاب وشقاء لقاء ما اقترفوا في الدنيا من شر وإثم . وتسمى هذه المجموعة الهامات أردافيراف أو كتاب أردافيراف . ويصرح زردشت كما تصرح الزندا فستا في كل صفحة من صفحاتها بأن الأعمال الطيبة هي وحدها التي تنقذ الناس في الآخرة من الجحيم وأن كل روح تعاقب أو تكافأ وفق ما قدمه صاحبها في الدنيا . ولعل المكافأة على الخير والعقاب على الشر هما المحور الذي تدور عليه قصة أردافيراف .

وبعد أن انتهى أردافيراف من جولاته في العالم الآخر هبط إلى الدنيا ليحدث الناس عما رآه وليرغبهم ويرهبهم ، وليهديهم إلى طريق الخير والحق .

وتروى القصة أن الملاك كان يخاطب أرداثيراف بعد أن رجع من جولته  
فيقول له :-

« استمع يا أرداثيراف . لا يتم أمر بلا جهد . ولكل جهد جزاء . والعامل  
الفقير الذى يقضى يومه فى العمل النافع يستحق أجره آخر النهار وكذا أولئك  
الذين يقضون حياتهم فى فعل الخير ينالون جزاءهم فى الدار الباقية . وحياة  
الإنسان قصيرة وكثيراً ما انتابته فيها المتاعب والمصاعب . ولا يجوز للإنسان  
إذا قضى من عمره خمسين سنة فى نجاح وسعادة أن يتولاه الغرور لأنه عرضة  
فى أى وقت لأن يقع فريسة المرض والفقر . وكثير من الناس يضحجون  
بالشكوى إذا شقوا يوماً واحداً بعد خمسين سنة قضوها فى المنعة والسرور .

« الزم يا أرداثيراف طريق الحق والصواب وعلم الآخرين أن يقتفوا  
أثرك . ذكر الناس بأن أجسادهم صائرة إلى التراب وأن أرواحهم ، إذا  
كانت صالحة ، صاعدة إلى عالم الخلود فأخذة بنصيحتها من السعادة .

أكثر من الاهتمام بروحك ، وليكن اهتمامك بالروح أشد من اهتمامك  
بالجسد لأن آلام الجسد تسهل مداواتها ولكن من ذا يستطيع مداواة أمراض  
الروح . إنك عندما تزمع فى هذه الدنيا القيام برحلة تزود نفسك لا بحالة بالمال  
والملابس والمؤونة وتبني لنفسك أسباب الوقاية من جميع ما قد يصادفها من  
أخطار الطريق . فإذا أعددت لرحلتك الأخيرة من العالم السفلى إلى العالم  
العلوى ومن هيات من الرفاق لا اصطحابك فى هذه السفرة الطويلة . اسمع  
يا أرداثيراف سأشرح لك ما يلزمك من الذخيرة والمؤونة فى رحلتك إلى الحياة  
الأبدية . ولتعلم أن رفيقك الذى يصنعك فى هذه الرحلة هو الله ، ولكى تحظى

منه بالمساعدة يجب أن تسلك سبيله وتعتمد عليه . ولكن زادك في رحلتك الاخلاص والامل واستحضار ما قدمته من خير . إن جسدك يا أردافيراف إذا أردت له شيئا فبالحصان شبهه ، وروحك الفارس . والزاد الذي يلزم كليهما ، الحصان والفارس ، هو الزاد الصالح . وإذا كان الفارس عاجزا غير مجيد اضطرب تحته الفرس وتعثرت سيره . وإذا ساء أمر الفرس وكان جهوحا اضطرب أمر الفارس . والواجب توجيه العناية اليهما معا . فوجه عنايتك إلى روحك ولا تنس جسدك . والله يا أردافيراف يطلب من عباده شيئين ألا يقعوا في الخطيئة وألا يكونوا بأنعمه من الجاحدين .

علم الناس يا أردافيراف ألا يفرقوا في متع الدنيا ومباهجها فإتبعهم حين يرحلون عنها لا يحملون معهم شيئا منها .

إن الناس ليغترون بأنفسهم في سن الشباب والرجولة المبكرة لأنهم ينعمون بالصحة والقوة ويتوهمون أن القوة لن تتحول ضعفا ، وأن الغنى لن يتقلب فقرا ، وأن الضياع والقصور والمفاخر ستبقى خالدة كما هي ، وأن الجنان ستبقى أبدا خضراء ، وأن الأعقاب ستظل دواما مثمرة . ولكن يا أردافيراف عليهم أن لا يجرروا وراءهم الأوهام ، ولا يتبعوا الظنون ، عليهم أن كل ما في أيديهم ذاهب ، وكل ما يتعلقون به من أسباب النعمة والسعادة زائل ، وأن كل شيء إلى فناء ، وليس باق سوى الإله . . . . .

وتشبه قصة أردافيراف في موضوعها وطريقة معالجتها لهذا الموضوع رسالة الغفران لأبي العلاء المعري والكوميديا الإلهية لدانتى .

\* \* \*

ومن المسائل المهمة في العقيدة الزردشتية مسألة النار . فها هي قصة النار وما هي الدوافع التي دفعت الزردشتيين إلى توقير النار .

يعتبر الزردشتيون الله مصدر الجلال ، والإشراق ، والضياء . ولذا ترى الزردشتي حينما يشرع في الصلاة يقف أمام النار أو يولي وجهه نحو الشمس لأن النار والشمس يبدوان في نظره أقوى الرموز الدالة على الإله . وقد لاحظوا في النار ملاحظات جعلتهم يعتبرونها رمزاً للإله . فالنار أولاً رمز للإشراق والضياء . وهي بهذا أصدق رمز يرمز به إلى الله مصدر ما في الكون من ضياء وإشراق . وفضلاً عما تتميز به النار من الضياء فهي طاهرة ، نشيطة في استعارها وتوقدها ، غير قابلة للفساد . والنار ثانياً من أعظم وأقيد مخلوقات الله فهي نافعة للإنسان ولكل الكائنات والموجودات بما تشع من حرارة وضياء . وبسبب هذه الأهمية العظمى جاء توقيف الزردشتيين لها . والنار ثانياً وعلى الأخص النيران التي تشتعل في بيوت النار تمثل في نظر الزردشتي النقاء والطهارة . ولهم في معالجة النيران المشتعلة في المعابد طرائق خاصة فهم يعرضون النار لعمليات مختلفة حتى تصل في النهاية بعد تلك العمليات إلى درجة النقاء والصفاء والطهارة . وعند ما ينشئون بيتاً من بيوت النار يأتون له بالنيران من جميع الأنحاء ويضعون كل نار منها في إناء ولهم طريقة بعد ذلك يستخرجون بواسطتها ناراً أخرى من كل واحدة من هذه النيران . ومن هذه النار الثانية يستخرجون ناراً ثالثة ، ومن الثالثة يستخرجون ناراً رابعة إلى أن يصلوا إلى النار التاسعة . وهذه النار التاسعة التي استخرجت بعد العمليات التسع السابقة تصبح نقية تمام النقاء ، طاهرة كل الطهارة بعد هذه المراحل التي مرت بها . ولكن ماذا تعني هذه النار عند الزردشتي لأنه ليسأل نفسه إذا كانت النار على عظيم قدرها ، وجليل خطرها ، وهي التي تتخذ رمزاً لله ، بحاجة إلى أن تمر بكل هذه العمليات الطويلة كي تصل إلى درجة النقاء والطهارة فما بالك بي أنا ، وما حوجتي وأنا العبد الضعيف القاني إلى أن أمر أنا الآخر بفكري ولساني ويدي في كثير من عمليات التطهير والتنقية حتى أصل في النهاية إلى أن أكون ذا فكر طيب ،

ولسان طيب ، وعمل طيب ، وبذلك أستطيع أن أحتل مكاناً طيباً في العالم الآخر .  
وليس من السهل أن نعرف متى بدأ توقيير الناس للشمس لأن الناس من  
عصور بعيدة لا يتسنى تحديد لها قد عرفوا النار ووقروها . وكانت عادة عبادة  
النيران معروفة عند الآريين . أما الزردشتيون فإنهم وإن وقروا النيران  
إلا أنهم لم يعبدوها وإنما كانوا ، على نحو ما شرحناه من قبل ، ينظرون إليها على  
أنها رمز للإله العظيم . والزردشتيون حين يصلون يتجهون إلى النار وإلى  
الشمس باعتبارها رموزاً للإله . وما يؤيد هذا أن تريلاتهم في هذه الصلوات  
توجه إلى الإله وحده لا إلى رموزه من نار أو شمس مما يدل على أن  
الزردشتي كان يفرق تفريقاً واضحاً بين الإله وبين رموزه . وليست النار  
عنده معبودة ولكنها رمز للإله المعبود .

وكانوا ينقشون معابد النيران على السكة ، كما كانوا يلقون في النيران العيدان  
الذكية وسائر المواد العطرية لتنتشر الرائحة الطيبة في المكان . وفي أثناء اشتعال  
النيران يرددون الأدعية المختلفة ، وينثر رجال الدين الهوما أثناء تلاوة الأدعية  
أو انشاد الأفتا ، وذلك بعد أن يطهروا غصوته ويدقوها في الهاون . ومن  
الملوك من كان ينثر الجواهر على النار المتقدة في معابد النار كما فعل پرويز في  
بيت نار آذرگشسب (١) .

وبمناسبة نبات الهوم نذكر أن الفردوسي يشير إلى البرسم في أكثر من

(١) الشاهنامه : ص ٢٧٦٨ ج ٩

وراجع أيضاً حديث تنسر عن النيران . المتن والهامش من كتاب تنسر  
الترجمة العربية للدكتور الحشاش ص ٤٤ - ٤٦ .

موضع فكانوا إذا تعبدوا في بيوت النيران اتخذوا معهم البرسم<sup>(١)</sup> . والبرسم عبارة عن غصون مقلوعة من شجرة نظيفة . ويرى البعض أن البرسم يجب أن يقطع من شجرة الهوم وهي شجرة تشبه الأثل ، وإن لم توجد شجرة الهوم فمن شجرة الأثل ، وإلا فمن شجرة الرمان . وتستخدم في قطع هذه الأغصان سكّين لها مقبض من حديد تسمى « برسمجين » ويوضع البرسم على حاملين يسمونها « برسمدان » ويتخذونها من الذهب أو الفضة أو غيرها . ويسمى البرسمدان أيضاً الماهروى لأن نهاية كل حامل مقوسة على شكل الهلال .

ونظراً لأهمية النار عند الزردشتيين سمى الإيرانيون في العهد الإسلامي بيوت النار كعبة زردشت وسموا النار نفسها قبلته . ونظراً لتوقير الزردشتيين النار سماهم الإيرانيون المسلمون عبدة النار ( آتش پرست و آذر پرست )<sup>(٢)</sup> . ولما قهر المسلمون الإيرانيين حطموا معابد النار فضعفت بذلك هيبتها . ولكن حين سمحت الظروف السياسية للشعوبيين أن يفخروا بماضيهم فخر شعراء العربية الذين كانوا من أصل أعجمى بالنار وفضلوها على الطين كما فعل بشار إذ فعلن ابليس على آدم في قوله :-

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار  
ابليس خسر من أيكم آدم فتنبهوا يا معشر الفجار  
ابليس من نار وآدم طينة والأرض لا تسمو سمو النار

(١) الشاهنامه : ص ٢٤٤٦ ج ٨

(٢) آذر بمعنى آتش : النار .

والفردوسي يعرف النار بأنها دليل الضوء الإلهي (نماينده فروغ ايزديست) وأنها قبلة الإيرانيين كما أن الكعبة قبلة العرب .

وكان الإيرانيون إذا ضاق بهم أمر ضرعوا إلى الله في بيت النار عسى أن يكشف عنهم الضيق . وإذا تعبدوا في بيوت النار لبسوا الثياب البيضاء <sup>(١)</sup> وأرخوا شعورهم <sup>(٢)</sup> .

وقد فرض زردشت على أتباعه ثلاث صلوات يدوزون فيها مع الشمس كيفها دارت ، إحداها عند طلوع الشمس والثانية عند انتصاف النهار والثالثة عند غروب الشمس <sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

وكان هناك إلى جانب النار عناصر أخرى يوقرها الإيرانيون كالهواء والماء والتراب . وهم يعظمون الماء لأنه كما يقول الثعالبي قوام الخلق وسبب عمارة الدنيا وينزهونه عن أن يتخذ وسيلة لإزالة النجاسات وإماطة القذارات إلا بواسطة من المائعات مثل ما يستخرج من البقرة ومن قضبان الكروم والشجر . وبلغ من تقديسهم للماء أنهم لا يمدون يدهم إليه إلا للشرب وسقي النبات .

\* \* \*

وقد تأثرت الحياة الاجتماعية للإيرانيين القدماء بالدين تأثراً كبيراً ،

- 
- |               |   |        |     |
|---------------|---|--------|-----|
| (١) الشاهنامه | : | ص ١٣٨٦ | ج ٥ |
| (٢) الشاهنامه | : | ص ١٤٩٦ | ج ٦ |
| (٣) الفردوس   | : | ص ٢٥٩  |     |

وكانت السمة الدينية ظاهرة في جميع نواحي حياتهم الاجتماعية .

فأعيادهم مثلاً كان الباعث على اتخاذها في أغلب الأحوال دينياً فإن لم يكن الأمر كذلك كانت الطقوس الدينية هي المظهر الغالب على هذه الأعياد ولناخذ مثلاً عيد النوروز الذي يقع في اليوم الأول ( اهورامزدا ) من شهر فروردين . ويسميه الزردشتيون المقيمون بالهند في الوقت الحاضر « پتیتی » Pateti وهي مأخوذة من كلمة أفسنية Paitita ومعناها يوم التوبة . وهو ، بناء على هذا ، يوم يصلى فيه المرء ليغفر الله له ما اقترف من ذنوب طيلة العام المنقضى وفي هذا اليوم يصحو الزردشتي مبكراً فيغتسل وينظف ويرتدي ملابسه الجديدة ويؤدي الصلوات ملتصقاً بالرحمة من اهورامزدا له ولأهله . ويبدأ صلاته بتمجيد قدرة الله ويلتمس المغفرة لذنوبه التي اقترفها في العام الماضي ثم يذهب إلى معبد النار ويهدي إليه خشب الصندل . وهناك يعود إلى الصلاة ليستعيد حب الإله ورحمته . وإذا انتهت صلواته وزع الصدقات على الفقراء من رجال الدين والمحتاجين من الناس ، ويقضى بعد ذلك بقية يومه في مرح وسرور مع أفراد الأسرة . وفي هذا اليوم يتزاور الناس للتهنئة بالسنة الجديدة . ولناخذ عيد ريشتوان فإنه أصلاً العيد المؤذن بحلول فصل الصيف . ومن هنا ترى أن الباعث على اتخاذهم هذا العيد لم يكن دينياً ومع ذلك غلبت عليه المسحة الدينية فيه يقام احتفال كبير يحضره جمع غفير من الناس في معبد النار الرئيسي ، وتقام الصلوات وتوجه الترتيلات إلى « ارديهشت امشسپند » وهو الملاك الذي يشرف على الضوء والنار .

وهناك عيد خرداد سال الذي يقع في يوم خرداد من شهر فروردين :

ويصادف هذا اليوم عدداً من المناسبات والحوادث التي يعتز بها الزردشتيون مثل يوم مولد نبيهم . وفي هذا اليوم تقام الحفلات الدينية في الصباح وفي منتصف الليل ، ويقضون ما بينهما في الفرح والاحتجاج .

\* \* \*

وكان من تأثير الدين في حياتهم الاجتماعية أن حجب إلى الزردشتيين الاشتغال بالفلاحة واعتبرها خيراً حرفة .

وتخصص الكهنة الفلاحة والفلاح بالعناية وتعتبر الفلاح مؤمناً وغيره كافراً منافقاً . وفي التريضة ٢٩ الفقرة ٥ يتجه الدعاء إلى الإله اهورامزدا أن يحفظ الفلاح من كل سوء . يصيب أهل النفاق الذين يعيش بينهم <sup>(١)</sup> .

ولا تستغنى الفلاحة والفلاح عن الحيوان والماشية ولذا دعا الدين الزردشتي إلى العناية بالماشية ، وطلب إلى الناس أن يرأفوا بها ، وعد الذين يقسون عليها أعداء للدين . وبشر الذين يعنون بها ويرعونها بالجزاء الحسن . ونهى عن قتل الحيوان أو أكل لحمه وعد الذين يفعلون هذا أو يغرون الناس بفعله من أعداء الدين . ويتردد ذكر الماشية كثيراً في الكائنات . وفي الفقرة الأولى من التريضة الخمسين يقول زردشت من أدعوا لحمايتي وحماية الماشية غيرك يا أهورامزدا . وقد امتدت رعاية المواشى إلى الهند حتى أصبح يتركب بها في الوقت الحاضر .

\* \* \*

وإذا توفى المتوفى منهم بدأت مجموعة من الاجراءات الدينية المعقدة يقوم بها رجال الدين . فإذا توفى المتوفى غسل جسمه ولف في ثياب نظيفة وأخذ الدستور أو الموبد مع غيره من رجال الدين في ترديد نصوص شتى من الزند أقستا الغرض منها الصلاة من أجله ليغفو الله عن ذنوبه . وإذا كان المحتضر من الكا حواسه سرد هذه الأدعية بنفسه وإذا كان غائبا عن رشده ردها بالنيابة عنه ابنه أو أقرب الناس إليه أو رجل الدين الخاص بالأسرة . وإذا فرغ الدعاء والترتيل حملت الجثة إلى ما يسمونه « دخمة » أو برج الصمت أو الناووس . وإذا انتهى الملحدون من وضع الجنان في القبر أخذ رجال الدين والأقارب والأصدقاء الذين اشتركوا في الجنازة يفسلون أيديهم ووجوههم ليؤدوا الصلاة تقرباً إلى الله . ويقوم أصدقاء المتوفى وجميراته ومعارفه بزيارة أقربائه كل صباح ومساء لتقديم واجب العزاء مدة ثلاثة أيام . وفي معتقدات الزردشتيين أن الروح لا تغادر الدنيا في الأيام الثلاثة التالية للوفاة . ولذا يقوم رجل الدين بالصلوات والتراتيل المتصلة خلال هذه الأيام ، وفي صباح اليوم الرابع تفارق الروح هذا العالم إلى العالم الآخر . ولهذا تقام حفلة دينية إما في منزل المتوفى أو في أحد معابد النار مساء اليوم الثالث وقبل شروق شمس اليوم الرابع . ويحضر الحفلة أهل المتوفى والأقارب والأصدقاء . وإذا كان أهل المتوفى أغنياء وزعوا الأموال والصدقات على روجه . وتجلس النسوة من أسرة المتوفى مدة ثلاثة أيام أو عشرة بعد الوفاة على بساط يفرش على الأرض قرب المكان الذي كان يسبح في المتوفى ويتقبلن خلال هذه الأيام التعزيات من صديقاتهن .

ومن أهم الأعمال الدينية الخيرية التي يتقرب بها الزردشتيون إلى الله بناء المقابر

ولا ينسى أهل الميت ذكره فيقيمون له احتفالات الذكرى . وتخصص الأيام العشرة الأخيرة من السنة لإحياء ذكرى الأموات . وتسمى الاحتفالات التي تقام لهذا الغرض «فراورديجان» وتخصص لهذه الاحتفالات إحدى حجرات المنزل وتنظف جيداً وتوضع فيها كل صباح أجمل الزهور وأطيب الفاكهة وتقام الصلوات خلال اليوم . والزهور والقواكه ضرورية في أغلب حفلات الزردشتيين سواء أكانت هذه الاحتفالات للأموات أو للأحياء . وتسعد أرواح المتوفين في عليائها حينما ترى الأحياء يذكرونها ويحتفلون من أجلها .

وكان من عاداتهم أن يمشوا في جنازة المتوفى حفاة حاسري رؤوسهم . ولما بلغ كيكائوس نبأ مقتل ابنه سياوخش نزل من على العرش واقترش الأرض ، وشق عليه ثيابه ، وجلاه القواد والعظماء وكبار رجال الدولة حفاة يعزونه في ملابس الحداد السوداء<sup>(١)</sup> . وكانت أيام المأتم فيما يتصل بالملوك تمتد من شهر إلى أربعين يوماً . وجلس بهرام بن بهرام بن هرمز في مأتم أبيه أربعين يوماً وكان الناس يأتونه من كل مكان للتعزية ويجلسون على التراب إلى جانبه<sup>(٢)</sup> . وكانوا يجلسون في المأتم حفاة حاسرين ، كما كانوا يمتنعون عن الشراب والقصف مدة شهرين لإظهار الحداد على الملك المتوفى<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

حتى الملابس تسلكت الفسكرة الدينية إليها فكانوا يعملون الزنار مثلاً من

(١) الشاهنامه : ص ٦٨١ ج ٣

(٢) الشاهنامه : ص ٢٠١٩ ج ٧

(٣) الشاهنامه : ص ٢٥٦٣ ج ٨

٧٢ خيطاً من صوف الضأن الأبيض، وإنما عمل من ٧٢ خيطاً إشارة إلى فصول  
اليسنا وعددها اثنان وسبعون . وتقسم هذه الخيوط ستة أقسام كل قسم منها  
١٢ خيطاً. وهذا العدد ١٢ إشارة إلى أشهر السنة . وأما الأقسام الستة فهي إشارة  
إلى أعيادهم الدينية الستة التي يحتفلون فيها بستة أيام الخليفة<sup>(١)</sup> . ويجب أن  
يلف الزنار ثلاث لفات . وهذه اللفات الثلاث إشارة إلى الأصول الثلاثة في  
الدين الزردشتي وهي الفكر الطيب ، القول الطيب ، والعمل الطيب<sup>(٢)</sup> . وفي  
اللفة الثانية من هذه اللفات كان الزنار يعقد عقدتين من الأمام . وفي اللفة الثالثة  
وهي آخر اللفات يعقد عقدتين من الخلف . وكل عقدة من هذه العقدات إشارة  
إلى أمر من الأمور فأما العقدة الأولى فتشير إلى الشهادة بوجود إله واحد .  
والعقدة الثانية تشير إلى الشهادة بأن دين زردشت على حق ، والعقدة الثالثة  
إشارة إلى الاعتراف برسالة زردشت . والعقدة الرابعة شهادة على أصول  
الدين التي سبقت وهي الفكر الطيب ، القول الطيب ، العمل الطيب . وفي  
سن السابعة يبدأ لبس هذا الزنار الذي هو عندهم قيد العبودية للإله . وكان  
الزردشتي يكلف لبسه ابتداء من سن الخامسة عشرة حتى يكون لبسه فاتحة  
عهد شباب سعيد . وفي هذه السن يبدأ عندهم الشباب . ولبس الزنار يحفظ  
جسد الشاب من نفاذ شرور أهرimen إليه .

\* \* \*

ومن الآداب الاجتماعية التي تعلمها الزردشتيون من دينهم السكون

(١) راجع : ص ٢٢٢

(٢) راجع : ص ٢٥٤

والزمرمة . والزمرمة هي الكلمات التي يتفوه بها المجوسى فى مدح الله عند  
الشروع فى الأكل أو الاستحمام . والسكرون هو ما يكون منهم أثناء الاغتسال  
أو الأكل .

\* \* \*

وإذا كانت الاتجاهات الدينية قد غلبت على الحياة العامة للإيرانيين إلى  
هذا الحد فمن الطبيعى إذاً أن يسيطر رجال الدين الزردشتيون على الحياة فى  
مختلف نواحيها . ولقد كان زردشت نفسه يشارك فى توجيه الحياة السياسية  
للدولة على عهد الملك گشتاسب كما يتضح من نصوص الطبرى<sup>(١)</sup> . ويذكر  
ابن الأثير أن زردشت أشار على بشتاسب (گشتاسب) بنقض الصلح مع ملك  
الترك وقال أنا أعين لك طالما تسير فيه إلى الحرب فتظفر . وهذا أول وقت  
وضعت فيه الاختيارات للبلوك بالنجوم . وكان زردشت عالماً جيد المعرفة  
بها . . . . ولما قامت الحرب بين ملك الترك والفرس انتصر الفرس فعظم أمر  
زردشت عند الفرس وعظم شأنه حيث كان هذا الظفر بقوله<sup>(٢)</sup> .

وكان الموازنة يتدخلون فى أكثر الميادين فاشتغلوا ، إلى جانب اشتغالهم  
بالدين ، بالطب واشتغلوا بالترية والتعليم . وتروى الشاهنامه أن شيرويه  
ابن پرويز لما بلغ السادسة عشرة من عمره أحضر له أبوه المعلمين والمؤدبين .  
وكان الموبذ واحداً منهم . وكان كثير من الملوك يتخذون من الموازنة مستشارين  
وفاصحين فى شئون الملك والادارة . وكذلك تولى رجال الدين مناصب القضاء ،

(١) الطبرى : ص ٦٧٦ ج ٢ بريل

(٢) ابن الأثير : ص ١٠٦ ج ١

ووضع القوانين والاشراف على تنفيذها . ويمكن القول أن كل فرد كان يخضع لإشراف رجال الدين من المهد إلى المهد . ولم يكن نفوذ رجال الدين راجعاً إلى النواحي الدينية وحدها التي كان الناس يعتمدون فيها عليهم اعتماداً تاماً كشئون الزواج والولادة والطهر وتقديم القرابين والوفاء . . . الخ ، وإنما كان نفوذهم راجعاً إلى سيطرتهم على ميادين الحياة المختلفة بصفة عامة وإلى ثرائهم العريض حتى ليكن القول أنهم كونوا دولة داخل الدولة . وفي عهد الأشكانيين والساسانيين كان رجال الدين يسمون «مغان» . والمغان في الأصل قبيلة من قبائل الميديين أو طبقة منهم كانت فيهم الرياسة الروحية قبل ظهور الدين الزردشتي . وفي الوقت الذي سيطرت فيه شريعة زردشت على نواحي غرب وجنوب إيران في ميديا وفارس صار المغان رؤساء الديانة الجديدة . وكان كل الرؤساء الروحيين ينتخبون من بين طبقة المغان . وبينما كان الساسانيون ينتهون بنسبهم إلى ملوك الهخامنشيين ومن بينهم گشتاسب راعي زردشت كان الموابذة يدعون اتصال نسبهم بمنوچهر من ملوك الپيشداديين .

وكان لرجال الدين مراتب منظمة . ولكن ليس لدينا علم مفصل عنها . وكانت الرياسة العليا في جميع الأمور الدينية والشئون الروحية للموبدان موبد الذي كان يقف في جميع المسائل الدينية النظرية . وكان يوجه السياسة الروحية كما كان من حقه أن ينصب ويهزل الموظفين الدينيين . أما هو فينصبه الشاه في مركزه .

وهناك طبقة الهربدان ورئيسهم هربدان هربد . ومكانه في تنظيماتهم بعد الموبد موبدان . ويروى عن خسرو پرويز أنه بنى كثيراً من معابد النار

وخصص اثني عشر ألف هربد لأجل الرمزمة وتلاوة الأدعية والأناشيد في تلك المعابد .

وهناك من الموظفين الروحانيين الدستور الذي كان فيما يظهر مختصا بالمسائل المذهبية والمباحث العقلية والاستشارات القضائية .

وكانت الديانة الزردشتية على العموم تتدخل في كل صغيرة وكبيرة من شئون حياة الأفراد كالنوم والصحو والأكل وقضاء الحاجة واشعال المصباح وتلاوة الأدعية ... الخ . وكانت التعاليم كثيرة متعددة فلا يجب أن تخبو نار الموقد ، ولا أن يسطع نور الشمس على النار ، ولا أن يلتقي الماء بالنار ، ولا أن تلمس يد الإنسان جسد ميت أو امرأة حائض ، ولا أن يلوث الماء أو يتكلم أثناء الأكل ، ولا أن يبكي الموتي . وكان من السهل على أتباع هذا الدين لكثرة هذه التعاليم وتدخلها في كل صغيرة وكبيرة من شئون الحياة أن ينسوا أو يخطئوا فيكثر بذلك ترددهم على رجال الدين الذين جمعوا من وراء ذلك ثروة طائلة جعلت لهم نفوذا واسعا في البلاد .

#### ضعف الديانة الزردشتية :

ازدهرت الديانة الزردشتية حوالي ألف سنة من حكم گشتاسب إلى غزو بلاد الفرس على يد الاسكندر الأكبر . وأخذ الدين الزردشتي منذ فتح الاسكندر يضعف ويتلاشى لفترة تقرب من خمسمائة وست وخمسين سنة بعد تحطيم الدولة الفارسية على يد الفاتح المقدوني إلى أن جاء عهد اردشير بابكان فرد إلى هذا الدين حياته . وفي عهد هذا الملك بذلت محاولات كبيرة لاعادة

هذا الدين إلى مكانته القديمة . وكان الملك نفسه على جانب كبير من التقى والحفاصة الدينية فجمع كتب الزردشتيين المقدسة وأمر بترجمتها إلى اللغة الهلوية، وبني معابد النار للعبادة وأعاد ديانة الفرس القديمة إلى ما كانت عليه . وجاء من بعده خلف كانوا يعنون بشئون الدين عنايتهم بشئون الدنيا . وكان من حكم ملوك الساسانيين أن الملك لا يصلح بلا دين كما أن الدين لا يصلح بلا ملك . واستمر هذا التجديد والاحياء . للديانة الزردشتية مدة اربعمائة وست عشرة سنة إلى أن أزال الفتح العربى ملك الفرس فى سنة ٦٥١ م فى معركة نهاوند .

وليس من المنطق الطبيعى أن يقضى الفتح العربى على ديانة كالديانة الزردشتية بمجرد الانتصار على الفرس فى معركة من المعارك . والواقع أن الدين الزردشتى كان قد بدأ يضمحل قبل الفتح العربى بزمان حتى إذا جاء هذا الفتح كان الضريرة القاضية .

ويرجع ضعف الدين الزردشتى إلى عوامل كثيرة نجملها فيما يأتى:

كان رجال الدين الزردشتيون متعصبين تمسبا شديدا لدينهم ، وقد دفعوا بعض ملوكهم فى هذا الاتجاه فكانوا يضطهدون اتباع الملل الأخرى وأهمهم المسيحيون . ويظهر هذا الاضطهاد فى الفترات التى تسوء فيها العلاقات السياسية بين دولة الروم ، بعد اعتناقها المسيحية ، وبين دولة الفرس الزردشتية وفى مثل هذه الفترات تزداد قوة الزردشتية وقوة رجال الدين الزردشتيين . وإذا تحسنت العلاقات وصفت بين الدولتين ساعد ذلك على توطيد دعائم المسيحية فى البلاد الإيرانية .

ثم ولى الملك فى الدولة الساسانية عدد من الملوك كانوا بعيدين عن

التعصب الديني . وأدى هذا إلى انتشار المسيحية وضعف شأن الزردشتية . وفي زمان يزديجرد الأول فتح باب جديد في الروابط بين المسيحيين والزردشتيين . وفي الكتابات التي كتبها المؤرخون المسيحيون والمؤلفون الإيرانيون اختلاف كبير فيما يتعلق بأحوال يزديجرد ( يزديگرد ) الأول . وبعض المصادر السريانية التي ألقت في عهد يزديجرد ( يزديگرد ) تصفه بالعدل وجميل الفعال والرحمة بالمسيحيين كما تصفه بالاحسان إلى الفقراء والضعفاء بينما يرى المؤرخين العرب والإيرانيين الذين استمدوا كتاباتهم من تواريخ العهد الساساني وأخذوا مادتهم من عقائد رجال الدين الزردشت وأعيان الدولة يصفونه بأنه الأثيم : « كذا هكار » والمخادع « فريننده » والطيرى يتحدث عن ظله وكيف حل بالرعية . وواضح أن مصدر هذا الاختلاف موقف يزديجرد ( يزديگرد ) بالنسبة للمسيحية والزردشتية . وقد وقع في عهده الصلح بين الدولتين الكبيرتين وحسنت العلاقات إلى درجة أن يزديجرد تولى حماية تيودور الثاني الذي كان طفلا صغيرا . وأوفدت دولة الروم الشرقية إلى بلاط يزديجرد هيئة برياسة ماروثا أسقف ميافارقين . وكان لما روثة هذا وقار وهيئة تبعث على الإجلال فوقع من نفس يزديجرد موقعا حسنا حتى إنه أمر إكراما له بتجديد جميع الكنائس التي خربت ، وإطلاق سراح الرعايا الذين سجنوا بسبب ديانتهم المسيحية كما أجاز بجمع رجال الدين المسيحيين أن يتنقلوا في البلاد كما يشاءون . وعلاوة على ذلك فقد أجاز يزديجرد لما روثة تشكيل مجمع ديني في طيسفون يكون من مهمته النظر في شئون المسيحيين وتوحيد الفرق المسيحية في إيران . وقد اختب هذا المجمع في سنة ٤١٠ م برياسة الأسقف أسحق وما روثة . وبدأ عمله بالدعاء للملك إيران . وكان الأساقفة يدعون إلى بلاط الملك ويتحدثون

معه مما بعث الطمأنينة إلى نفوسهم وأصبح اسحق وماروثا صاحبي السلطة العليا في أمور المسيحيين بحيث يستوجب المجازاة كل من خرج على تعليماتهما . وبعد بضعة سنوات جاء ديهيلاها ، خليفة اسحق ثم أرسل إلى القسطنطينية حتى يزيد من قوة الروابط بين الدولتين . ومع هذه الحماية التي أسبغها يزدجرد على المسيحيين فإن المنازعات بين الفرق المسيحية لم تنقطع . وقد تغير موقف يزدجرد الأول في أواخر عهده نحو المسيحيين . وكان السبب في ذلك المسيحيون أنفسهم إذ أغرتهم الطمأنينة التي عاشوا فيها والحماية التي وجدوها من الملك على الاعتداء على معابد الإيرانيين . ومن أمثلة ذلك أن أحد رجال الدين المسيحيين واسمه هشو تجراً في مدينة هرمزد أردشير الواقعة في خوزستان على تخريب بيت النار الذي كان بالقرب من كنيسة المسيحيين فرفع الإيرانيون الأمر إلى يزدجرد الذي حقق في الموضوع . واعترف هشو بجرمه وأورد ضمن اعترافه الفاظاً وقحة عن الديانة الزردشتية فدعا الملك إليه الأسقف وعبداً ، وكلفه أن يعيد بناء بيت النار فلما امتنع حكم عليه بالاعدام . وكان هذا المسلك الخشن الذي سلكه المسيحيون سبباً في إلحاق الضرر بهم ، وأصدر يزدجرد أمراً قبل وفاته بتأديبهم . ولما جلس بهرام الخامس ( بهرام گور ) شرع في تأديبهم وقتلهم ، فلما رأوا العذاب فر كثير منهم من إيران . وقد أدت هذه الحوادث إلى قيام الحرب بين الروم وإيران ولكنها لم تستمر طويلاً فقد عقد بينهما صلح في سنة ٤٢٢ م أعطى الإيرانيون بموجبه الحرية الدينية للمسيحيين الذين يعيشون في بلادهم وفي نظير هذا منح الروم نفس هذه الحرية الدينية للزردشتيين المقيمين في بلادهم . وخلف بهرام

ابنه يزديجرد الثاني الذي أظهر المودة في أول الأمر للمسيحيين ولكنه غير موقفه منهم بعد ذلك. وتوفي يزديجرد في سنة ٤٤٧ وخلفه ابنه الأكبر هرمزد الثالث فبازعاه أخوه الأصغر بيروز وقامت الحرب بين الأخوين وانتهت بانضمام هرمزد وجلس بيروز على العرش . وفي زمان سلطة بيروز ٤٥٩ - ٤٨٤ كان عالم المسيحية غارقا في مجادلات شديدة فالنساطرة كانوا يعتقدون أن للمسيح طبيعتين إحداهما إنسانية والأخرى ربانية بينما كان اليعاقبة يعتقدون أن هاتين الطبيعتين متحدتان في ذات المسيح . ولم يستطع رجال الدين الزردشتي في ذلك الوقت أن يستفيدوا من هذه الخلافات لتدعيم موقفهم وتقوية شأن دينهم لأنهم كانوا على جانب عظيم من الانحطاط الخلقى (١) . وكان كسرى انوشروان متسامحا واسع الصدر وقد أفسح صدره للعقائد الدينية المختلفة والمذاهب الفلسفية وأجاز للمسيحيين أن يؤسسوا المؤسسات العامة . وفي معاهدة الصلح التي عقدت في سنة ٥٦٢ تمتع المسيحيون بالحرية المذهبية . والظاهر أن ترجمة الانجيل القديمة باللغة الهلوية التي عثر على قطع منها في تركستان الصينية والمحافظة الآن في متحف فولسبرونج في برلين ترجع إلى عهد كسرى انوشيروان . وهناك مسيحي اسمه « بولس برساء » ترجم إلى اللغة السريانية مختصرا من منطق أرسطو وقدمه لكسرى وقد بين له فيه العقائد المختلفة التي تتصل بالله والعالم . وهكذا نرى أن كسرى الأول بعد أن أفسح صدره للديانة المسيحية بدأ يتذوق أفكار الفلاسفة التي لم يكن يسيغها الموأبدية . وزاد في انتشار الأفكار الفلسفية في بلاد إيران تعطيل مدرسة أثينا الفلسفية

(١) محاضرات عن الشعر الفارسي : على أكبر فياض ص ٨٩

في سنة ٥٢٩ هـ والاعتداءات التي وقعت على الحكماء مما ألبأ سبعة من فلاسفة اليونان إلى طيسفون حيث صاروا موضع رعاية كسرى . وبما يدل على تسامح كسرى أنو شيروان ما يرويه الطبري من أن الهرا بذة رفعوا اليه قصة يبغون فيها على النصارى فوقع فيها أنه كما لا قوام لسرير ملكنا بقائميه المقدمتين دون قائميه المؤخرتين فكذلك لا قوام لملكنا ولا ثبات له مع استفسادنا من في بلادنا من النصارى وأهل سائر الملل المخالفة لنا فأقصرنا عن البغى على النصارى وواظبوا على أعمال البر ليرى ذلك النصارى وغيرهم من أهل الملل فيحمدوكم عليه ويتوبوا أنفسهم إلى ملتكم .<sup>(١)</sup>

وكما كانت الثقافة اليونانية معروفة في عهد كسرى أنو شيروان كانت الثقافة الهندية . وفي عهده عرف لعب الشطرنج الذي أهدى اليه من الهند . وراجت في عهده قصص كتاب كليله ودمنه .

وتغلغل نفوذ المسيحية في البلاد حتى وصل إلى البلاط . وكان لكسرى أنو شيروان ابن يسمى انوش زاذ من أم مسيحية جميلة أغراها كسرى بعد زواجه منها على ترك المسيحية والدخول في الزردشتية ولكنها لم تتحول عن دينها . ولما كبر انوش زاذ ورت عن أمه عقيدتها وخالف أباه حتى إنه اتهم فرصة خروجه لغزو بلاد الشام فجمع حوله النصارى وأراد أن يستولى على الملك لولا أن أسرع أبوه كسرى بالعودة وأخذته أسيراً .<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

(١) الطبري : ص ٩٩١ ج ٢ ط بريل

(٢) الأحبار الطوال : ص ٦٩

ومن المعاول التي حطمت الزردشتية في إيران ، بعد المسيحية ، ظهور الدين الماني . وكان ماني من نجباء إيران إذ ينتهي نسب أمه إلى الاشكانيين ومن الجائز أن ينتهي نسب أبيه فتق<sup>(١)</sup> اليهم أيضا . وكان أبوه هذا من أهالي همدان ثم هاجر إلى بابل وهناك ولد ماني في سنة ٢١٥ أو ٢١٦ م . وكان ماني ينطق بالحكمة منذ كان صغيرا فلما تم له أربع وعشرون سنة أتاه ، فيما يزعم ، الوحي وطلب إليه أن يدعو إلى مذهبه الجديد . ولا يسمع مجال بحثنا ، بعدما أوردناه من حديث عن الزردشتية ، بتفصيل الكلام عن سائر المذاهب الأخرى كالمانية والمزدكية وغيرها . وإذا كنا قد فصلنا بعض التفصيل فيما يتصل بالزردشتية فلأنها الأصل . ولكن لا بأس من أن نشير هنا إلى أن ماني قد استمد أصول دياناته من الزردشتية والمسيحية والبوذية . وقد نسجت الأساطير حوله كثيرا من القصص التي تدل على البراعة الفائقة والمهارة النادرة في فنون الخط والنقش .

وكانت شريعة ماني تحض على قمع الشهوة . وترك أكل اللحم وشرب الخمر والتناكح . وقد فرض على أتباعه الصيام سبعة أيام كل شهر وصلوات أربعاً أو سبعا تؤدي كل يوم الأولى عند الزوال والثانية بين الزوال وغروب الشمس والثالثة هي صلاة المغرب بعد غروب الشمس والرابعة صلاة العتمة بعد المغرب بثلاث ساعات .<sup>(٢)</sup> والخلاصة في أمر هذا الدين أنه دين زهد

(١) في الملل والنحل «فانتك» : من ١٤٣ ج ١

(٢) القهرست : من ٣٢٧ وما بعدها .

وتكشف . وقد كثر معتنقوه حتى زاحم الزردشتية وضيق عليها المجال . وألف ماني كتباً كثيرة في الدعوة إلى دينه ، واستمر أمره في ازدياد إلى أن ملك بهرام بن هرمز فقتله .<sup>(١)</sup>

\* \* \*

ثم جاءت المزدكية التي تنسب إلى مزدك الذي كان موبد موبدان في أيام قباد بن فيروز فدعا إلى الاثنينية وحرف دين زردشت وخالفه في كثير من المسائل . وكان مزدك يرى أن التحاسد والتباغض بين الناس يحصل بسبب المال والنساء فلما يسوى بين الناس وينزع من قلوبهم الحسد والبغضاء أمرهم بالاشتراك فيها . وكان طبعياً أن تسهوى دعوته العوام والرعايا فتبعه منهم خلق لا يحصى . وكان أتباعه يتشاركون في النساء والأموال فلا تختص امرأة برجل واحد . وارتفع شأن مزدك ودخل الملك قباد في دينه وبلغت بمزدك الجراءة أن يطلب مشاركة قباد في امراته أم كسرى أنو شيروان . ولما علم كسرى بذلك تضرع إلى مزدك وألح في الضراعة حتى يترك أمه فتركها .<sup>(٢)</sup> ولم ينس كسرى أنو شيروان لمزدك هذا الموقف فإنه بعد أن انصرف قباد عن الدين المزدكي ووكّل إليه أمر المازادكة سارع بقتله وصلبه وتبع أصحابه وأتباعه في كل مكان حتى قتل منهم مقتلة عظيمة .<sup>(٣)</sup> وعمت المجتمع الايراني الفوضى

(١) الآثار الباقية : ص ٢٠٧ وما بعدها

(٢) ابن الأثير : ص ١٦٥ ج ١

(٣) راجع أيضاً سياست نامه :

الخلقية نتيجة هذه الفتنة المزدكية إذ كان الرجل لا يطمئن على امرأته وكان الوالد لا يعرف ولده ولا الولد أباه .

\* \* \*

ومن المذاهب التي انتشرت في المجتمع الايراني إبان العهد الساساني وحولت الناس عن الزردشتية مذهب الدهرية ( الزروانية )<sup>(١)</sup> . وقد انتشر هذا المذهب على عهد يزدجرد الثاني . ويعتبر هذا المذهب الدهر هو المبدأ الأسمى<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

أضف إلى هذا كله أن الطبقات العليا كطبقة الاشراف وطبقة الموازنة لم تعد تلقى في عهد بعض الملوك ما كانت تلقاه في الزمن القديم من الرعاية والتشجيع ولذلك لم تستطع طبقة رجال الدين أن تثبت أمام هذه الهزات العنيفة التي أصابت دينهم في الصميم . ويروي الطبري عن هرمزد بن كسرى انوشيروان أنه كان مقصبا للأشراف وأنه قتل من العلماء وأهل البيوتات عددا كبيرا كما أسقط كثيرا من العظماء وحطمهم عن مراتبهم<sup>(٣)</sup> . ويذكر الثعالب عن خسرو پرويز أنه أشاع الخوف في النفوس فاستوحش منه الكبراء والمراذبة والرؤساء حتى سئموا من أيامه<sup>(٤)</sup> .

(١) زروان بمعنى دهر، ووقت :

(٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام : دي بور ص ١٢ ترجمة إلى رينيه .

(٣) الطبري : ص ٩٩ ج ٢ ط بريل

(٤) التبر : ص ٧١٤ :

### الزردشتية في الحياة الوسطية :

كان للزردشتية وماتلاها من مذاهب وديانات أثر كبير في الحياة الإسلامية. يقول صاحب فجر الإسلام « وعقيدة العامة من المسلمين في الصراط بهذا النمط الذي يحكيه زردشت، وفي الأعراف على هذا الوجه، وتحليق الروح على الجسد وإقامة الشعائر لذلك ثلاثة أيام كل هذه عقائد تشبه مشابهة تامة ما في الديانة الزردشتية. »<sup>(١)</sup> ويقول « ونلح وجه شبه بين رأى أبى ذر الغفاري وبين رأى مزدك في الناحية المالية فقط فالطبري يحدثنا أن أباً ذر قام بالشام وجعل يقول : يامعشر الأغنياء واسوا الفقراء . بشر الذين يكسزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تسكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فما زال حتى ولم الفقراء بمثل ذلك وأوجبه على الأغنياء وحتى شكوا الأغنياء ما يلقون من الناس .... فترى من هذا أن رأيه قريب جدا من رأى مزدك في الأموال . »<sup>(٢)</sup> ويذكر أيضاً بعد أن انتهى من الحديث عن الفرق الدينية التي ظهرت في الإسلام أن آراء هذه الفرق « قد صدرت عن عقليات مختلفة من فرس وروم وسريان وعرب وغيرهم . وكانت هذه العقليات تؤمن بأديان مختلفة من يهودية ونصرانية ومجوسية ووثنية وغيرها . ولو ظلت الأمة الإسلامية عربية فقط لرأينا فيها أمثال الخوارج وأمثال المرجئة ولكن ما كنا نرى فيها مذاهب الشيعة الغالية وتعاليمهم الغريبة، وما كنا نرى المعتزلة وأبحاثهم

(١) فجر الإسلام : ص ١٢٨ ط ٣

(٢) نفس المصدر : ص ١٣٦

الفلسفية ومذاهبهم الحقيقة .<sup>(١)</sup> بمثل هذه النصوص كفانا المؤلف مشقة الكلام في هذا الموضوع بوجه عام .

وقد أثرت الديانة المانية في الحياة الإسلامية تأثيرا كبيرا . وكان كثيرون يعلنون الاسلام ظاهرا ويؤمنون بها باطنا . ويذكرون كريم أن كلمة زنديق كانت تطلق في أول الأمر على كل من اعتنق المبادئ والأفكار الفارسية القديمة ثم خص بها فيما بعد أتباع الديانة المانية . ومن أدلته على هذا نص استخرجه من الحيوان للجاحظ . وفي هذا النص يتحدث الجاحظ عن الزنادقة وأنهم حريصون فيما يكتبون على اختيار الورق النقي الأبيض ، والكتابة بالحبر الأسود البراق ، وإجادة الخط حتى إنه - أي الجاحظ - لم ير كورق كتبهم ورقا ولا كالخطوط التي فيها خطأ . ومع ذلك فإن كتبهم وإن حليت بجودة الورق وجمال الخط وحسن المظهر فقد عريت عن الفوائد التي يصح أن تكتسب من الكتب كمعرفة الصناعات والتجارات وسبل التكسب ونحو ذلك وفي رأيه أنهم يتخذون هذه الكتب دعاية لدينهم وينفقون عليها عن سعة كما ينفق النصارى على البيع وصدان الذهب . ويستنتج قون كريم من نص الجاحظ أن هذا الكلام الذي ذكره عن الزنادقة ينطبق تمام الانطباق على المانية ، فهم الذين يعنون في كتاباتهم بالزخرفة والتميق ويفتنون في ذلك افتتانا عظيما ، فضلا عن أن محتويات هذه الكتب كما عرضها الجاحظ ينطبق إلى حد بعيد على ما ذكره صاحب الفهرست عن محتويات كتاب المانية الديني . ويمضي قون كريم فيذكر أن المانية كانت معروفة في عصر الجاحظ وأنها كانت محل تقدير وعناية

حتى إن كاتبين مشهورين كالجاحظ ، وابن النديم ذكراها بصراحة في مؤلفاتها . ويرى قون كرمير أن المائة تشتمل على فروض تشبه ما جاء به الاسلام فكان على المائى أن يؤدي في اليوم الواحد عددا من الصلوات يختلف بين أربع وسبع . وكانت كل صلاة تتألف من عدد من السجعات - وكان عليه أن يتطهر قبل الصلاة كما فرض عليه أن يصوم ثلاثين يوما . واستطاعت المائة أن تستميل اليها عددا من المسلمين أغلبهم من غير العرب .<sup>(١)</sup> ومن مظاهر توغل المائىة في الحياة الاسلامية أن الجعد بن درهم مؤدب مروان بن محمد<sup>(٢)</sup> كان من أتباع هذا المذهب . وكان ممن يدعون لهذا المذهب وإن أظهر الاسلام صالح بن عبد القدوس ، بشار بن برد ، أسحق بن خلف ، سلم الخاسر ... الخ . ويقال أن البرامكة جميعا الا محمد بن خالد بن برمك كانوا من معتق هذه الديانة . وكان محمد بن عبيد الله كاتب المهدي زنديقا فقتله المهدي .<sup>(٣)</sup> ومن محاكمة الأفشين تبين أنه كان يضرر العداوة للاسلام ويحن إلى عبادته القديمة ويسعى إلى هدم دولة المسلمين . واعترف الأفشين في محاكمته أنه كان يميل إلى الأعجمية وإلى أهلها وأنه كان يأمل أن يعود دينه القديم إلى ما كان عليه أيام العجم .<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

(١) الحضارة الاسلامية لقون كرمير ص ٥٥ وما بعدها ترجمة مصطفى طه بدر .

(٢) ينسب مروان إلى مؤدبه فيقال له مروان الجعدى .

(٣) القهرست : ص ٣٣٨ . وفي الفخرى أن الذى اتهم بهذا القتل هو

ابنه . راجع الفخرى ص ١٦٣ ط المعارف

(٤) راجع أيضا الفصل الخاص بالزندقة في ضحى الاسلام ج ١

وبالإضافة إلى انتشار المعتقدات الإيرانية القديمة في المجتمع الإسلامي وجدت فرق دينية كثيرة شغلت العالم الإسلامي فترة طويلة وأقلقته بالدولة. ونكتفي بالإشارة السريعة إلى بعض هذه الفرق. فمنها المسلمية الذين ثاروا على الدولة العباسية بعد مقتل أبي مسلم وكان منهم سببا الذي خرج بخراسان يطالب بثأره.

\* \* \*

ومن هذه الفرق الراوندية التي قاومها المنصور مقاومة فعالة. وكان المنصور يعتبر الراوندية أعداء سياسيين للدولة لأنهم كانوا يبخون تحويل ملك العرب إلى الفرس، وأعداء دينيين لأنهم كانوا يؤمنون بالمبادئ الدينية الإيرانية القديمة كالزردشتية أو المانية أو المزدكية<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

ومنهم المقنعية الذين ينسبون إلى الملقح الذي ظهر بخراسان أيام المهدي، وكثر أتباعه في المناطق الشرقية كبخارى وسمرقند، واستطاع المهدي أن يقضي عليه ولكنه تعاليمه بقيت منتشرة في بلاد ماوراء النهر واعتبره أتباعه إلها. وكانوا يرتكبون المنكرات ويستحلون النساء ويتأصبون الإسلام العداء.

\* \* \*

ومنهم الخرمية. والخرمية في أصلها فرقة قديمة نشأت في بلاد إيران أيام قبادة الساساني أبي كسرى انوشروان ومنها طائفة المزدكية. وهذه الخرمية القديمة

هي التي يقال لها الحرمية الاولى تميزا لها عن الحرمية الثانية التي ظهرت في  
العهد الاسلامي أيام المأمون والمعتصم ، وتنسب هذه الأخيرة إلى بابك  
الحرمي فيقال لها الحرمية البابكية . وهذه الفرقة كغيرها من الفرق السابقة  
تنعصب للفرس ، وتسعى في تحويل الملك عن العرب اليهم ، وكانوا يقولون  
بالنور والظلمة ، ومنهم من أباح النساء .

---

# ١٥ — نقد الشاهنامة

الظاهر أن الأقاصيص والأساطير التي تضمنتها الشاهنامة لم تكن مما يروق القدماء من المؤلفين وخاصة الاسلاميين منهم . وقد ذكرنا من قبل رأي ابن الأثير الذي يصف هذه الأساطير بأنها مما تمجه الأسماع وتآباه العقول والطباع . وأشار ابن الأثير إلى أسطورة الضحاك ووصفها بأنها من أكاذيب الفرس الباردة وأن لهم فيه أكاذيب أعجب <sup>(١)</sup> . وينظر البيروني إلى هذه الأقاصيص نظرة ابن الأثير فيقول : ولهم في تواريخ القسم الأول ( يقصد الپشداديين ) وأعمار الملوك وأفاعيلهم المشهورة عنهم ما يستفز عن استماعه القلوب وتمجه الآذان ولا تقبله العقول <sup>(٢)</sup> . وهناك مؤلف أرمني اسمه موسى الخورينى Moise de Khorene كان ينظر إلى أقاصيص الفرس هذه نظرة احتقار منعتة من الاسهاب في الحديث عنها <sup>(٣)</sup> .

وواضح أن هذه الأقاصيص والأساطير لم تعجب هؤلاء المؤلفين وامثالهم لأنهم كانوا يبحثون عن حقائق يؤرخونها ويدونونها وليس في هذه الأساطير الخرافية ما يعينهم على ذلك . وكانت تغلب على تفكيرهم عقلية المؤرخ والعالم لا الاديب . وابن الأثير ، وهو مؤرخ ثقة ، يذكر أنه لم يجد في أقاصيص

(١) ابن الأثير : ص ٢٦ ج ١

(٢) الآثار الباقية : ص ١٠٠

(٣) J. Mohl : Livre des Rois. Preface, p. v. Paris 1838

الفرس ما ينفعه في تاريخه فعزم على أن يتركها ثم عاد فأثبتها ولم يفته أن يعاق عليها برأيه الذي ذكرناه فيما سبق .

ولكن الشاهنامه لقيت من الرواج في العصور القديمة مادعا الأدباء إلى تقليدها ومحاكلتها في كل عصر وفي كل بلد على نحو ما ذكرناه من قبل ، ولقيت من الاهتمام في العصور الحديثة مادعا العلماء إلى دراستها وترجمتها ونشر الأبحاث الصافية عنها في أغلب لغات العالم .

ولنتقل الآن إلى نقد الشاهنامه .

تعتبر الشاهنامه مرجعا هاما يصور لنا حياة الايرانيين القدماء في أكثر نواحي الحياة . ولما كان ههما منصبا على الملوك وأمجادهم ومفاخرهم كان تصويرها لهذا الجانب من المجتمع الايراني ، جانب الملوك والطبقات العليا التي تتصل بالملوك ، أو في من تصويرها للجانب الشعبي من المجتمع الايراني . والشاهنامه معذورة في هذا لأنها كتاب الملوك وليست كتاب الشعب . وقد وصفت الشاهنامه جميع من تعرضت لذكرهم من ملوك الايرانيين وأمرائهم وأبطالهم بقوة البدن ، وجمال الخلقة ، وحسن الخلق . ولا بد أن يكون الأمر كذلك بطبيعة الحال في كتاب وضع لتمجيدهم .

ومن أثر هذه العناية بالملوك في الشاهنامه كثرة الحروب فيها لأن الحروب وسيلة الملوك إلى الغزو والفتح وبسط السلطان وازدياد القناتم والأموال ، وداعية إلى إعلاء الذكر وتخليد الأثر . وقد أجاد الفردوسي وصف ميادين القتال والحديث عن الأبطال . وتسيطر على شعر الشاعر في هذه النواحي

روح البطولة والقوة . ولا تستغرب هذه الإجابة في وصف الحروب من شاعر لم يعرف عنه أنه اشترك في معركة لأنه كما قلنا كان ينظم عن قصص مكتوبة .

\* \* \*

ومن أثر العناية بالملوك في الشاهنامه أن غلبت عليها النزعة الفردية لا الجماعية أو القومية فالتمجيد في أغلبه ينصب على أشخاص الملوك وذوات الأبطال . وقليل ما نجد هذا التمجيد يخرج إلى نطاق أوسع من هذا كالمجتمع الذي يعيش فيه هؤلاء الملوك أو الشعب الذي ينسب إليه هؤلاء الأبطال . وتمجيد الشاهنامه الملوك والأبطال الخالدين أمثال رستم تمجيد لذواتهم وأشخاصهم قبل أن يكون تمجيذا للشعب الإيراني الذي يمثلونه . والشعب الإيراني هو الذي يفخريهم وقلبا فخر واهم به . ومن الأبطال الذين تفخريهم الشاهنامه رستم ، وقد مر من قبل ، سهراب ، طوس گيو ... الخ . وقد جمعت الشاهنامه كل الفضائل في هؤلاء الأبطال . فالشجاعة والإخلاص وطيبة القلب وسداد الرأي وقوة العزيمة وغيرها من الفضائل مما نجده في هؤلاء الأبطال . وكان أغلب أبطال الشاهنامه من الإيرانيين . ولم يكن بين التورانيين جميعا بطال يستحق الذكر سوى افراسياب . ومع ما كان لأفراسياب من القوة والشجاعة فإنه إذا قيس إلى جانب رستم بدا هزيبا . وسهراب ، لأنه ابن رستم ، كان له من الخصائص ما لا يهـ حتى إن أباه حين بارزه تعب كثيرا قبل أن يتمكن من التغلب عليه . وكان أبطال الإيرانيين على خالق عظيم فلا مكر ولا خديعة ولا انحراف عن أصول الحروب المرعية بينما لم يتورع التورانيون عن الكذب ، والخداع ، والاستمانة بالسحر والسحرة

وبينما كان القرار عند الإيرانيين عاراً عظيماً كان التورانيون لا يحجمون عنه إذا وجدوا فيه النجاة . وكان الإيرانيون يعتبرون الإغارة بالليل عيباً ونقصاً بينما كان التورانيون يعمدون إلى هذا الأسلوب في القتال لضعفهم وعجزهم . ويرى مول أن الفردوسي كان دقيقاً في نقله عن الأصل الذي كان ينظم عنه . ودليله على هذا أن الصفات التي تراها لأبطال الشاهنامة هي نفس الصفات التي تراها في الكتب الدينية لنفس الأبطال أمثال جمشيد، فريدون، ومنوچهر، وگشتاسپ اسفنديار . وكل ما بينهما من فرق أن العرض في الشاهنامة عرض أدبي حماسي وفي الكتب الدينية عرض ديني بطبيعة الحال . كما أن هؤلاء الأبطال يؤدون نفس الدور في كل من الشاهنامة وتلك الكتب الدينية التي تحدثت عنهم <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وتحدثنا الشاهنامة ، بمناسبة المقارنة بين أبطال الإيرانيين والتورانيين ، عن كثير من الأمم التي كانت تعاصر الإيرانيين في تلك الحقبة من الزمان التي تعرضت لها الشاهنامة . وأهم من ورد ذكرهم في الشاهنامة غير الإيرانيين التورانيون ، الروم ، الهنود ، الصين ، والعرب .

وكان بين الإيرانيين والتورانيين والروم صلات قرابة ونسب فالتورانيون والروم من بني اعمام الإيرانيين لأن الجميع ينتهي نسبه إلى افريدون . وملوك الروم من نسل سلم ، وملوك إيران من نسل لهرج ، وحكام توران من نسل تور . وقد كانت لهم إلى جانب هذه القرابة مصاهرات فتزوج سياوش فرنگيس

ابنة افراسياب وتزوج انوشيروان ابنة خاقان ، وتزوج گشتاسب ابنة قيصر ،  
وتزوج پروزيم مريم ابنة قيصر .

أما الهنود فلم يكونوا من أقارب الايرانيين . ولكننا نرى بعض صلات  
المودة تنشأ بينهم وبين ملوك الشاهنشاهة في العصر الساساني - فتصاهر بهرام  
گور مع ملك الهند . وتبودلت الهدايا من الجانبين في عهد كسرى انوشيروان  
فأهداه ملك الهند لعبة الشطرنج واهداه انوشيروان لعبة النرد .

أما الصين فلم يكن لهم شأن كبير في الشاهنشاهة وكانوا على اتفاق مع  
التورانيين في الغالب يستعينون بهم إذا قهرهم الايرانيون . ويبدو من الشاهنشاهة  
أنها تمزج بين الصين والتورانيين فملك التوران أو خاقان الترك كان يلقب  
أحيانا خاقان الصين وكان خاقان الصين ينصر افراسياب التوراني على أعدائه  
الايرانيين .

أما العرب فكانوا على عداء مع الايرانيين . ولما كان الضحاك شريرا  
مكروها عند الايرانيين اعتبرته الشاهنشاهة دخيلا وعدته من العرب . فهو  
إذا يمثل العنصر العربي المكروه عند الايرانيين . وفي العهود القديمة من  
الشاهنشاهة كانت العداوة والمكرهية هي الغالبة بين العرب والايرانيين . وفي  
العهد الساساني كانت علاقة المودة وحسن الجوار هي الغالبة . ويذكر  
الدكتور عزام أنه رغم هذه العداوة بين العرب والايرانيين في العهود القديمة  
كان لهم مع ذلك صلات صهر ومودة تنجلي في زواج أبناء أفريدون الثلاثة  
من بنات ملك الصين ، وفي زواج زال بن سام من بنت مهرباب ملك كابل  
العربي الأصل مما جعل العرب أخوال رستم (١) .

بين هؤلاء الأقوام والأمم ليس هناك قوم أرقى وأعظم من الإيرانيين . وبطل الإيرانيين رسم ليس له نظير بين أبطال العالم . وعلماء الإيرانيين وحكاؤهم لا يتناول إلى مستواهم حكماء الأمم الأخرى . وحسبك أن تعلم أن ملك الهند حين أهدى الشطرنج إلى انوشيروان استطاع بزرجمهر الحكيم الإيراني أن يفك رموزه بينما لم يستطع حكماء الهند أن يفهموا سر الترد دون الرجوع إلى علماء الإيرانيين أنفسهم . ويظهر هذا التعالي والكبرياء في مواضع شتى من الشاهنامه ، فحين تقدم ييلسم أخو پيران يطالب مبارزة رسم هزى به كيو البطل الإيراني وأفهمه أن رسم يترفع عن مبارزة تركى مثله . وما يمثل طيبة العنصر الإيراني ولؤم العنصر التوراني كما تصوره الشاهنامه موقف گودرز من پيران عندما تبارزا . فقد أراد البطل الإيراني لغريمه الشيخ الحياة ولكن الشيخ التوراني أراد له الموت . وهذه الحادثة تبين ما كان عليه المقاتل الإيراني من المروءة والشجاعة وما كان عليه المقاتل التوراني من الجبن والخسة ومن مظاهر مروءة الإيرانيين وعلو أنفسهم أن أفراسياب لما انهزم هرب من قلعته التي كان يتحصن بها فدخلها كيخسرو ودخل الفاتح الظافر ومع ذلك لم ينتهك حرمة من فيها من النساء ولم ينتهب ما وجدته من الأموال والمتاع وسائر المقتنيات ، وأمر جنده ألا يتعرضوا لأحد من أهل أفراسياب بالسوء .

\* \* \*

وكما تعرضت الشاهنامه لسائر الأقوام تعرضت أيضا للديانات المختلفة التي عاصرت حوادثها كالزردشتية واليهودية والمسيحية والاسلام والمانيّة والمزدكية وقد تحدثنا عن هذه الديانات فيما سبق إلا اليهودية والاسلام .

أما اليهودية فقد تعرضت لها الشاهنامة في موضعين : الموضع الأول  
في عهد بهرام جور في ثانيا قصة براهام اليهودي الغني الشحيح وكان بهرام  
قد سمع بأنباء غناه وبخله فأراد أن يجرب ذلك بنفسه ، فنسكر في رى فارس  
من فرسان الملك وطرق بابه . ولما فتح الباب ادعى بهرام أنه ضل الطريق  
ويخشى أن يواصل السير ليلا ورجا اليهودي أن يستضيفه تلك الليلة . لكن  
اليهودي اعتذره بحقارة المكان وضيق البيت وبأن ليس عنده مكان لاستضافته .  
فألح بهرام على اليهودي وأطال في الإلحاح حتى قبل أن يسمح له بالبقاء على  
شروط منها أن يقضى ليلته على عتبة الدار خلف الباب ، وأن لا يكلفه نفقة  
في طعام أو شراب ، وأن يتعهد قبل رحيله في الصباح بإزالة قدر الفرس  
وتظيف المكان ، وأن يدفع تعريضا مناسباً لكل ما قد يحطمه الفرس فقبل  
بهرام وحط سرجه ورحاله خلف الباب . وبعد قليل أتى اليهودي بالطعام  
فنعش وحده ولم يدع ضيفه ثم جاء بالشراب فشرب وحده ولم يقدم شيئاً  
لضيفه . وفي الصباح عند ما هم بهرام بالرحيل استوقفه اليهودي وطلب إليه  
أن يفى بشرطه فيكس ما تخلف عن الفرس وينظف المكان . والموضع  
الثاني الذي تعرضت فيه الشاهنامة لليهودية في قصة مهبود وزير كسرى  
أنوشيروان . وكان لمهبود ولولديه شأن كبير عند كسرى أغاظ حاجبه  
فعزم هذا الحاجب على التخلص منهم بأن لجأ إلى أحد اليهود وعهد إليه  
الاحتيايل في القضاء عليهم . وقد نجح اليهودي فيما عهد به إليه ، ونجحت حيلته ،  
وقضى أنوشيروان على مهبود وأسرته وخلع الجواب بذلك للحاجب وللإهودي  
شريكة في الجريمة . ومن موجز هاتين القصتين يتبين القاري كيف كانت  
الشاهنامة تنظر إلى اليهود وإلى اليهودية .

أما الإسلام فتارة يتحدث الفردوسي عنه حديثاً شخصياً ذاتياً بمعنى أن هذا الحديث ليس بما يوجد في النص الأصلي الذي ينظم عنه الشاعر . ومثل هذه الأشعار التي يتحدث فيها الشاعر هذا الحديث الشخصي توجد غالباً في أوائل القصص أو خواتيمها ، أو عند التعرض لأحوال الشاعر الخاصة من ضعف أو فقر أو شيخوخة أو رزء أصيب به أو نحو ذلك . فالشاعر هنا في هذه الأحاديث الشخصية الذاتية يعبر عن أفكاره وعواطفه وفي ثانياً هذا التعبير يتعرض للدين والإسلام . وتارة أخرى يتحدث عن الإسلام حديثاً موضوعياً لا دخل لأفكاره وعواطفه الخاصة فيه بمعنى أنه إنما ينظم ما يجده مشوراً في مصادره عن الإسلام أو المسلمين . ومثل هذا الحديث هو الذي يرد في سياق الحوادث والوقائع دون أن يكون له صلة شخصية بالشاعر .

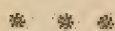
وكل أشعار الشاعر الشخصية عن الإسلام لا تحتاج إلى مناقشة أو جهد ، لأنه فيها رجل مسلم مؤمن متشيع يفضل علياً على أصحابه ويخصه بالمدح والثناء حتى كانت هذه تهمة التي اتهم بها لدى السلطان محمود . والأمر هنا واضح . أما أشعاره الموضوعية فتحتاج إلى وقفة وتأمل . وتبدأ هذه الأشعار الموضوعية عن الإسلام برؤيا رآها كسرى أنوشيروان في أواخر عهده . وتتلخص هذه الرؤيا التي رآها في أن شمساً قد أشرقت وسطعت في الليل على سلم ذي أربعين درجة وأنها استطالت وامتدت حتى بلغت عنان السماء . وكانت هذه الشمس تبرغ من الحجاز وقد عم نورها الآفاق حتى أصبح الكون كله منيراً إلا إيوان كسرى فإنه بقي مظلماً . وقد أفرغ كسرى ما رآه وكتب الأمر في نفسه إلى أن أصبح الصباح فدعا إليه بزرجمهر وأسر إليه رؤياه . وقد فسرها بزرجمهر بظهور رجل من العرب بعد أربعين

عاما ( من ذلك التاريخ ) يدعو الناس إلى صراط مستقيم فيلتفون حوله ولا يتخلف عنه أحد . وبعد موت هذا الرجل تتقدم الجيوش من الحجاز نحو إيران فتلقى عن العرش من يتولى ملكها من أحفاد كسرى . وتلغى عند ذاك الاحتفالات الدينية فلا يبقى سدى أو غيره وتنطفئ النيران المقدسة وتنمحي عبادة النار والشمس <sup>(١)</sup> . وهذه القصة تشير إلى الدين الاسلامي إشارة الاحترام والتقدير وتصف النبي بأنه يدعو الناس إلى صراط مستقيم . أما ما تذكره الشاهنامة في ثانيا الحوادث التي جرت بين سعد بن أبي وقاص ورسم ابن هرمزد قائد الإيرانيين من أن العرب حفاة عراة لا يجلسون على تحت ولا يتسمنون في حروبهم فيلا ، وأنهم يشربون الألبان ، ولا يعرفون فاخر اللباس وشهى الطعام وما إلى ذلك من النعوت والأوصاف فلا يصح أن يحمل على غير حقيقته فيما يتصل بالفردوسي نفسه . والحقيقة أن الفرس كانوا يصفون العرب بهذا وبأكثر منه وقد أجمعت المصادر التاريخية على صحة هذا فلا ذنب للفردوسي إذا أورد هذا الكلام التاريخي الصحيح ، ولا يصح أن يستدل من هذا الكلام على أن الشاعر له ميول دينية لا تتفق مع الاسلام . ولا ضير على الشاعر كذلك إذا وصف قدوم شعبة بن المغيرة <sup>(٢)</sup> رسول سعد ابن أبي وقاص إلى قائد الإيرانيين في ثياب مهلهلة وكيف كان يتجنب السير فوق البسط المفروشة ويمشي فوق التراب . فهذا ومثله من حقائق التاريخ . ثم هو - أي الفردوسي - يمجّد الاسلام والمسلمين ، ويهون من شأن الدنيا

(١) الشاهنامة : ص ٢٥٦٤ ج ٨

(٢) الصواب المغيرة بن شعبة .

وزخرفها ولا يتخذع بزيها وبهرجها من ملابس فاخرة أو مطاعم غالية أو  
متع فانية في الكتاب الذي كتبه سعد بن أبي وقاص إلى رستم يدعو فيه إلى  
الاسلام ويعده إذا دخل في الدين الجديد ويتوعدده إذا أبى . فالفردوسى إذا  
لم يمس الاسلام والمسلمين بسوء . وإذا كان قد وصف العرب على لسان الفرس  
ببعض الاوصاف الخسنة : أو قدم لنا بعض الصور عن جهلهم بأسباب  
الحضارة التي كان ينعم بها الفرس فلا ضير عليه في ذلك لأن هذا كله مما ثبت  
في التاريخ . ولا يمكن أن نستفيد من هذا ما يدل على عدا الفerdوسي للاسلام  
والمسلمين . صحيح أن الفردوسى يبدو في كثير من المواضع معجبا بالقدماء من  
مواطنيه ، وأنه يأخذ على عاتقه الدفاع عنهم كما دافع عن عبادتهم للنار ونبه إلى  
أن النار لم تكن عندهم معبودة في ذاتها . وشبه اتجاه الفرس في صلواتهم نحو  
النار باتجاه المسلمين في صلواتهم نحو الكعبة . وليست الكعبة معبودة عند  
المسلمين ، وأنه يتأسف على ملكهم ومجدهم الذي زال على يد العرب . وهذا كله  
من تعصبه لقومه ولا يعقل أن نطلب من إيراني غيور أن ينكر ما كان لقومه  
من المفاخر والأجاد أو أن ينتهج لزوال ملكهم ودولتهم .



والروح الوطنية والقومية واضحة في الشاهنامه وهي من أبرز خصائصها .  
وما ذكرناه من قبل ضروب من هذه الوطنية التي تعزز بكل ما هو إيراني .  
وللشاهنامه فضل على الايرانيين في هذه الناحية فقد كان الشعور الوطني  
والعصبية الوطنية ضعيفين عند الايرانيين بعد الفتح الاسلامي . وعملت  
الحكومات العربية على إخماد الروح الوطني عندهم ولم يعد للإيراني علم بتاريخ

بلادهم القديم ولا يحضرها التليدة ، وامتزج الإيرانيون بالعرب واختفت مقوماتهم الشخصية . ولما قدم الفردوسى شاهنامه إلى الإيرانيين وتداولوها سرت فيهم روح جديدة وأحسوا بشخصيتهم وكيانهم ومقوماتهم الذاتية وأخذوا يصلون حاضرم بماضيهم بعد أن كانت الصلة بينهما منقطعة . وهذه الروح الوطنية سادت جميع الروايات والتأليف التي تنصل بتاريخ إيران القديم ومن بينها تلك الشاهنامه المنشورة التي اعتمد عليها الشاعر في نظم شاهنامه . ولكن الفردوسى باعتباره شاعرا عظيما ، ووطنيا متمصبا زاد في قوة تلك الروح وفي جمالها وفي شيوعها كذلك بعد أن ذاعت منظومته .

ويظهر أن عداوة الإيرانيين للأتراك في الشاهنامه التي عاش في جوها الشاعر سنين طويلة حتى فرغ من النظم قد مكنت في نفسه العداوة للأتراك في الحياة الواقعية ، ولم يكن الشاعر يطبق أن يرى وطنه محكما بالأتراك ( الغزنيين ) ، وربما كان هذا الشعور الذي امتزج بنفس الشاعر في القصة ، وفي الحياة سببا من أسباب الود المفقود بينه وبين السلطان محمود الغزنوى .

وكثيرا ما يطلق الشاعر لنفسه العنان فيحدث مثلا عن شيخوخته وضعفه وفقره ، وعلاقاته الخاصة مع غيره من الناس ، والدنيا وأحوالها ، والكوارث التي حلت به كموت ابنه ، والأمل في العطاء الذي كان يراوده من حين إلى حين ، واليأس من النوال الذي كان يتولاه بين وقت وآخر . وهذه الأشعار التي يتناول فيها الشاعر مثل هذه الموضوعات هي أشعاره الذاتية التي تعبر عن عواطفه وأفكاره الخاصة . ومن قبيل هذه الأشعار الذاتية التي أضافها الشاعر من عنده إلى النص الأصلي أشعاره في مقدمة شاهنامه التي مدح فيها الله ،

والرسول، والمقل، وتحدث فيها عن أصل الخليفة، وخلق الإنسان، الشمس، القمر، وعن جمع الشاهنامه، وعن قصة الدقيق الشاعر الذى كان الرائد الأول ومدح فيها أبا منصور محمد، والسلطان محمود. وإذا تركنا أشعار هذه المقدمة وجدنا له أشعارا ذاتية أخرى في ثانيا القصص كأشعاره في مدوحيه من معاصريه أمثال السلطان محمود، وأبي العباس الفضل بن أحمد الأسفراينى، ونصر بن ناصر الدين سبكتكين، وحي قتيبه<sup>(١)</sup>، وعلى الديلى وغيرهم. ومن أشعاره الخاصة أيضاً تلك التى يث فيها شكاته من الدنيا والشيخوخة. وله في مفتتح بعض الفصول والقصص اضافات خاصة من عنده أراد بها أن يهيئ ذهن القارئ أو السامع لما يأتى من حوادث القصة كأشعاره في بداية قصة سهراب التى تحدث فيها عن الأجل المحتوم الذى لا يفرق بين الشباب والشيخوخة. وواضح أن غرضه من مثل هذه المقدمة الشعرية أن يعد ذهن القارئ لما يأتى بعد ذلك من موت سهراب وهو في سن الشباب. ويذكر نولدكه عن هذه الأشعار الذاتية التى يتحدث فيها الشاعر عن نفسه أنها تدل على أنه شاعر غنائى من الطراز الأول. ومن الأمثلة على ذلك الأشعار التى يرثى فيها ولده<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

ويبدو من قراءة الشاهنامه أن الفردوسى كان فيما نظمه دقيقاً أميناً فلم يتصرف في النص الثرى الذى ينظم عنه، وإذا نزعنا من منظومته تلك الأشعار الذاتية وجدنا أنه التزم النص الأصيل إلى حد بعيد. أما النزعات العامة

(١) في بعض الروايات حسين قتيبه.

(٢) نولدكه : ص ٩٦

التي تتضمنها الشاهنامه عن التورانيين وازدريائهم ، أو العرب وعدائهم ، أو اليهود وتحقيرهم فهي من النزعات الموجودة في النصوص التي ينظم عنها الفردوسي وليست من آرائه الخاصة . ومما يؤيد أمانته في النقل ما ذكرناه من قبل عن مطابقة الصفات التي تخلعها الشاهنامه على أبطالها مثل جمشيد وفريدون ومنوچهر وگشتاسپ واسفنديار للصفات التي تصنفها الكتب الدينية على هؤلاء الأبطال . ولو كان الشاعر يزيد في مظلومته ما وجدت هذه المطابقة ، ومطابقة كثير من الخطب التي توردها المنظومة للملوك عندما يتولون العرش لتلك الخطب التي جاءت نصوصها في كتب التاريخ مثل الطبري . ولا يفوتنا أن نشير إلى أن خطب الملوك هذه التي كانوا يفتتحون بها عهدهم وإن اتفقت في معانيها وموضوعاتها مع ماورد في المؤلفات الإسلامية التاريخية إلا أنها في الشاهنامه أطول وأكثر تفصيلا . وهذه بالطبع طبيعة الشاعر التي يفترق فيها عن المؤرخ النائر . ومن أدلة الأمانة في النقل عند الناظم أن تتطابق مادة الشاهنامه في كثير من موضوعاتها مع ما ورد في كتاب الشعالي المعروف بغير أخبار ملوك الفرس وسيرهم مما يدعو إلى الاعتقاد بأن كليهما نقل نقلا أميناً عن مصدر واحد أو مصادر متقاربة .

\* \* \*

ويضفي الشاعر على حوادث المنظومة خيالا خصبا وعبارة جذابة فيخلق بذلك من القصص البسيطة شيئا ذا بال . وكثيرا ما تكون الحادثة نفسها تافهة ولكنه يكسوها بخياله وعبارته فتترك في نفس القارئ أثرا قويا . وهو مضطر ، كشاعر ، إلى أن يفصل في بيان الحوادث أو سرد القصص التي وردت مختصرة

في الأصل الذي نظم عنه . ومن حقه الشعري أن يضيف بعض التفاصيل الصغيرة لجعل الموضوع حيا والصورة براقة جذابة . ولا يغفل الشاعر الدوافع الخفية والنزعات النفسية والاتجاهات العقلية . وليس تصوير الحوادث عنده مجرد تصوير مادي للحركات والأفعال لأنه يضيف إلى ذلك تصوير النفوس ، والوجدان ، والاتصالات المختلفة .



وأسلوب المنظومة يغلب عليه السهولة والوضوح والجمال القصيرة . وكانت هذه الجمل القصيرة من خصائص اللغة الفارسية في العهد الساماني والغزنوي وقسم كبير من العهد السلجوقي . ويشيع في القصيدة المبالغات كالغبار الذي تثيره الجيوش يحيل النهار ليلا ويتصاعد إلى السماء فينقصد سحبا ، والأسنة تلعب في الظلام كالنجوم ، والسيوف تضيء كالشمس ، والأرض تنشق شقين من وقع حوافر الخيل ، والجبل يصبح بحرا لطوفان الدم الذي يغمره ، والسهل يصبح جبلا لتراكم جثث القتلى ، والجثث تتراكم حتى تبلغ السماء ، والجيش يبلغ من الضخامة وكثرة العدد بحيث تمنع أسلحته وأسنته حركة الريح ، والجبل يخيل للانسان أنه يتداعى من ضجيج المعركة ، والأسد يقبل مواضع التمدين ، والسحاب لا يجرؤ أن يمر فوق رأس البطل . . . إلى غير هذه الأمثلة من المبالغة . وقد عاب كثيرون على المنظومة هذه المبالغات وهو تعسف منهم لأن القصة في أغلب حوادثها خرافية وما يتفق مع الخرافة المبالغة والتهويل بل إن الأصل في الخرافة أن تكون تهويلا ومبالغة تخرج بهما عن نطاق الحقيقة والواقع . ثم إن هذه المبالغات مما يحسن في الشعر ويحمل بها النظم . ولا يخلو

شعر شاعر في أمة من الأمم من مثل هذه المبالغات . أضف إلى هذا كله أن القصة في أغلب حوادثها تدور على الحرب والضرب ، والكفر والفقر ، وضروب البطولة ومظاهر القوة والشجاعة ومن ثم كانت المبالغات ضرورية في مثل هذا الجور وإلا فتر القول وأصبح عند السامع باردا غثا .

ويحاول الفردوسي أن يرقى بأسلوبه إلى درجة رفيعة فلا يدخل من التعبيرات والألفاظ ما قد يبدو أنه عادي أو عامي . وله ولع باستعمال الكلمات القديمة التي قل تداولها في العهد الإسلامي حتى يجعل من عبارته وألفاظه شيئا متميزا عما يتداوله الناس . كما يستعمل للدلول الواحد جملة ألفاظ فالجرب عنده جنك ، ييكار ، يرخاش ، نبرد . وقد حاول بدوافع من عصييته للغته واعتداده بفارسيته أن يخلي منظومته تماما من الألفاظ العربية لكنه لم يوفق . وهو يستعمل في ألفاظه المحسنات اللفظية وإن لم يقصد اليها عامدا في كثير من الأحيان كقوله « بچنك آر چنك » ( احضر العود في قبضة يدك ) وقوله باد باد ( ليسكن ريحا ) وقوله سه ترك سترگ ( الأتراك الثلاثة الأقوياء ) وكاستعماله لكلمات متتابعة تتشابه أحرف البدء فيها مثل نام ونگ ، درودشت ، تير و تیغ ، نان و نمک .

\* \* \*

ولم تسلم الشاهنامه من المزاخذات . وقد أجمع الباحثون على أنها طويلة فوق ما ينبغي وأن هذا الطول يبعث الملل والسآة التي تعترض القارئ إذا واصل قراءتها . ومهما يكن الشيء جميلا فإنه إذا طال أمل وبدأ في عين الناس زهدا . ولتجنب الملل ينصح نولدكه قارئ الشاهنامه أن يقرأها قطعة

قطعة<sup>(١)</sup> فلا يطيل القراءة إذا شرع فيها . وهذه السأمة مبهمة جملة أشياء منها هذا الطول في النص الذي أشرنا اليه ومنها هذا الوزن الواحد الذي تلتزمه المنظومة من أولها إلى آخرها . ومن الطريف أن نذكر أن هذه المأخذ التي تؤخذ على الشاعر في الوقت الحاضر خاصة باتحاد الوزن وطول المنظومة كانت لدى الشعراء من دواعي فخره . ولا شك في أنه أطال المنظومة إلى هذا الحد واتخذ لها بحراً واحداً يدل على طول نفسه وتمكنه في فن النظم .

\* \* \*

والتكرار من المأخذ التي تؤخذ على الشاهنامة وتدعو إلى الملالة . وقد يقع هذا التكرار في العبارة والتشبيهات فكثيراً ما شبه البطل الذي يتحدث عنه بالسبع المقترس أو الفيل الثائر . وقد يقع هذا التكرار في الأفكار والصور ، وقصص الحروب ومعارك الأبطال متشابهة في الأغلب . وحسبك أن ترجع إلى المبارزات الاثنتي عشرة في الفصل الخاص بالاثنتي عشرة رخصاً لتري أن أسلوب العرض في كل مبارزة متشابه رغم كثرة عدد المبارزات .

ومن أمثلة التكرار قصة أردشير في محاصرته لقلعة هفتواد . وكان هفتواد قد تحصن في قلعة حصينة وهزم الجيوش التي أرسلها أردشير لحربه فتجهز أردشير بنفسه وتوجه لحربه لكنه لم يفلح في القضاء عليه والاستيلاء على حصنه فلم يجد خيراً من اتخاذ الحيلة وتكره هو ومن معه في زى التجار وأوصى جنده أن يترقبوا الإشارة منه بعد أن يحتمل على الدخول إلى القلعة . وبقى

الجند في مكان بعيد عن الحصن وتقدم هو فأخذ يلاطف الحراس ويستميلهم حتى أذنوا له بالدخول واستطاع أن يحرق الدودة التي كانت مصدر القوة والسعادة لهفتواد . فلما ارتفع دخان الحريق ، وكان هذا الدخان هو الإشارة المتفق عليها هجم جنوده على القلعة فاستولوا عليها وقتلوا هفتواد ونهبوا أمواله وكنوزه . وهذه الحيلة التي لجأ إليها أردشير تشبه تلك التي لجأ إليها أسفنديار في حربه مع أرجاسب فقد علم أسفنديار أن القلعة التي تحصن فيها أرجاسب لا تفتح إلا بالحيلة فلبس هو ومن معه ملابس التجار وحملوا معهم صناديق البضاعة والجواهر . واتجه أسفنديار إلى القلعة فطلب منه أهلها أن يبيعهم مما معه فرفض أن يبيع شيئا قبل أن يعرض على انظار الملك مامعه من البضائع والكنوز فإذا اختار منها ماراقه عرض بعد ذلك ما بقي معه على الأهلين ، فأدخلوه على الملك وتعاقب حوادث القصة حتى إذا حانت الفرصة لأسفنديار أشعل النار في سور القلعة . وكانت النار هي الإشارة المتفق عايتها فهجمت جيوشه واستولت على القلعة وقبضت على أرجاسب .

ويلاحظ هنا أن التكرار في هاتين القصتين لا يشمل الفكرة وحدها ولا الحيلة وحدها التي لجأ إليها كل من أسفنديار وأردشير بل يشمل القصتين في جميع تفاصيلهما وجزئياتهما حتى ليكن أن نعتبرهما قصة واحدة تكررت مرتين في زمنين مختلفين . فالقلعة التي تحصن فيها أرجاسب هي قلعة روثين دژ والطريق التي سلكها إليها أسفنديار تسمى هفتخوان . وهفتخوان بمعنى الموائد السبع . ويقال لها أيضا هفتخان أي المنازل السبعة . والقلعة التي تحصن فيها هفتواد كانت تسمى باسمه . وسموه كذلك لأن له سبعة أولاد . فالعدد سبعة مكرر

في القصتين . وكان الذي دل اسفنديار على قلعة رومين دژ وقدم له المعلومات الكافية عنها تركيان قابلهما في الطريق فأسرهما . ومثل هذا تماما حدث مع اردشير فإن الذي أوحى اليه أن يلجأ إلى الحيلة في قتال هفتواد والاستيلاء على القلعة فلاحان صادفهما في الطريق عندما عاد منهزما في المرة الأولى . والاشارة التي اتفق عليها في القصتين واحدة هي إشمال النار حتى يراها الجيش الكامن على بعد . ومن ثم ترى أن القصة تتكرر بفكرتها وتفاصيلها .

وإذا رجعنا إلى الوراثة أكثر من ذلك وجدنا أن قصة اسفنديار في مسيره إلى قلعة أرجاسب تشبه هي الأخرى قصة رستم في مسيره إلى بلاد مازندران شبيها كبيرا . فرستم قد اتخذ له دليلا يدلّه على موضع ملك الجن هو اسيره أولاد ، ووعدته إن هو أخلص له النصيح ودله على الطريق المؤدية أن يوليه بلاد مازندران . ولما وصل رستم إلى مازندران وأتخذ الملك كيكافوس كان عليه كي يصل إلى مقر ملك الجن « سيد ديو » أن يجتاز سبعة جبال شاهقة . وفي مستهل الرحلة كان رستم قد لقي ساحرة فقتلها بسيفه . وكل هذه التفاصيل والأفكار تتكرر في قصة اسفنديار . فقد اتخذ هو الآخر دليلا في رحلته . وكان هذا الدليل أسيرا كذلك وهو كركسار ، وقد وعد اسفنديار أسيره كركسار إن هو أخلص له ودله على الطريق إلى قلعة أرجاسب أن يوليه على بلاد التوران . وكان على اسفنديار أن يتغلب في طريقه الذي قطعه في أسبوع على سبع من الممالك من بينها ساحرة قتلها بسيفه .

وقد لجأت الشاهنامة أيضا إلى نفس الوسيلة في عهد سابور بن هرمز بن نرسی فإنه عندما عزم على غزو بلاد الروم رأى أولا أن يدخلها خلصة

لمشاهدتها والوقوف على أحوال قيصر بنفسه . وكانت طريقته في ذلك هي نفس الطريقة السابقة : التخفي في زى التجار .

ولما انكشفت حيلة سابور عند قيصر وعرف شخصيته الحقيقية أمر به فحبس في القصر . وكان في القصر جارية أحبها وأحبته فدبرت له سبيل الهرب وهربت هي الأخرى معه . وهذه الطريقة تكرر لما سبق في أيام أردشير بن بابك إذ أحبته جنلار (گلنار) جارية أردوان وساعدته على الهروب والنجاة .

وقصة الشعبان الذي أزعم الناس في بلاد الصين ولم يستطع أحد أن يقضى عليه حتى استعان الخاقان بهرام چوین الذي كفى الناس شره وخلصهم منه قصة مكررة . ففي عهد لهراسب كان گشتاسب قد خرج من بلاد ایران مجافياً أباه وذهب إلى أرض الروم حيث أقام هناك . وتصادف أن أميراً من أمراء الروم اسمه اهرن تقدم خطبة ابنة قيصر فشرط عليه أن يقتل ذلك الشعبان الخفيف الذي أزعم الناس في جبل سقيلا قبل أن يزوجه ابنته . وكان الأمير أعجز من أن يفعل هذا فلجأ إلى گشتاسب الذي قام عنه بهذه المهمة وأتاه بآنياب الشعبان فأخذها وأسرع إلى قيصر مدعياً أنه قتل الشعبان ووفى بالشرط .

\* \* \*

وفي الشاهنامه أخطاء كثيرة بعضها يتصل بسير الحوادث وتناقضها، وبعضها يتصل بالحقائق التاريخية أو المعلومات الجغرافية . ومن المتناقض مثلا أن يقتل كلباد في حرب كيتباد مع افراسياب ثم يرتد إلى الحياة في أيام سیاوش ، قتل الرا بيد كاموس الكشاني في عهد خسرو ثم ظهوره في حرب اسفنديار ورستم ، وقتل كهرم التوراني في إحدى المبارزات المعروفة بيازده رخ ثم ظهوره في

حرب گشتاسپ وارجاسپ . ومن الوقائع التي لا تستقيم حوادثها في القصة أن يخرج رستم إلى بلاد التوران طلباً للثأر بعد قتل سیاوش ، ويستولى على بلادهم ويحكمها مدة سبع سنوات ولكنه ينصرف بعد ذلك دون سبب مفهوم ، ويترك البلاد كأنه لم يغزها ولم يقهر أهلها . وما يبدو غريباً موقف الفردوسي من الاسكندر فقد صورته بصورة جميلة لا تتفق مع موقف الإيرانيين عامة من أعدائهم . ومع أن الروايات القومية تضع الاسكندر في صف الضحاك وافرasiاب من أعداء البلاد الألداء إلا أن الشاهنامه تصل نسبه بالإيرانيين وتجعله إيرانياً . وقد عللنا فيما سبق لماذا اعتبر الفردوسي الاسكندر إيرانياً .

ومن أخطاء الشاهنامه المتصلة بالتاريخ اعتبارها الاسكندر المقدوني نصرانياً ، وادعاؤها أن أفريدون نقش الزندافستا على جدران مدينته كندز التي عرفت فيما بعد باسم بيكند . وواضح أن الزندافستا قد جاء به زردشت في عهد گشتاسپ وبين أفريدون وگشتاسپ قرون طويلة . ويشبه هذا لإقدام المسيحية والصليب في حروب اسكندر ودارا ، واعتبار رسول الروم إلى بهرام گور تليذ أفلاطون (١) .

والأخطاء الجغرافية في الشاهنامه كثيرة تدل على أن معلومات الشاهنامه في الناحية الجغرافية ضعيفة . فالشاهنامه مثلاً تجمع لـ تور الذي يعيش في الشمال الشرقي لإيران وسلم الذي يعيش في الشمال الغربي متجاورين رغم ما بينهما من المسافات الشاسعة . ولعل سبب هذا التجاور في القصة أنها يمثلان شعبين احتكا بالإيرانيين في حروب كثيرة فربطت الشاهنامه بينهما برباط التجاور .

ومن الأخطاء الجغرافية أن المنذر الملك العربي كان يقوم بتربية بهرام گور في اليمن . والمقصود بالطبع الحيرة . وتخلط الشاهنامه بين طيسفون ( المدائن ) وبغداد وتجعلها مدينة واحدة . وتزيد القصة تزيداً كبيراً في مساحة بلاد مازندران وتحيطها بحج من الخرافات التي لا يصدقها عقل . ويعتبر الشاعر أن البرز هي أعلى القمم وغاب عن ذهنه أن هناك قمم الهملايا . ومن ذلك حديثه عن مدينة مكران واذعافه أنها على حدود الصين مع أنها تقع إلى الجنوب تماماً من بلده <sup>(١)</sup> . ثم كيف يتأق أن تكون مدينة كنگ في الموضع الذي ذكرها القصة ثم تقع قلعتها على غاية البعد منها بعد عبور البحر . وتحدث الشاهنامه في سياق حوادث الاسكندر عن مصر والاندلس كأنها بلدان متجاوران ولا يبدو أي أثر لتقدير المسافة بينهما . وفي الفصل الخاص بطواف الاسكندر في بلاد العالم من الخرافات والعجائب والخلط ما لا يحصى .

\* \* \*

ويبدو أن الشاعر ينفى نفسه في بعض المواضع فيقحم رأيه الخاص ويحريه على لسان إحدى شخصيات القصة . ومن أمثلة ذلك أن خراد بن برزين رسول پرويز إلى الروم يحاول أن يغري قيصر بالرجوع عن دينه والدخول في دين الإيرانيين ويتهم المسيحيين بأنهم يجعلون المسيح ابناً لله وبأنهم يؤمنون بمقتل نبيهم وصلبه . وفكرة تنزيه الله عن الولد ، وإنكار قتل المسيح وصلبه فكرة إسلامية أفلتت من ذهن الفردوسي نفسه فجرى بها نظمه على لسان خراد . ذلك أن رسول پرويز « خراد » كان زردشتياً ولا يعقل أن يصدره مثل

هذا الاتهام المسيحيين عن غير مسلم . وإذا لم تكن هذه فكرة الفردوسى المسلم فن الجائز أن تكون قد اقحمت في العهد الإسلامى .

\* \* \*

ويحسن هنا أن نشير إلى رأى مول فى الشاهنامه . ويتلخص فى أن الفردوسى كان ينظم مقيدا بما لديه من نصوص لم يعالج ما فيها من أخطاء . ولعل هذا يرجع إلى أن الروح النقدية ودراسة الأخبار لم تكن قد وجدت بعد ولذلك تكلم فى احدى المرات عن بغداد فى عهد افريدون وفى مكان آخر تحدثت عن الاسكندر الأكبر واعتبره نصرا نيا . وفى مكان ثالث مزج بين زردشت والنبي ابراهيم ، أو يرجع إلى أن أمانة الشاعر وعصبيته كانت تدفعه إلى التجاوز عن مثل هذه الأخطاء فى نصوص خاصة بملوك الفرس القدماء . ومن عيوب الشاهنامه فى نظر مول أنها لا تتكلم بنفس التفصيل عن كثير من الحوادث التى تتساوى فى أهميتها ، وأنها تنتقل من عهد إلى عهد انتقالات مفاجئة ، وأن كثيرا من حوادثها يتكرر مع تغييرات تافهة ، وأنها تتعصب لبطل واحد تجمع حوله كل حوادث العهد الذى تتحدث عنه . وهذه كلها دلائل تدل على أن الشاهنامه كانت تنقل عن مصادر اعتمدت على الروايات الشعبية الى لا تنضب حول بعض الموضوعات فى الوقت الذى لا تمنى فيه بموضوعات أخرى قد تكون أكثر أهمية . ويدل على هذا أيضاً الفجوات التى نراها فى القصة فمثلا نرى الفردوسى حين أعوزته المادة الفارسية السكافية فيما يتصل بعهد الاسكندر ( وهذا مفهوم لأن الشعوب لا تتغنى بهزائمه ) يفضل الاستعانة بالقصص التى ملأ بها الجنود اليونانيون الغرب عند عودتهم إلى

بلادهم بدلا من أن يستسلم للخيال في موضوع كهذا خلو من المادة . وهذه القصص والروايات اليونانية كانت قد جمعت في مجموعات كثيرة ولا يزال بعضها موجودا باليونانية واللاتينية . وقد ترجمت واحدة منها إلى العربية . وبواسطة هذه القصة الأخيرة ملأ الفردوسي الفراغ الذي صادفه في الروايات الفارسية . (١)

\* \* \*

ولبراون رأى غريب في الشاهنامة وهو يذكر أن الناس قد اهتموا بها في الشرق والغرب ولكنه لا يجد في نفسه مشاركة لهم في هذا الاهتمام بها والنحس لها . ولا تستطيع الشاهنامة في نظره أن تقف في صف واحد مع المعلقات العربية (٢) . ، وهذا رأى غريب كما قلنا .

\* \* \*

وكثيرون من علماء الغربيين يعتبرون الشاهنامة من روائع الأعمال الأدبية العالمية ويضعونها في صف الباذة هوميروس . والواقع أن الشاهنامة لا تقل شأنًا عنها ومقارنة سريعة بينها ترينا أوجه التشابه والمخالفة فيما بينهما . فموضوع الألياذة الأساسي هو الحرب كما أن أهم موضوعات الشاهنامة الحرب . وكان أخيل من قومه اليونانيين بمنزلة رستم من قومه الإيرانيين . ولما اشتد ضغط الطرواديين على اليونان في الحرب وأوشكوا أن يقضوا عليهم هرعوا إلى أخيل يستجدون به لقمع أعداء بلاده . وكذا كان الإيرانيون يهرعون إلى

(١) مقدمة مول : ص LV

(٢) Browne : Lit. His. of Persia, v. II p. 142 Cambridge 1951.

رستم كلما أعجزهم أن يتغلبوا على أعدائهم . وحين ظن كيكاس في نفسه القوة والقدرة على غزو بلاد مارندران منى بالهزيمة والأسر فلم يجد بدا من الاعتراف بالعجز والاستنجاد برستم . وحين وجه كيكاس سياوش لملاقاة افراسياب كان عليه كي يضمن النصر والظفر أن يؤيده برستم . وروم الايرانيون في عهد كيخسرو أنهم قادرون على دحر أعدائهم التورانيين بقيادة پيران ، ولكنهم لم ينالوا النصر إلا بعد أن جاءتهم النجدة بقيادة رستم . وحين ظن اليونانيون أنهم قادرون على دفع أعدائهم الطرواديين بغير اشتراك أخيل رجعوا بالخسران المبين . وحاول أجاممنون أن يسترضي أخيل ليشارك في القتال معهم ضد أهل طرواده ولكن أخيل ، وكان قد اعتزل قومه ، رفض في بادئ الأمر أن يلبي رجاء أجاممنون ، فعول هذا الأخير على مواصلة الحرب وحده وقاتل قتال الأبطال لكنه جرح وكاد أهل طرواده أن يفتكوا باليونان وأخذوا في تعقبهم إلى أن اقتحموا معسكرهم بقيادة هكتور فلم يجد الاغريق بدا من اللجوء إلى سفنهم على الساحل . وهنا ذهب بتروكل إلى أخيل ، وكان حبيبه وصفيه ، وأخذ يتضرع إليه أن يشارك في القتال لإنقاذ الاغريق فإزاده ذلك إلا رفضا ، فتوسل إليه بتروكل أن يزوده بلباسه وسلاحه ليوم الطرواديين أنه أخيل قيسل عليه بذلك أن يهزمهم . وأذن أخيل لصاحبه وزوده بما طلب ، وانقض بتروكل ورجاله على أهل طرواده فأنفذ السفن من بين أيديهم بعدما كانت النيران قد بدأت تضطرم فيها ، واضطر أهل طرواده إلى التراجع وملكت نشوة الانتصار على بتروكل حواسه وعقله فأخذ يطارد اليونانيين ويتعقبهم في غير تدبر أو وعى مما أدى إلى هلاكه آخر الأمر . ولما بلغ أخيل مقتل حبيبه بتروكل بكى وانتحب وصمم على الانتقام له وقبل عند ذاك

أن يشترك مع قومه في القتال . ولكن بتروكل كان قد أخذ برته وسلاحه فهو أعزل لا يستطيع القتال فوعده أمه ثقيس أن تأتيه سلاح من صنع إله النار . ولما أستعد أخيل أقبل إلى ساحة القتال وصاح - كما كان يفعل رستم - صيحات ألقت الفرع في قلوب أهل طرواده فانهزموا واستخلص الأغريق منهم جثة بطلهم بتروكل . وتم الصلح بين اجاممنون وأخيل وشنا على الأعداء هجوما قويا فراجعوا إلى مدينتهم اليون بعد أن قتل منهم عدد عظيم وبقي هكتور خارج المدينة فلحقه أخيل وقاتله حتى خر هكتور صريعا . واجتمع الأغريق على جثة هكتور ومثلوا بها وأمن أخيل في التمثيل بجثة عدوه فربطها إلى مركبته ودار بها حول طرواده وأهلها ينظرون . ثم انتهت المفاوضات بين الطرفين إلى إعادة جثة هكتور إلى أهله .

ويلاحظ فيما يتصل بالناحية الجغرافية أن معلومات الألياذة صحيحة موثوق بها بينما رأينا أن الشاهنامة تخلط في هذه الناحية خلطا كبيرا في بعض المواضع .

وفي الألياذة تتدخل الآلهة تدخلا فعليا في شئون الحرب والحياة فتتصرف فريقا من المحاربين على فريق ، وينضم إلى كل فريق منها عدد من الآلهة يسعى إلى نصرته وتأييده ، بل إن الآلهة نفسها تباشر القتال مباشرة فعليه في بعض المواقف . أما الشاهنامة فلا أثر فيها للآلهة وتعدد هم . وليس لها بطبيعة الحال دور في حوادث القصة وخاصة في حروبها ، بل إن جامع الشاهنامة أو ناظمها يدعى في أكثر من موضع أن الفرس القدماء كانوا يعبدون إلهما واحدا تنزيها لهم عن الشرك . وقد ردنا هذا الادعاء في موضعه من قبل .

ويلاحظ في الإلياذة كثرة الصور وتعددتها دون الوقوف وقفة تفصيلية عند كل صورة من هذه الصور . فهي صور سريعة متلاحقة لا يقف الشاعر عند دقائق كل صورة منها كما تفعل الشاهنامة ولأخذ مثلاً ، في النشيد الثالث ، الموقف الخاص بالمبارزة بين فارس الطروادى ومنيلا اليونانى . تقول المنظومة :

والسهل طوره على الأثر      والقسطل من عج الزمر  
قد أضحي حجاب البصر      عن أكثر من مرمى حجر  
ككثيف ضباب مربد

كضباب نوطس قد نشرنا      في قته طود فاستترا  
ولرؤيته الراعى ذعرا      لكن اللص به نظرا  
خيما من ليل مسود

جد الجيشان وقد هرعا      حتى هما أن يجتمعا  
فإذا فارس قد طلعا      وجميل بحياه سطعا  
وعدا يستهدف للطرد

يختال بحسن جباذ      بالقوس وسيف حذاذ  
وبفروة فهد بداذ      بيديه قناتا فولاذ  
يتقدم مستبق الوفد

ويسير بمهيب المختال      بدعو لبراز قتال  
عمد الاغريق الأبطال      فرآه منيلا في الحال  
فبدا يتهلل بالرغد<sup>(١)</sup>

فهو هنا وصف جيش الاغريق وهو يطوى السهول ويشير الغبار الذى يحجب البصر فلا يمتد إلا إلى مسافة قريبة ( مرمى حجر ) ووصف هذا الغبار بأنه كالضباب الذى ينتشر فى قمم الجبال فيخفيها وذكر أن الراعى يدعرك كثافة هذا الضباب لأنه لا يرى أغنامه رؤية واضحة فيسهل على اللص أن يسرقها . والاص هو الذى يسر من مثل هذا الضباب ويراها خيراً من الليل الأسود ، ثم يتحدث عن الجيشين جيش الطرواديين وجيش الاغريق فيذكر أنها حثا السير حتى تقاربا . وطلع فارس من جند الطرواديين يختال بحسنه وأدوات قتاله التى يحملها . فأنت هنا ترى مجموعة من الصور : السهل وهو يطوى ، الغبار وهو يشور فيخفى الرؤية كالضباب ، والجيشان وهما يحدان فى السير حتى يتقاربا ، وفارس بطل الطرواديين وهو يخرج من بين قومه يطلب مبارزاً من بين صفوف الاغريق . هذه المجموعة من الصور كثيرة حقاً لكن لا تفصيل فى كل صورة منها . أنظر مثلاً إلى حديثه عن الجيشين وهما يحدان فى السير حتى كادا أن يتقاربا لا تجده يذكر شيئاً يضيف على هذا المعنى صورة دقيقة مفصلة ، وانظر إلى حديثه عن فارس تجده لا يتجاوز الصورة الحسية السطحية : حسن فارس وسلاحه المكون من قوس وسيف وفروة فهد وقاتين ولا شيء غير هذا . ثم تتابع الألباذة وصف المبارزة بينهما إلى أن هرب فارس فتقول :

كاللث يضوره السغب والظبي لديه يضطرب  
فعليه منقضا يثب ولو القناصون اقتربوا  
بضراء تقبل للصد

بالعدة من أعلى العجلة بالشدة يادر بالعجلة  
لا ينبغي إلا أن يصله يقتص لجرم قد فعله  
ومضى يتوقد بالحقد

نظر الاسكندر وامتنعا  
ففتحنا المعسكره علما  
كالغز له فورا طلعا  
ضل في الغاب قد اندفعا  
فيعود بقلب منهذ

والشاعر هنا يصف منيلا بعد أن وصف فارس فيشبهه بالليث الذي  
افترس ظيماً لا يستطيع النجاة من بين براثنه ، وقد بادر إلى عدوه فارس في  
عجلته مزوداً بعدته لا ينبغي إلا أن يقتص منه ، فلما وجد فارس على هذه  
الصورة هلع واسرع بالفرار كالغز طلع عليه صل في الغاب . وتنتهي بذلك  
المبارزة بينهما . قارن هذه الصورة بالمبارزات التي دارت في موقعة الاثني عشر  
رخا التي ذكرناها فيما سبق . ولتأخذ للمقارنة مثلاً المبارزة التي جرت بين  
هومان التوراني وبيزن الايراني ، ولتر ما بين المبارزتين من الفروق . ففي  
المبارزة بين التوراني والايراني وصف دقيق لاستعداد الجيشين للقتال  
وتفصيلات جميلة للمبارزة لا ترى مثلها في المبارزة بين فارس ومنيلا . من  
تلك التفاصيل التي تضي على المبارزة صورة حية في الشاهنامة السهام التي تنفذ ،  
والرماح التي تنكسر ، والسيوف التي تتعلم ، والتضارب المتصل ، وجفاف  
حلق المبارزين ، والغرق في العرق ، والراحة ، ومعاودة القتال ، وانهمام  
هومان ، واجتزاز رأسه ، وتلوي جسده بعد فصل الرأس ، وغزارة الدماء التي  
سالت كالأنهار .

تخذ مبارزة أخرى كالمبارزة التي دارت بين البطل گودرز قائد الايرانيين  
وبيزان قائد التورانيين . تجد هناك مجموعة من الصور الصغيرة والتفصيلات  
الجزئية الدقيقة داخل الإطار العام للمبارزة . ومثل هذه التفصيلات هي التي  
تجعل المبارزة حية زاخرة بالحركة والحياة . فهذان البطلان يتبارزان بكل ما

ملكاً من قوة وفن وأسلحة ، وها هو ذا إيران يقع به فرسه ويقع هو الآخر تحته فتكسريده اليمنى ، وها هو ذا قد أصبح عاجزاً عن مواصلة القتال فاضطر أن يهرب إلى جبل قريب يعصمه من خصمه . وها هو ذا گودرز قد تألم لمنظر خصمه الشيخ في سقوطه تحت فرسه ، وفي إصابته ، وفي هروبه خوفاً من الموت فأخذ ينصحه بالعودة ويعدّه بالأمان والسلامة فيأبى الشيخ الفار إلا أن يموت كما يموت الأبطال ويرمى خصمه گودرز فيصيبه في عنقه . وهنا اضطر گودرز أن يرقى إليه الجبل ويواصل قتاله حتى يقتله ويهيم باجتياز رأسه لكنه يعدل رحمة بالشيخ ، ثم تملكه الشفقة عليه فيرفع عليه عند رأس عدوه المقتول ليقى وجهه حرارة الشمس القاتلة في تلك الصحراء . ولا ينسى الشاعر في غمرة هذه المبارزة المثيرة أن يصور لنا حال الإيرانيين وقد غاب عنهم گودرز فأخذوا يبكونه وينتجبون ظناً منهم أنه انهزم وقتل حتى إذا رأوا عليه مرفوعاً عادوا إلى الفرح والسرور ودقوا الطبول . . . الخ . قارن هذه المبارزة بما تجده في النشيد الثالث من الألياذة وعلق عليها بما تراه . وسيكون رأيك ما رأياه وقدمناه . ولا تنس المبارزة بين سهراب ورسنم في الشاهنامه فهي من أجمل وأقوى وأشدّ مواقف الشاهنامه إثارة للنفوس . ابن ييارز أباه وكلاهما لا يدرى صلته بالآخر . كلاهما قوى جبار فتطول المبارزة بينهما حتى تنكسر السيوف ، ويسيل العرق ، ويشد التعب ، ثم يستريحان ساعة يعودان بعدها إلى القتال ، ويطول الأمر بينهما إلى أن يتمكن الابن من ضرب أبيه ضربة شديدة يظن أنها مهدت له سبيل الظفر بخصمه وهو الأب . ولكن الليل يأتي ويتوقف القتال بينهما ويسترد الأب في الصباح ما كان قد فقده في الأمس من النشاط والقوة بعد تلك الضربة ويقبل على مقاتلة ابنه عنيفاً جباراً . . . إلى

آخر القصة وقد ذكرت فيما سبق .

\* \* \*

وليس في الإلياذة الاستطرادات المطولة التي نجدها في الشاهنامة. والموضوع فيها يكاد يكون متصلا لا يفصل أجزاءه فواصل طويلة من الاستطرادات بعكس الشاهنامة إذ ينسى ناظمها موضوعه أحيانا وينساق وراء نفسه وعواطفه وأفكاره قبل أن ينتبه إلى الموضوع الذي خلفه وراءه. ومثل هذه الاستطرادات في الشاهنامة مما يبعث على الملل والسآمة ويطيل المنظومة إطالة كبيرة بغير داع أو ربما كانت الإطالة على هذا النحو مقصودة عند ناظم الشاهنامة للإبانة عن مهارته وقدرته في نظم العدد الكبير من أبيات الشعر، والخطب التي يوردها هو ميروس على لسان أبطاله ليست من الطول والإفاضة التي نراها بها عند الفردوسي .

فهرست موجز

القسم الأول : دراسات تاريخية

صفحة

- ١ - تاريخ الفردوسي . . . . . ٧
- ٢ - انتشار الثقافة الهلوية في العهد الاسلامي . . . . . ٢٤
- ٣ - مصادر الشاهنامات المختلفة . . . . . ٢٧
- ٤ - شاهنامه أبي المؤيد البخى . . . . . ٤٢
- ٥ - شاهنامه أبي علي البخى . . . . . ٤٢
- ٦ - شاهنامه المسعودى المروزى . . . . . ٤٣
- ٧ - شاهنامه أبي منصور . . . . . ٤٥
- ٨ - شاهنامه الدقيقى « گشتاسپنامه » . . . . . ٤٩
- ٩ - شاهنامه الفردوسى . . . . . ٥٨
- ١٠ - المنظومات التى قلدت الشاهنامه . . . . . ١١٧

القسم الثانى : دراسات موضوعية

- ١١ - الحرب فى الشاهنامه وما يتصل بها . . . . . ١٣٧
- ١٢ - الملوك فى الشاهنامه وما يتصل بهم . . . . . ١٧٧
- ١٣ - الحياة الاجتماعية فى الشاهنامه . . . . . ٢١٢
- ١٤ - الحياة الدينية فى الشاهنامه وما يتصل بها . . . . . ٢٤٠
- ١٥ - نقد الشاهنامه . . . . . ٢٨٢

فهرست مفصل

القسم الأول : دراسات تاريخية

صفحة

١ - تاريخ الفردوسي :

٧ - ٢٣

اسم الشاعر وكنيته ٧ - تخلصه ٧ - متى وأين ولد  
الشاعر ٨ - حالته الاجتماعية ٩ - رحلة الشاعر إلى  
غزنين ١٢ - كيف اتصل الشاعر بالسلطان ١٣ -  
موقف السلطان من الشاعر ١٦ - فرار الفردوسي ١٩  
وفاة الفردوسي ٢٣ .

٢ - انتشار الثقافة الهندية في العهد الاسلامي ٢٤ - ٢٦

٣ - مصادر شاهنامات ٢٧ - ٤١

خدای نامه ٢٧ - باتکار زيربان ٢٩ - کارنامه اردشير  
بابكان ٣٠ - قصة رستم واسفنديار ٣١ - قصة بهرام  
چوبين ٣٢ - قصة ويس ورامين ٣٢ - كتاب أخبار  
الاسكندر ٣٣ - كتاب السكيكين ٣٣ - كتاب التاج ٣٤  
نامه \* تنسر ٣٤ - چترنك نامه ٣٦ - كتاب الكريامخ ٣٦  
آئين نامه ٣٧ - كاهنامك ٣٧ - دينكر ٣٨ - بندهشن  
٣٩ - داتستان دينيك ٣٩ - مينوى خرد ٤٠ - مزدك  
نامه ٤٠ .

٤٢

شاهنامه أبي المؤيد البلخي

٤

صفحة	
۴۲	۵ شاهنامه ابی علی البلخی
۴۳	۶ - شاهنامه مسعودی المروزی
۴۵ - ۴۹	۷ - شاهنامه ابی منصور محمد بن عبد الرزاق
۴۹ - ۵۷	۸ - شاهنامه الدقیقی « گشتاسپنامه »
۵۸ - ۱۱۶	۹ - شاهنامه الفردوسی

عرض عام ۵۸ - دول الشاهنامه ۵۸ - رسم ۶۱ -  
 مأساة رسم و سهراب ۶۹ - مأساة رسم و شغاد ۷۲ -  
 اسفندیار ۷۳ - افراسیاب ۷۶ - تقسیم آخر للشاهنامه  
 ۸۳ - تقسیم ثالث للشاهنامه ۸۵ - تقسیم رابع للشاهنامه  
 ۸۵ - عصر الفردوسی والشاهنامه ۸۸ - الدولة الغزنية  
 ۸۸ - نهضة الأدب والحضارة في العهد الغزني ۹۴ -  
 متى نظمت الشاهنامه ۱۰۰ - سبب تأليف الشاهنامه  
 ۱۰۲ - صلة الشاعر بالسلطان ۱۰۳ - مصادر الفردوسی  
 ۱۰۷ - دراسات الشاهنامه وترجماتها ۱۱۰ .

# ۱۰ - المنظومات التي قلدت الشاهنامه ۱۱۷-۱۳۵

گرشاسب نامه ۱۱۷ - بهمن نامه ۱۱۹ - فرامرز نامه  
 ۱۲۰ - کوش نامه ۱۲۱ - یانوکشسب نامه ۱۲۲ -  
 برزو نامه ۱۲۳ - شهریار نامه ۱۲۴ - آذر برزین نامه  
 ۱۲۵ - جهانگیر نامه ۱۲۵ - سام نامه ۱۲۷ - اسکندر

صفحة

نامه ١٢٧ - آئینه سکندری ١٣٠ - خرد نامه اسکندری  
 ١٣٠ - قصة ذی القرنین ١٣١ - ظفر نامه ١٣١ -  
 شهنشاه نامه ١٣٢ - غازان نامه ١٣٣ - شاهنامه هاتقی  
 ١٣٣ - خاوران نامه ١٣٤ - صاحبقران نامه ١٣٥ -  
 حمله حیدری ١٣٥ - اردیبهشت نامه ١٣٥ .

### القسم الثاني : دراسات موضوعية

الحرب في الشاهنامه وما يتصل بها ١٢٧ - ١٢٦ ١١

اعداد الشباب للحرب ١٣٧ - دعوة الجيوش ١٣٨ -  
 عرض الجند ١٣٩ - الاستعداد للحرب ١٤١ - تنظيم  
 الجيوش ١٤١ - اقسام الجند ١٤٣ - العلم ١٤٦ -  
 أساليب الحرب : المبارزة ١٤٩ - الحرب الجماعية ١٥٦  
 السير الصامت ١٥٦ - التخذيل ١٥٧ - استدراج العدو  
 ١٥٧ - التثبيت ١٥٨ - توجيهات للجيوش المتحاربة ١٥٩  
 حفر الخنادق ١٦٢ - محاصرة القلاع والحصون ١٦٢  
 الأسلحة والآلات ١٦٣ - السهام ١٦٤ - الرماح ١٦٤  
 الدرع ١٦٥ - الترس ١٦٥ - المنجنيق ١٦٥ - الجرذ  
 أو العمود أو الدبوس ١٦٦ - الوهق ١٦٦ - الحسك  
 ١٦٦ - القيلة ١٦٧ - الأسود والضواري ١٦٧ -  
 أرزاق الجند ١٦٨ - الموبد في الحرب ١٦٩ - الكاتب

صفحة

في الحرب ١٦٩ - الساحر ١٧٠ - من عاداتهم في  
الحروب ١٧١ - ملاحظة تتصل بالحروب ١٧٢ -  
الشطرنج والورد ١٧٤ -

## ١٢ - الملوك في الشاهنامه وما يتصل بهم ١٧٧-٢١١

الحق الاتسى للملوك ٧٧ - نظام وراثة العرش ١٧٧ -  
طبقة الملوك ١٨١ - صفات الملك ١٨٦ - مراسم  
توليهم الملك ١٨٧ - الآداب والعادات المتصلة بالملوك  
١٨٨ - التحية عند التولية ١٨٨ - الثناء ١٨٨ - آداب  
الدخول والانصراف ١٩٠ - اتخاذ الملوك علامات  
ليصرفوا من في حضرته ١٩١ - خفض الصوت  
١٩١ - تفرد الملوك بجملة أمور ١٩٢ - منع الناس  
من مجارة الملوك ١٩٣ - لا يجوز الدعاء للملك ١٩٣ -  
لا يجوز الابتداء بالكلام في حضرة الملك ١٩٤ -  
القناعة في البطانة ١٩٤ - حسن الإصغاء ١٩٥ - خروج  
الحاشية مع الملك ١٩٥ - التيمن باسم الملك ١٩٦ -  
آداب الأكل ١٩٧ - الزممة ١٩٨ - استشارة الوزراء  
١٩٨ - الرسول ١٩٩ - اللهو والترف وما يتصل بهما ٢٠١  
دخل الملك ٢٠١ - ترف خسرو پرويز ٢٠٢ - تحته ٢٠٢  
ايوانه ٢٠٤ - القطيف ٢٠٤ - ملابس الملوك ٢٠٥ -  
محال الشراب ٢٠٥ - اختيار الندماء ٢٠٦ - مراتب

صفحة

أهل الفن ٢٠٧ - رياضة الصيد ٢٠٨ - الضرب  
بالصوالة ٢١٠ - الشطرنج والموسيقى ٢١٠ - تقديم  
الهدايا إلى الملوك ٢١٠ - الألقاب ٢١١ .

### ١٣ - الحياة الاجتماعية في الشاهنامه ٢١٢ - ٢٣٩

النظام الطبقي ٢١٢ - أيام الشهر ٢١٦ - كاهنارها  
٢٢٢ - العلم والتعليم ٢٢٢ - التنجيم ٢٢٥ - الطب ٢٢٥  
المرأة ٢٢٧ - المرأة في الحياة العامة ٢٢٧ - المرأة  
والحب ٢٣٠ - الزواج ٢٣٤ - تعدد الزوجات ٢٣٥  
نساء الملك ٢٣٥ - زواج الأخت والابنة ٢٣٦ -  
المرأة إذا ولدت ٢٣٧ - إذا ولد المولود ٢٣٧ .

### ١٤ - الحياة الدينية في الشاهنامه ٢٤٠ - ٢٨٢

عبادة الفرس قبل زردشت ٢٤٠ - زردشت ٢٤٢ -  
الافستا ٢٤٤ - العقيدة الزردشتية ٢٤٧ - فكرة  
الثنوية والتوحيد ٢٤٩ - الحياة الأولى والحياة  
الآخرة ٢٥٣ - التواحي الخلقية ٢٥٤ - كتاب  
أرداثيراف ٢٥٥ - النار في الديانة الزردشتية ٢٥٧ -  
بيوت النار ٢٥٨ - عناصر أخرى وقرها الايرانيون  
٢٦١ - الحياة الاجتماعية للايرانيين القدماء وتأثيرها  
بالدين ٢٦١ - الأعياد والآثر الديني فيها ٢٦٢ -  
الفلاحة والفكرة الدينية ٢٦٣ - الوفاة والاجراءات

صفحة

الدينية المتصلة بها ٢٦٤ - الملابس وتأثيرها بالآثار  
الديني ٢٦٥ - السكون والزمزمه ٢٦٦ - رجال الدين  
وقوة نفوذهم ٢٦٧ - تدخل الموازنة في أكثر الشئون  
٢٦٧ - مراتب رجال الدين ٢٦٨ - ضعف الديانة  
الزردشتية ٢٦٩ : تحسن العلاقات بين دولتي الفرس  
والروم ٢٧٠ - تسامح بعض الأكاسره ٢٧٠ - انتشار  
الأفكار الفلسفيه في بلاد ايران ٢٧٣ - تغلغل نفوذ  
المسيحية ٢٧٤ - الديانة المانية ٢٧٥ - المزدكية ٢٧٦ -  
الدهرية ٢٧٧ - اهمال طبقة الأشراف والموازنة ٢٧٧  
الآثار الزردشتية في الحياة الاسلاميه ٢٧٨ - الفرق  
الدينية : المسليه ٢٨١ - الراونديه ٢٨١ - الملقنيه  
٢٨١ - الحرمة ٢٨١ .

## ١٥ - نقد الشاهنامه

٢٨٣-٣١٣

نظرة المؤرخين إلى الشاهنامه ٢٨٣ - تصوير الشاهنامه  
لحياة الايرانيين القدماء ٢٨٤ - عنايتها بالملوك ٢٨٤ -  
غلبة النزعة الفردية ٢٨٥ - موقف الشاهنامه من  
الشعوب الأخرى ٢٨٦ : موقفها من التورانيين ٢٨٦  
من الهنود ٢٨٧ - من الصين ٢٨٧ - من العرب ٢٨٧  
موقف الشاهنامه من الديانات المختلفة : اليهودية ٢٨٩  
الاسلام ٢٩٠ - الروح القومية في الشاهنامه ٢٩٢ -

صفحة

أشعار الفردوسي الذاتية ٢٩٣ - أمانة الفردوسي فيما  
نظم ٢٩٤ - الخيال ٢٩٥ - أسلوب المنظومة ٢٩٦ -  
المبالغات ٢٩٦ - طول الشاهنامه ٢٩٧ - التكرار في  
الشاهنامه ٢٩٨ - أخطاء الشاهنامه ٣٠١ - رأى مول  
في الشاهنامه ٣٠٤ - رأى براون ٣٠٥ - مقارنة  
سريعة بين الشاهنامه والليادة ٣٠٥ .

\* \* \*

٣١٣

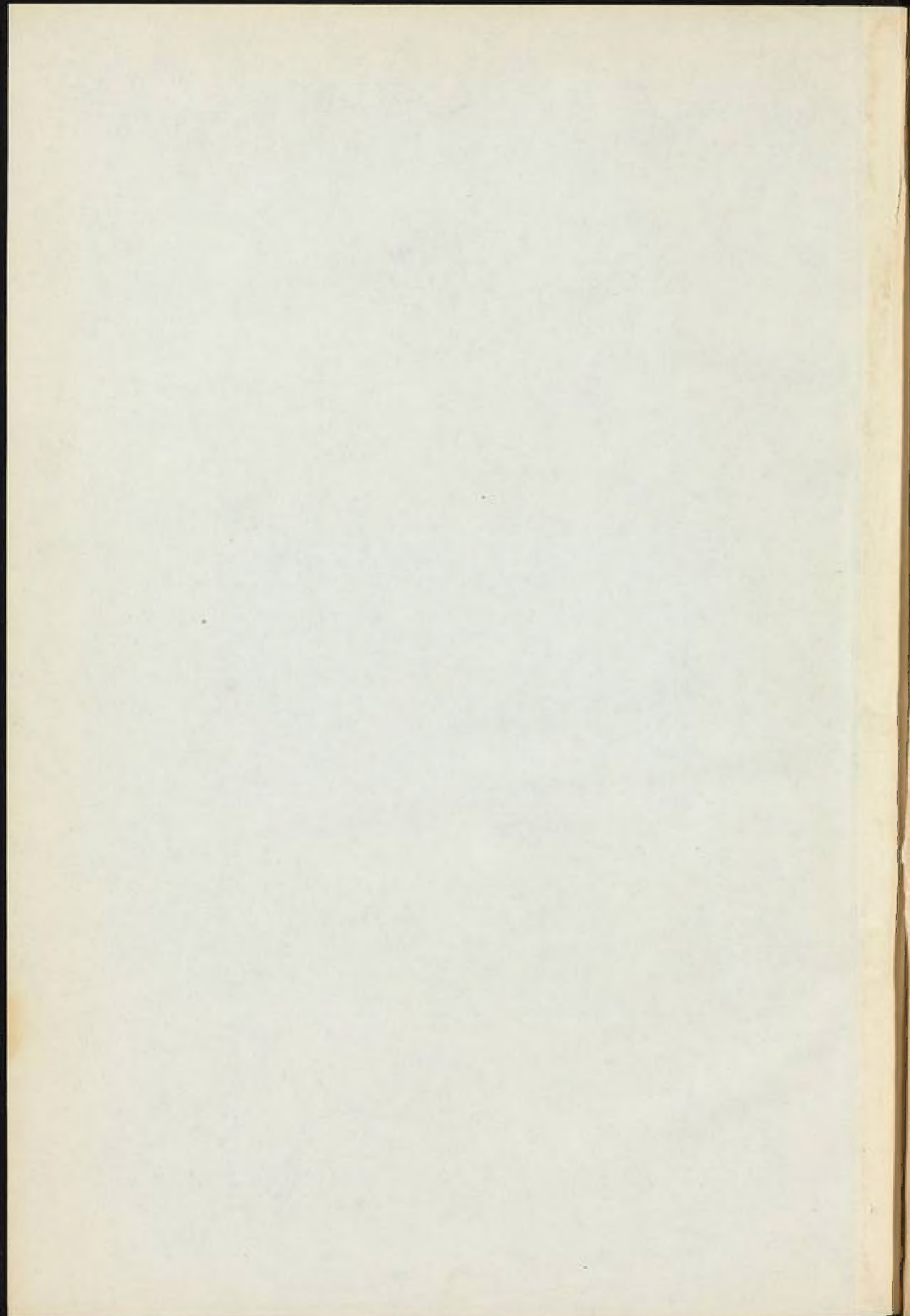
القهارى

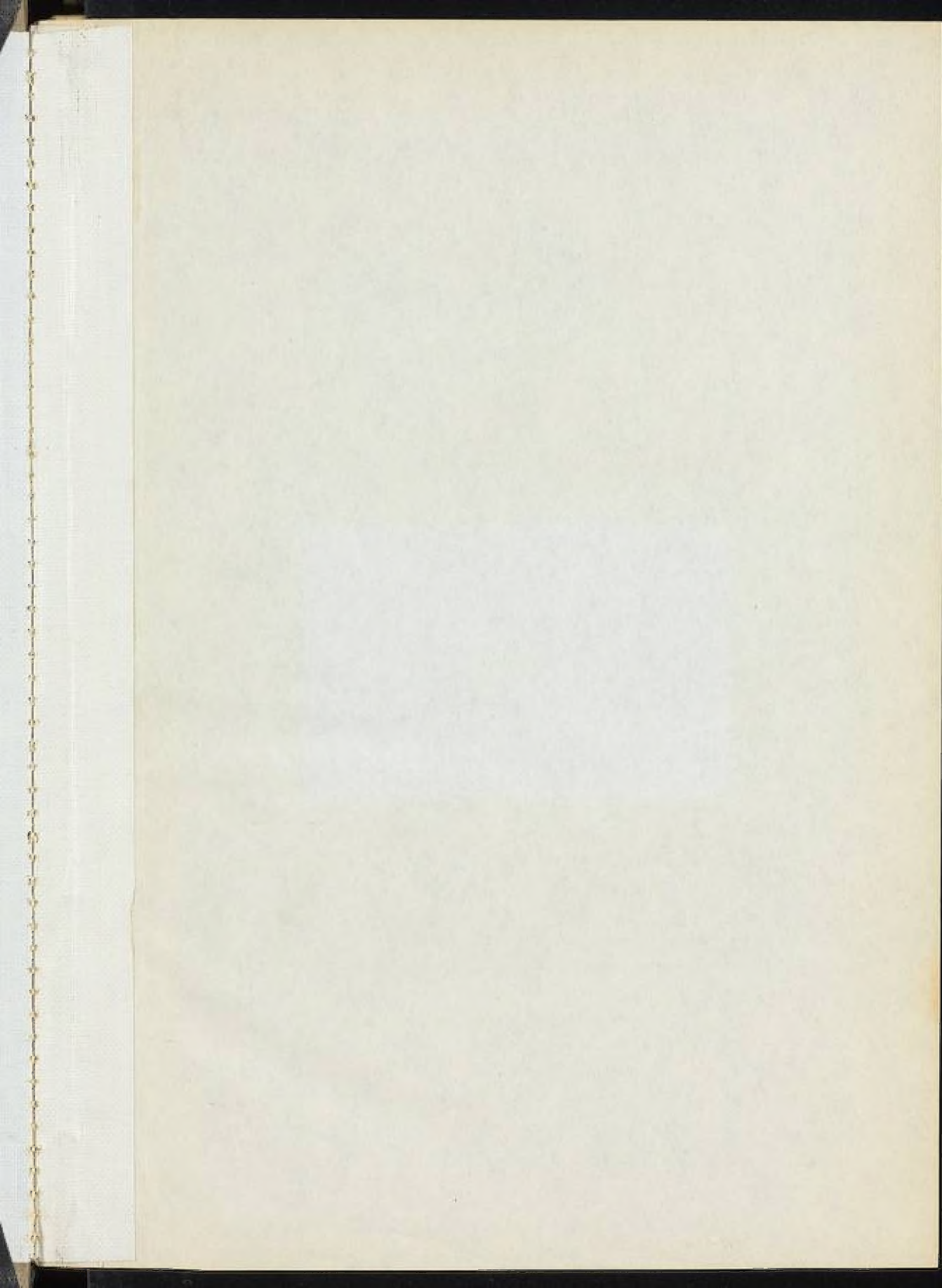
# تصويب

وقعت بعض أخطاء مطبعية نذكر تصويبها فيما يأتي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
۱۳	هامش	۴	۱
۲۸	۳	أول	الأول
۲۹	۱۷	لرجل	الرجل
۳۱	۱۲	چوبين	چوبين
۶۹	۶	قلم	اقلیم
۶۹	۱۸	ابنة	ابنه
۸۴	۱	تميزها	تميزهما
۹۱	۱	ا	ابن
۱۰۰	۱۱	إذا	إذ
۱۱۱	هامش ۲	ص ۱۲	۱۲۲
۱۱۲	۱۱	الشاهنامه	الشاهنامه
۱۱۷	العنوان	— ۱ —	— ۱۰ —
۱۶۶	۷	منها	منها
۲۰۸	هامش ۲	ص ۶۹	ص ۶۴ ج ۱
۲۳۶	۱۰	شريعة	شريعة
۲۴۳	۱۰	لأول	الأول
۲۵۸	۲۲	حوجنی	أحوجنی
۲۷۱	۱	انتشر	انتشار







LIBRARY  
OF  
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 076501855

